

[ال] فصلُ: [الثاني]

في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد  
وهو توحيدُ الطَّلَبِ والقَصْدِ، وأنه معنى لا إله إلا الله



(هذا وثاني نوعي التوحيد      إفراد رب العرش عن نديد)  
(أن تعبد الله إلهاً واحداً      معترفاً بحقه لا جاحداً)

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم من تحقيق النوع الأول من نوعي التوحيد<sup>(١)</sup> (وثاني نوعي التوحيد) هو (إفراد رب العرش عن نديد) شريك مساوٍ، وتفسير ذلك هو (أن تعبد الله) سبحانه وتعالى (إلهاً) حالاً من لفظ الجلالة (واحداً) لا شريك له في إلهيته كما لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته، فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الإلهية، وبه احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهاً مستحقاً للعبادة إلا من كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرفاً مدبراً لجميع الأمور، حياً قيوماً سمياً بصيراً عليمياً حكيماً موصوفاً بكل كمالٍ منزهاً عن كل نقص، غنياً عما سواه، مفتقراً إليه كل ما عداه، فاعلاً مختاراً لا معقَّب لحكمه ولا راداً لقضائه، ولا يُعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات الله عز وجل، لا تنبغي إلا له، ولا يُشركه فيها غيره.

فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغيره، فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يُشركه في ذلك أحدٌ وجب إفراده بالعبادة دون من سواه، لا يُشرك معه في عبادته أحدٌ؛ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ

(١) تقدم النوع الأول في الجزء الأول.

فَسَقُولُونَ لِلَّهِ أَفَلَا نُنْفِئُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي فَعَادَا بِمَدِّ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴿إلى قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّئَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى آيَاتِ النَّهَارِ يُطَلِّبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ وَالْبَحْرِ وَمَا غَسَقَتْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٤١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْسُطُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَإِزِيلُ عَلَيْهِمْ حَفْظَةٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٤٤﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظِلْمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَدْوِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَاقِبَتَهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤ - ١٦٥] إلى آخرها.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِيثُ آيِلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّجَبَّرَاتٌ وَعَجَلْتُ مِنَ اعْتَبِ وَزَرْعٌ وَغَيْدٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿أَفَإِذَا أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾﴾ [النحل] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٣﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٦﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُتَّوِّعِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْتُمْ بِرِيحٍ طَبَئَةً وَقَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَدْيِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾﴾

فَلَمَّا أَجَلْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ  
 مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ [يونس]، وقال  
 تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ  
 الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا  
 فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا  
 مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنبياء].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾  
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ  
 الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ  
 يُصِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ  
 آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا  
 لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانُ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ  
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
 يُرْسِئُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ  
 جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ  
 ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ  
 فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا  
 يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّمْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ [الشعراء]، وقال  
 تعالى: ﴿قُلْ لِمَعْنَدِ اللَّهِ وَاسْلَمْ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾  
 إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمَنْ يَدْعُوا لَخَلَقْنَا مِنْ بَرزقِكُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ  
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ [النمل: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ  
 دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّن نَّزْلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَدَّلَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ الْبَلَدَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٦﴾﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٧﴾﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦٨﴾﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلًا دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَدَّلَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٦٩﴾﴾ [لقمان] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ ثُمَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتَّيُونَ ﴿١٦﴾﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٨﴾﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وَشَجَرَةً تُخْرُجُ مِن طُورٍ سَيِّئَةٍ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴿٢١﴾﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ

لَعِزَّةٌ شَفِيعَةٌ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُم فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ  
تَحْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبا]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنِيثِرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ فَأِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسَبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِيثِرُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يَمِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَاحَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر] إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ



أَصْحَابِ النَّارِ ﴿الزمر: ٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتُمْ النَّاسَ لَأَن يَقُولُوا اللَّهُ رَبُّنَا رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَئ تُوَفَّوْنَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [غافر] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَيْنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا أَلْمَاءَ الَّذِينَ بِمَضْجِعٍ وَحَفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَآفَئ تُوَفَّوْنَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وغير ذلك من الآيات التي يقرر الله تعالى فيها ربوبيته ويمتن بنعمه وتفرده بأنواع التصرفات.

وعباد الأوثان يُقرّون بها الله عز وجل، ويُقرّون بأن أوثانهم التي يدعون من دونه مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نُشوراً، ولا تسمع ولا تُبصر ولا تُعني عنهم شيئاً، ويُقرّون أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والضّر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا

إلى أوثانهم من ذلك شيء، بل هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سوّوهم به في استحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرّد بها، وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إله إلا الله: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًّا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فالزمهم الله تعالى بما أقرّوا به من التفرّد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية، وأن يكفّروا بما اتخذوا من دونه، كما أقرّوا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة. بل هم أقلّ وأذلّ وأحقّر وأعجز عن أن يخلّقوا ذباباً أو أن يستقدوا منه شيئاً سلّبه.

ومن تدبّر هذه الآيات التي ذكرنا وما في معناها حقّ التدبّر علم يقيناً أن عبادة الأوثان مقيرون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد الله بذلك، وأنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر وإلا فأنواع التوحيد متلازمة، من أشرك غير الله معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في بيان الشرك.

ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: «كم تعبد اليوم من إله؟»، قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال ﷺ: «فمن تعدّ لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء. وتقدم أيضاً في هذه الآية أنهم إنما كان شركهم بالله في إلهيته في حالة الرخاء.

وأما في الشدة، فكانوا يخلصون الدين لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتهم لا تضرّ ولا تنفع ولا تستطيع شيئاً؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت].

وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا، ومما لم نذكر.

(١) وهو حديث ضعيف.

أخرجه الترمذي (٥١٩/٥) رقم (٣٤٨٣).

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٢٤) وقال: شيبب ضعيف، وضعفه الألباني.

والمقصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوعٌ منهما عن الآخر، وأن توحيد الربوبية لم يُنكره أحدٌ إلاً مكابرةً كفرعونَ ونمرودَ، والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(معترفاً) حال من فاعلُ تعبدٌ (بحقه) تعالى عليك وعلى جميع عباده (لا جاحداً) وحقه عليك أن تعبدَه لا تُشرك به شيئاً؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَصَّ رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وغيرها من الآيات سنذكر ما تيسر منها قريباً إن شاء الله تعالى.

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديفَ النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله تعالى على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذبَ من لا يشركُ به شيئاً»، الحديث.

### [توحيد الإلهية أرسل الله به الرسل]

(وهو الذي به الإله أرسله) رُسُلَهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ (أولاً)  
(وأنزل الكتابَ والتبَيانا) من أجله وَفَرَّقَ الْفُرْقَانَا

(وهو) أي توحيد الإلهية (الذي به الإله) عزَّ وجلَّ (أرسل رسُلَهُ) من أولهم إلى آخرهم (يدعون إليه أولاً) قبلَ كلِّ أمرٍ، فلم يدعوا إلى شيءٍ قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات افتترقت أو اتفقت، لا يُشرك معه فيها غيره؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: «نحن معاشر الأنبياء أولادُ علاتٍ، ديننا واحدٌ»<sup>(٢)</sup>، وقد

(١) البخاري (٣٤٧/١٣) رقم ٧٣٧٣، ومسلم (٥٨/١) رقم ٣٠.

(٢) البخاري (٤٧٧/٦) رقم ٣٤٤٢، ومسلم (١٨٣٧/٤) رقم ٢٣٦٥ من حديث أبي هريرة.

\* أولاد علات: قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى.

وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.

قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.

أخبر الله عز وجل عن اتفاق دعوة رسله إجمالاً وتفصيلاً، فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ، وكذلك بقية الرسل.

وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَاللَّيثِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن المغيرة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُضَفَّح، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحد أحبُّ إليه المدحةُ من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة».

وأما في مقامات التفصيل، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٥٩﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٦٥﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ

= \* ديننا واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعاً.

(١) تقدم تخريجه.

أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣] إِلَى  
 آخِرِ الْآيَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا  
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥] إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّزْتُ اتَّخَذْتُ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي آرَاكَ  
 وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ  
 الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ  
 الْآفَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي  
 لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا  
 أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ [الأنعام].

وهذا في مقام مناظرته (عليه الصلاة والسلام) لعباد الكواكب على سبيل  
 الاستدراج أو التوبيخ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه  
 الكواكب المخلوقة لحكمة الله عز وجل، المسخرة بقدرته، وغفلتهم عن خالقها  
 ومُسخرها والمتصرف فيها، وتركهم عبادته، أو إشراكهم معه فيها غيره عز وجل،  
 فلما أقام عليهم الحجة: ﴿قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ  
 لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ  
 أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي  
 كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ  
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام]، أي: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني صدقوا ووحدوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي  
 شرك؛ إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل.

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال أصحاب  
 رسول الله ﷺ: أئنا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

(١) البخاري (١/٨٧ رقم ٣٢)، ومسلم (١/١١٤ - ١١٥ رقم ١٢٤).

[لقمان: ١٣]، فالذين آمنوا بالإيمان التام الذي لم تشبهه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعة، ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله، ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة.

وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء، فباجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تامهما.

ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا آجِنْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَكَّيْتُ رَبِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُم يُقَالُ لَهُُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَٰسِيِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَتَنُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وِلْمًا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [الأنبياء] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَظَلُّوا لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧١﴾ أَوْ يَبْصُرُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٤﴾ أَأَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٥﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨١﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لَّيُرْهِمَ﴾ (٨٧) إِذ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾ إِذ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٩﴾ أَفَبِكُلِّ عَالِمَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٩٠﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٩٢﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٣﴾ فَنُفِّلُوا عَنْهُ مُدِيرِينَ ﴿٩٤﴾ فَرَأَى إِلَهَ الْهَيْمَنِ ﴿٩٥﴾ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٦﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ ﴿٩٧﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ صُرًى بِالْيَمِينِ ﴿٩٨﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٩﴾ قَالَ أَعْبُدُوا مَا تَنْحُسُونَ ﴿١٠٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٠٢﴾ [الصفات] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَعُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَعُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَعُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَعُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ [مریم]، فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضُرُّ ولا تنفع ولا تقدر على جلب خيرٍ ولا دفع شرٍّ، ولا تُغني عنه شيئاً.

فتبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهلٌ وضلالٌ، ثم بين له أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مریم: ٤٣]، وبين أن فعله ذلك عبادة للشيطان، موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان، عباداً بالله من ذلك. وقال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [العنكبوت] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١١٣﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١١٤﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾﴾، [الزخرف].

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ۖ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يَصْصِحِّي السِّجْنَ ۖ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَرِ اللَّهُ الْوَجْدَ الْفَهَارُ ﴿٣٩﴾ مَا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ  
إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَتِيمُ ﴿يوسف﴾ [الآيات وغيرها].

وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد ﷺ، فقال  
تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا  
كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ  
اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى  
أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا  
فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ  
عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرَنَّ عَلَى  
مَا ءَادَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم]، الآيات.

ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل ومحاورتهم مع قومهم وعواقب ذلك لطال  
الفصل.

وأما نبينا محمد ﷺ وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى له معهم  
فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

### [من أجل توحيد الإلهية أنزل الله الكتب]

(وأنزل) الله عز وجل (الكتاب) اسم جنس لكل كتاب أنزله الله عز وجل على  
رسله وأشهرها الأربعة، وهي:

التوراة: على موسى موعظة وتفصيلاً لكل شيء.

والإنجيل: على عيسى فيه هدى ونور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة  
وهدى وموعظة للمتقين.

والزبور: على داود الذي كان إذا قرأه أوبت معه الجبال والطيور.

والقرآن: المنزل على نبينا محمد ﷺ بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب  
ومهيماً عليه.



(والتبيانا) من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر، لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعمل به وهو الكتاب. ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها.

(من أجله) أي من أجل التوحيد (وَفَرَّقَ الْفِرْقَانَا)؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَتَهُ لِقْرَامٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَزَلَّزْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، الآيات.

وسنذكر إن شاء الله تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك، وبالله التوفيق.

### [أمر الله رسوله بقتال من تولى عنه وأبى]

(وكلف الله الرسول المجتبي قتال مَنْ عنه تولى وأبى)  
 (حتى يكون الدين خالصاً له سرّاً وجهراً دقّه وجلّه)  
 (وهكذا أمّته قد كلفوا بذا وفي نص الكتاب وُصفوا)

(وكلف الله) تعالى أي أمر أمر افتراض (الرسول المجتبي) نبينا محمداً ﷺ (قتال) مفعول كلف الثاني (من عنه) عن التوحيد (تولى وأبى) أي عرض وامتنع (حتى) غاية للقتال (يكون الدين خالصاً له) أي الله عز وجل (سراً وجهراً) لا معارض له ولا مشاقق (دقّه وجلّه) أي قليل العبادة وكثيرها وصغيرها وكبيرها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] الآية. وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نَعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْمُكْرَمَةَ فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُهُمْ وَحَدُودَهُمْ وَأَخْضَرُوهُمْ وَأَقْعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ

تَابُوا» [التوبة: ٥]، يعني رجعوا عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها.

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل»، الحديث في الصحيح<sup>(١)</sup>.

ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل، وليس هذا موضع بسطها.

(وهكذا) كما كُلف ﷺ بجهاد الكفار (أمتهم) المستجيبون له (قد كُلفوا بذا) أي الذي كُلف به (وفي نص الكتاب) القرآن (وُصِفوا) أي بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:

(١) وهو حديث متواتر له طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١ - سعيد بن المسيب عنه،

أخرجه مسلم (٥٢/١) رقم (٢٣/٢١)، والنسائي (٤/٦ - ٥، ٦، ٧)، وابن حبان (١/٢٢٠) رقم (٢١٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٥٨/٢) رقم (١٢٩٤)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٢/٢١٣)، وابن منده في «الإيمان» (١/١٦٢) رقم (٢٣) و(١/٣٥٩) رقم (١٩٩) و(١/٣٦٠) رقم (٢٠٠) من طريق الزهري عنه.

قال ابن منده (١/١٦٣): «هذا حديث غريب من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، رواه جماعة عنه غير يونس، فيهم مقال».

٢ - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عنه:

أخرجه البخاري (٣/٢٦٢) رقم (١٣٩٩) و(١٢/٢٧٥) رقم (٦٩٢٤) و(١٣/٢٥٠) رقم (٧٢٨٤) و(٧٢٨٥)، ومسلم (١/٥١) رقم (٣٢/٢٠)، وأبو داود (٢/١٩٨) رقم (١٥٥٦)، والنسائي (٥/١٤ - ١٥) و(٥/٦)، والترمذي (٥/٣) رقم (٢٦٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٢/٤٢٣، ٥٢٨)، وأبو عبيد في «الأموال» (ص ٢٣) رقم (٤٤، ٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (١/٥١٢) رقم (٩٤٥)، وابن منده في «الإيمان» (١/١٦٤) رقم (٢٤) و(١/٣٨٠) رقم (٢١٥) و(١/٣٨٢) رقم (٢١٦) من طريق الزهري عنه.

قال ابن منده: (١/١٦٥): «هذا إسناد مجمع على صحته، من حديث الزهري، وعنه مشهور».

وانظر باقي الطرق في تخريج «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» للنعناعي (ص ٦٦ - ٦٨ بتحقيقنا).

[٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، والآيات قبلها وبعدها.

ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، كانت هذه الآية كافية في نesch القلوب وتهيج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابحة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها، والله المستعان.

### [فضل شهادة أن لا إله إلا الله]

(وقد حوته لفظة الشهادة) فهي سبيل الفوز والسعادة  
 (من قالها معتقدا معناها) وكان عاملاً بمقتضاها  
 (في القول والفعل) ومات مؤمناً يُبعث يوم الحشر ناج آمناً

(وقد حوته) أي جمعته واشتملت عليه (لفظة الشهادة) أي شهادة أن لا إله إلا الله (فهي) أي هذه الكلمة (سبيل الفوز) بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(و) هي سبيل (السعادة) في الدارين أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة وعنهما السؤال يوم التلاق؛ إذ يقول تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿فَلَسْتَكُنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَسْتَكُنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم - يوم القيامة - فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ

يُؤَدِّبُهُمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿ [القصص: ٦٥]، والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك.

وأما سؤاله المرسلين، فمنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوَا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وغير ذلك من الآيات.

وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولاً قبل كل نعمة، فقال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قاله سعيد بن جبیر<sup>(١)</sup> والضحاك<sup>(٢)</sup>، وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قال ذلك عبد الله بن عباس<sup>(٣)</sup> قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل. وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِبِسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: الآيات].

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٥/٤٢١) رقم ٥٨٥٠ و ٥٨٥١) شاكراً.

وأبو السوداء، هو «عمرو بن عمران النهدي» ثقة.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٥/٤٢٢) رقم ٥٨٥٢) شاكراً.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٩/١٦٦ج/١٢٨) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة. انظر تفسير ابن كثير (٣/١٤٥).

قاله أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(١)</sup> والضحاك<sup>(٢)</sup>، ورواه عطية عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، قال ذلك البغوي<sup>(٤)</sup>. وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

روى ذلك ابن جرير<sup>(٥)</sup> وعبد الله بن أحمد<sup>(٦)</sup> والترمذي<sup>(٧)</sup> بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أخرجه في الصحيحين<sup>(٨)</sup> عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً قبل ذلك؛ إذ يقول تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، قاله

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج ٣٠/٢٢٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٥٥٣/٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج ٣٠/٢٢٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٥٥٣/٤).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج ٣٠/٢٢٠).

وقال البغوي في «معالم التنزيل» (٤٤٥/٨): «وصدق بالحسن» قال أبو عبد الرحمن والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية - العوفي - عن ابن عباس اهـ.

قلت: عطية العوفي: ضعيف، انظر: «المجروحين» (١٧٦/٢)، و«الجرح والتعديل» (٦/٣٨٢)، و«التقريب» (٢/٢٤)، و«لسان الميزان» (٧/٣٠٦).

(٤) في «معالم التنزيل» (٧/٢٢٤).

(٥) في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٦/١٠٤).

(٦) في «زوائد المسند» (٥/١٣٨).

(٧) في «السنن» (٥/٣٨٦ رقم ٣٢٦٥) وفي سنده: ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن زرعة. قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه» اهـ. وقال الألباني في «صحيح الترمذي» عنه: صحيح.

(٨) البخاري (٨/٣٧٨ رقم ٤٦٩٩)، ومسلم (٤/٢٢٠١ رقم ٢٨٧١).

عليُّ بنُ طلحةَ عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، أصلها ثابتٌ في قلب المؤمن، وفرعها العملُ الصالحُ في السماء صاعدٌ إلى الله عز وجلّ.

وكذا قال الضحاكُ وسعيدُ بنُ جبيرٍ وعكرمةٌ ومجاهدٌ وغيرُ واحد<sup>(٢)</sup>، وهي الحسنَةُ التي ذكر الله عز وجلّ؛ إذ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِمَّنْ فَزَحَّ بِوَمِيذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

قال ذلك زينُ العابدين وإبراهيمُ النخعيُّ، وعن أبي ذر<sup>(٣)</sup> مرفوعاً: «هي أحسنُ الحسنات، وهي تمحو الذنوبَ والخطايا»، وهي المثلُ الأعلى الذي ذكر الله عز وجلّ إذ يقول: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، قال ذلك قتادة<sup>(٤)</sup> ومحمدُ بنُ جرير<sup>(٥)</sup>، ورواه مالكٌ عن محمد بن المنكدر<sup>(٦)</sup>.

وهي سببُ النجاة كما في صحيح مسلم<sup>(٧)</sup> أن النبي ﷺ سَمِعَ مؤذناً يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله»، فقال ﷺ: «خرجت من النار». وفيه<sup>(٨)</sup> عن عبادة بن الصامتِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولَ الله حرم الله عليه النار».

وفي حديث الشفاعةِ الآتي<sup>(٩)</sup> إن شاء الله تعالى: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمان».

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (٥٤٩/٢) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة.

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٥٤٩/٢) عنهم.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١٠/٨ج/٥) بسند ضعيف، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٠٤/٣)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣٨/٢١ج/١١) عنه.

(٥) في «جامع البيان» (٣٨/٢١ج/١١).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤٤١/٣) فقال: «وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن المنكدر في قوله تعالى: ﴿وله المثل الأعلى﴾ قال: لا إله إلا الله».

قلت: وإسناده صحيح.

(٧) (٢٨٨/١) رقم ٣٨٢ من حديث أنس.

(٨) أي في صحيح مسلم (٥٧/١ - ٥٨ رقم ٢٩).

(٩) سياي تي تخريجه.

وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»، وفي رواية: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل».

وهي أفضل ما ذكر الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضغن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كل حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله».

وفيه<sup>(٣)</sup> عنه أيضاً عن النبي ﷺ: «أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله. قال موسى: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله».

وفي الترمذي<sup>(٤)</sup> والتسائي في المسند<sup>(٥)</sup> عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس

(١) البخاري (٤٧٤/٦ رقم ٣٤٣٥)، ومسلم (٥٧/١ رقم ٢٨).

(٢) في المسند (٢٢٥/٢) بسند صحيح.

(٣) أي في مسند أحمد، ولكنني لم أجده فيه. ولم يعزه الهيثمي في «المجمع» لأحمد، بل عزاه لأبي يعلى فقط. وقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٥٢٨/٢ رقم ١٣٩٣/٤٢٠) بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨٢/١٠) وقال: «رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف».

(٤) في السنن (٢٤/٥ - ٢٥ رقم ٢٦٣٩) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٥) لم أعثر عليه.

قلت: وأخرجه ابن ماجه (١٤٣٧/٢ رقم ٤٣٠٠)، والحاكم (٦/١، ٥٢٩)، وأحمد (٢/٢١٣).

الخلاقي يوم القيامة فيُنشر عليه تسعة وتسعين سِجلاً كل سِجلاً مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقول: أئنكر من هذا شيئاً، أظلمك كَتَبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج بطاقةً فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضُرْ وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وتفلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل كما في الترمذي<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه»، وفيه<sup>(٢)</sup> أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش».

وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر كما في المسند<sup>(٣)</sup> وغيره<sup>(٤)</sup> عن

= قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي في سنن الترمذي (٥/٥٣٦ رقم ٣٥١٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي» اهـ.

وهو حديث ضعيف، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٧٠٠)، وضعيف الجامع رقم (٢٥٠٩).

(٢) أي في «سنن الترمذي» (٥/٥٧٥ رقم ٣٥٩٠) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ.

وهو حديث حسن، وقد حسنه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٨٣٩).

(٣) لم أعر عليه في المسند.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٨٧)، وفي «الدعاء» (٣/١٤٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٥٨٢) من طريق يحيى الحماني - به.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٨٢ - ٨٣) وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٤٥) من طريق مجاشع بن عمرو - به.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٨٣) وفيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف.

قلت: بل هو متروك.



النبي ﷺ، قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله وقد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن».

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، وسنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» الحديث، وهذا لفظ مسلم.

### [حسن عاقبة من قالها معتقداً معناها وكان عاملاً بمقتضاها]

(من قالها) أي قال هذه الكلمة حال كونه (معتقداً) أي عالماً ومُتيقناً (معناها) الذي دلّت عليه نفيًا وإثباتاً (وكان) مع ذلك (عاملاً بمقتضاها) على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم بالعمل به (في القول) أي قول القلب واللسان (والفعل) أي عمل القلب واللسان والجوارح، قال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

(ومات مؤمناً) أي على ذلك، وهذا شرط لا بد منه، فإنما الأعمال بالخواتيم، قال ﷺ: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»، الحديث في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن أبي ذر بطوله.

(يبعث يوم الحشر) أي يوم الجَمْع (ناج) من النار (آمناً) من فرع يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۚ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۚ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۚ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ

(١) البخاري (١/٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/٦٣ رقم ٣٥).

(٢) البخاري (١٠/٢٨٣ رقم ٥٨٢٧)، ومسلم (١/٩٥ رقم ١٥٤).

الْأَكْبَرُ وَنَنَلَقَهُمُ الْمَلِيكَةَ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣٦﴾ [الأنبياء]،  
 وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

### [معنى شهادة أن لا إله إلا الله]

(فإن معناها الذي عليه      دلّت يقيناً وهدت إليه)  
 (أن ليس بالحقّ إله يُعبَدُ      إلا الإله الواحد المنفرد)  
 (بالخلق والرزق وبالتدبير      جلّ عن الشريك والنظير)

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمة (الذي عليه) متعلّق بقوله (دلّت) بصريح لفظها (وهدت) أي أرشدت (إليه) هو (أن ليس بالحق) متعلّق بيُعبد (إله) هو اسم ليس ومُنْفِيهَا، والنكرة في سياق النفي تعمّ، والحكم المنفي (يعبد) الذي هو متعلّق بالحق والاستحقاق فيخرج ما عبّد بباطل، ولذا سمّاه المشركون إلهاً، فتسميته بذلك باطله فلا يستحق أن يُعبّد.

فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، لا إله - نافية جميع ما يُعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، إلا الله - مثبتاً العبادة لله فهو الإله الحقّ المستحقّ للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف بحق هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديره بوجود فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كلّ معبود عبّد بحق أو باطل هو الله، فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله، فيكون ذلك كلّهُ توحيداً، فما عبّد على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا العبادُ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل، وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع، وتكذيب بكل ذلك، وتزكية لكل كافر من أن يكون كافراً، إذ كلّ ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحداً، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

فإذا فهمنا هذا، فلا يجوز تقدير الخبر موجود، إلا أن يُنعت اسم لا (بحق) فلا بأس، ويكون التقدير لا إله حقاً موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا.

(إلا الإله الواحد المنفرد. بالخلق والرزق والتدبير. الخ)، وهو الله سبحانه وتعالى، أي هو الإله الحق، فكما تفرّد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفخ والضّر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيّته ولم يُشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها، وتفرّد بالأسماء الحسنى والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يُشبهه شيء فيها، فكذلك تفرّد سبحانه بالإلهية حقاً فلا شريك له فيها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثُوا عَلَىٰ بَعْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ هُمْ يَشْرِكُونَ ﴿٧١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٧٢﴾ لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء].

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْنَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ أَقْرَبُ إِلَهُكُمْ مِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

أَتَتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتَرَوْهُ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿[الأحقاف: ٤]﴾، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿[الرعد: ١٦]﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [ص].

### [سبعة شروط يتوقف عليها الانتفاع بالشهادة]

(وبشروط سبعة قد قُيدت وفي نصوص الوحي حقاً وردت) (فإنه لم ينتفع قائلها) (بالتطرق إلا حيث يستكملها) (وبشروط سبعة) متعلق بقيدت (قد قيدت) أي قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار.

(وفي نصوص الوحي) من الكتاب والسنة (حقاً وردت) صريحة صحيحة (فإنه) أي الشأن وذلك علته تقيدها بهذه الشروط السبعة (لم ينتفع قائلها) أي قائل لا إله إلا الله (بالنطق) أي بنطقه بها مجرداً (إلا حيث يستكملها) أي هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له أعدّها لم يحسن ذلك. وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان.

(العلم واليقين والقبول) والانقياد فأدر ما أقول) (والصدق والإخلاص والمحبة) وفقك الله لما أحبه

هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة، فأضغ سمعك وأحضِر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعلقها، ثم اعمل على وفق ذلك، تفرّ بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله عز وجل، كما وعد الله تعالى ذلك أنه لا يخلف الميعاد.

### [١ - العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا]

الأول (العلم) بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، قال الله

عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي بلا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَبْدُوءُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

## [ ٢ - اليقين المنافي للشك ]

(واليقين) أي والثاني اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يُغني فيه إلا علمُ اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين - والعياذ بالله - الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وفي الصحيح<sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍ فيهما إلا دخل الجنة».

(١) في صحيح مسلم (١/٥٥ رقم ٢٦/٤٣).

(٢) في صحيح مسلم (١/٥٥ - ٥٦ رقم ٢٧/٤٤).

وفي رواية<sup>(١)</sup>: «لا يلقي الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍ فيهما فيحجَبُ عن الجنة».

وفيه<sup>(٢)</sup> عنه ﷺ من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه، فقال: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ مستيقِناً بها قلبه فبشَره بالجنة» الحديث، فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقِناً بها قلبه، غير شاكٍ فيها، وإذا انتفى الشرطُ انتفى المشروطُ.

### [ ٣ - قبول مقتضاها بالقلب والإقرار به باللسان ]

(و) الثالث (القبول) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قصَّ الله عزَّ وجلَّ علينا من أبناء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامه ممن رَدَّها وأبأها؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١٢﴾ ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الزخرف]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعدَّه لمن رَدَّها من العذاب؛ كما قال تعالى: ﴿﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَفَوْقَهُمْ فِيهِمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات] إلى قوله: ﴿﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات].

فجعل الله تعالى عِلَّةَ تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم مَنْ جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يُثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً: ﴿﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ اللَّامُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سِعَعْنَا بِهَذَا فِي آلِمَّةِ الآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخِلِقُ ﴿٧﴾﴾ [صر]، وقالوا

(١) في صحيح مسلم (١/٥٦ - ٥٧ رقم ٢٧/٤٥).

(٢) أي في صحيح مسلم (١/٥٩ - ٦٠ رقم ٣١/٥٢).

ههنا: ﴿إِنَّا لَتَارِكُوا آلَهُنَّآ لِسَاعِ الْجُبُونِ﴾ [الصفات: ٣٦]، فكذبهم الله عز وجل ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٣٧] إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [٤١] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٢﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٣﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الصفات] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

#### [ ٤ - الانقياد لما دلت عليه ]

(و) الرابع (الانقياد) لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، قال الله عز وجل: ﴿رَأَيْبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، أي: بلا إله إلا الله ﴿وَالِىٰ اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد، وهو محسنٌ موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعنى بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ إِلَّا نَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنْتِهِم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [٣٣] ﴿نُتِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان].

وفي حديث صحيح<sup>(٢)</sup> أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

(١) البخاري (١/١٧٥ رقم ٧٩)، ومسلم (٤/١٧٨٧ رقم ٢٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٥)، والبيهقي في «المدخل» (ص ١٨٨)، وابن =

## [ ٥ - الصدق المنافي للكذب ]

(و) الخامسُ (الصدق) فيها، المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿الْمَ ۙ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۝﴾ [العنكبوت]، إلى آخر الآيات.

وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝﴾ [البقرة].

وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك.

= بطة في «الإبانة» (٣٨٧/١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٩/٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٢١٢/١ - ٢١٣ رقم ١٠٤)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٨)، والحسن بن سفيان السوي في «الأربعين» له رقم (٩).

كلهم عن نعيم بن حماد، وهو ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم. وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٤/٢): «تصحیح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه: (منها): أنه حديث يتفرد به نعيم بن حماد المروزي، ونعيم هذا وإن كان وثقه جماعة من الأئمة، وخرّج له البخاري، فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن، لإصلاّبه في السنة، وتشدّده في الرّدّ على أهل الأهواء، وكانوا ينسبونه إلى أنه يهّم ويُشبهه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثر عثورهم على مناكيره، حكموا عليه بالضعف...»

(ومنها): أنه قد اختلف على نعيم في إسناده، فروي عنه، عن الثقفى، عن هشام، وزوي عنه عن الثقفى، حدّثنا بعض مشيختنا هشام أو غيره، وعلى هذه الرواية، فيكون شيخ الثقفى غير معروف عينه، وزوي عنه، عن الثقفى، حدّثنا بعض مشيختنا حدّثنا هشام أو غيره، فعلى هذه الرواية، فالثقفى رواه عن شيخ مجهول، وشيخه رواه عن غير معيّن، فتزادُ الجهالة في إسناده. (ومنها): أن في إسناده (عقبة بن أوس السدوسي البصري) ويقال فيه يعقوب بن أوس أيضاً، وقد خرّج له أبو داود والنسائي وابن ماجه حديثاً عن عبد الله بن عمرو ويقال: عبد الله بن عمرو، وقد اضطرب في إسناده، وقد وثقه العجلي، وابن سعد، وابن حبان، وقال ابن خزيمة: روى عنه ابن سيرين مع جلالته، وقال ابن عبد البر: هو مجهول... وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.



وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمته الله على النار»، فاشترط في إنجاء مَنْ قال هذه الكلمة من النار - أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطاة القلب.

وفيهما<sup>(٢)</sup> أيضاً من حديث أنس بن مالك<sup>(٣)</sup> وطلحة بن عبيد الله<sup>(٤)</sup> رضي الله عنهما من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق»، وفي بعض الروايات<sup>(٥)</sup>: «إن صدق ليدخلن الجنة»، فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقاً.

## ٦ - الإخلاص وتصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك

(و) السادس (الإخلاص) وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] الآية، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ [النساء]، وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح<sup>(٦)</sup> عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

(١) البخاري (١/٢٢٦ رقم ٢٨)، ومسلم (١/٦١ رقم ٣٢).

(٢) أي في الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (١/١٤٨ - ١٤٩ رقم ٦٣)، ومسلم (١/٤١ - ٤٢ رقم ١٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٤٠ - ٤١ رقم ١١).

(٥) أخرجه مسلم رقم (١٢) من حديث أنس.

(٦) البخاري (١/١٩٣ رقم ٩٩) و(١١/٤١٨ رقم ٦٥٧٠).

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل».

وفي جامع الترمذي<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصاً إلا فُتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وللتسائي في اليوم والليلة<sup>(٣)</sup> من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يُعطيَه سؤله».

[٧ - محبة هذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه

ومحبة أهلها العاملين بها]

(و) السابع (المحبة) لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبُغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِّ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يُشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مُدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونه كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يُبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه.

(١) البخاري (٥١٩/١ رقم ٤٢٥)، ومسلم (٤٥٥/١ - ٤٥٦ رقم ٢٦٣/٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ص ١٥٠ رقم ٢٨ بسند ضعيف فيه: محمد بن عبد الله بن ميمون بن مُسَيِّكة. قال عنه

ابن حجر في «التقريب» رقم (٦٠٥١): مقبول.

وفيه أيضاً: يعقوب بن عاصم، قال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٧٨٢٠): مقبول.

وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَفَىٰ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَةً فَمَنِ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصي الله به من الذنوب فسببه تقديماً العبد هواه على أوامر الله عز وجل ونواهيه، وقال تعالى في شأن الموالاتة والمعاداة فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَةَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة] الآيتين. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»، أخرجاه<sup>(١)</sup> من حديث أنس رضي الله عنه.

وفيها<sup>(٢)</sup> عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن

(١) البخاري (٧٢/١ رقم ٢١)، ومسلم (٦٦/١ رقم ٤٣/٦٨).

(٢) البخاري (٥٨/١ رقم ١٥)، ومسلم (٦٧/١ رقم ٤٤/٧٠) من حديث أنس.

أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين».

وفي كتاب الحجة<sup>(١)</sup> بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخير عن الله، والأمر بما يحبه الله ويرضاه، والنهي عما يكرهه ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه، وإن كان ذلك مخالفاً لهواه كان مؤمناً حقاً، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك، وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس<sup>(٣)</sup> رضي الله عنهما: (من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما ثنأ ولاية الله بذلك). وقد أصبح غالب مواخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً.

وقال الحسن البصري<sup>(٤)</sup> وغيره من السلف: (ادعى قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

= \* البخاري (٥٨/١) رقم ١٤) من حديث أبي هريرة.

(١) كتاب «الحجة» لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة على تارك المحجة» يتضمن أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة. انظر «جامع العلوم والحكم» (٢/٣٩٣) لابن رجب.

وقد تقدم تخريج الحديث قريباً وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/٢٢٣ - ٢٢٤)، و«الأوسط» رقم (٤٤٧٩) و«الكبير» رقم (١٠٥٣١)، و«الطيالسي» (١/٢٣ - منحة المعبود) ومن طريقه البيهقي في «الآداب» رقم (٢٢٨) من طريق الصعق بن حزن، عن عقيل بن الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/٩٠) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث» اهـ.

قلت: وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣/٤٠٨): «حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به»، ثم أورد ما قاله البخاري.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/٣٦٨) رقم (١٦٦١٩) وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٢٠) من طريق سفيان عن ليث.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٦٨٤٥) و(٦٨٤٦) عنه وهو مرسل.

وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ [آل عمران].

وقال البخاري<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا فَلَيْحٌ قَالَ: حَدَّثَنَا هَلَالُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ أَبِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي».

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِبَادَةَ أَخْبَرَنَا يَزِيدُ حَدَّثَنَا سَلِيمٌ - وَأُنْتَى عَلَيْهِ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاء حَدَّثَنَا - أَوْ سَمِعْتُ - جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: إِنْ لَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَاصْرَبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنْ مِثْلَهُ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدِبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدِبَةِ. فَقَالُوا: أَوْلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ <sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكرهه ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى وما يرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزماً لمحبة

(١) في صحيحه (٢٤٩/١٣) رقم (٧٢٨٠).

ووهم الحاكم فاستدركه (٥٥/١) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٩/١٣) رقم (٧٢٨١).

فَرَّقَ: بتشديد الراء فعلاً ماضياً.

وفرق: بسكون الراء والتثوين، وكلاهما متجه. قاله ابن حجر في «الفتح» (٢٥٦/١٣). والمعنى: أي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

رسول الله وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرَن محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن؛ كقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِئْتَرُوهَا وَبِحُكْمٍ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وغير ذلك من الآيات.

## [أحاديث أن الشهادتين سبب دخول الجنة]

### لا تنافي أحاديث الوعيد

ثم اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينها وبين أحاديث الوعيد التي فيها: من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام، أو لا يدخل الجنة من فعل كذا، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر النبي ﷺ، وبأن أهل الجنة أيضاً متفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل، فيكون فاعلُ هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أُعدت لمن لم يرتكبها، أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب.

وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار، وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حُمماً، لإمكان الجمع بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة، فحينئذ قد حُرِّموا عليها فلا تَمَسُّهم بعد ذلك، أو أن يكون المراد أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أُعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله تعالى عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد. وهذه إشارة كافية في هذا الموضوع، وسنذكر إن شاء الله تعالى بسط ذلك في موضعه عند ذكر الشفاعات، ونذكر الأحاديث التي فيها هذا وهذا، والأحاديث التي يكون بها الجمع بين ذلك.

وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في هذا الباب كلاماً حسناً بعد

سِيَاقِهِ حَدِيثٌ مَعَاذٍ وَحَدِيثُ عَتْبَانَ وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ وَحَدِيثُ عُبَادَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ.

قال: وأحاديثُ هذا البابِ نوعان: أحدهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يُحَجَّبَ عنها، وهذا ظاهرٌ، فإن النارَ لا يخلدُ فيها أحدٌ من أهل التوحيد الخالص، بل يدخل الجنة ولا يُحجب عنها إذا طُهر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنة بلا عقابٍ قبل.

وحديثُ أبي ذرٍّ معناه أن الزنا والسرقَةَ لا يمتنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حقٌّ لا مِرْية فيه، وليس فيه أن لا يُعذَّبَ عليها مع التوحيد، وفي مسند البزار<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من الدهر يُصيبه قبل ذلك ما أصابه».

الثاني: فيه أن يُحرَّم على النار، وقد حمّله بعضهم على الخلود فيها أو على ما يُخلد فيها أهلها، وهي ما عدا الدرك الأعلى من النار، فإن الدرك الأعلى يدخله كثيرٌ من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup>: «أن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأُخرجنَّ من النار من قال لا إله إلا الله».

(١) (١٠/١ رقم ٣)، وقال البزار. وهذا لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، ورواه عيسى بن يونس عن الثوري عن منصور أيضاً، وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً ورفع أصح.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧/١) وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» - رقم (٤٠٥ مجمع البحرين) والصغير - (١٤٠/١) - ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤٦/٥)، والخطيب في «الموضح» (٢٠٥/٢) من طريق سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف عن الأغز، عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وذكره السيوطي في جامعه (١٨٨/٦) ورمز لحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٣٤)، وأورده في «الصحيحة» رقم (١٩٣٢).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) البخاري (٤٧٣/١٣ - ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١٨٢/١ - ١٨٤ رقم ١٩٣). من حديث أنس الطويل في الشفاعة، وقد ذكر في عدة مواطن من هذا الكتاب.

وقالت طائفة من العلماء<sup>(١)</sup>: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن وهب بن منبه وهو أظهر.

وقال الحسن للفرزدق وهو يدين امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة، لكن لا إله إلا الله شروطاً، فإياك وقذف المحصنات.

وقيل للحسن<sup>(٢)</sup>: «إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة».

وقال وهب بن منبه<sup>(٣)</sup> لمن سأله: «أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يفتح لك».

وهذا الحديث: «إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله»، أخرجه الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/٥٢٢).

(٢) أخرج الطبراني في «الكبير» رقم (٥٠٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٥٤) من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «إخلاصه أن يحجزه عما حرم الله عليه». وفي إسناده أبو داود نفي متروك وقد كذبه ابن معين. والهيثم بن جمار: ضعيف.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» رقم (١٢٣٥) من طريق آخر وفيه عبد الرحمن بن غزوان، قال الهيثمي في «المجمع» (١٨/١) «وهو ضاع» اهـ.  
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» معلقاً (٣/١٠٩)، وقد وصله البخاري في «التاريخ» (١/٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٦٦).

(٤) لم أجده في المسند بهذا اللفظ.  
بل وجدته في المسند (٥/٢٤٢)، والبزار (١/٩ رقم ٢ - كشف)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٥٦) من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً بلفظ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» بسند منقطع ضعيف.  
شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ.  
وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها.



بإسناد منقطع عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل لا إله إلا الله».

ويدل على هذا كون النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، كما في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أبي أيوب أن رجلاً، قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «تعبد الله لا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».

وفي صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله لا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا».

وفي المسند<sup>(٣)</sup> عن بشير بن الخصاصية، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبأعه، فاشتراط عليّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن أقيم الصلاة وأن أوتي الزكاة وأحجّ حجة الإسلام وأن أصوم رمضان وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله ما أطيعهما، الجهاد والصدقة. فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حركها وقال: «فلا جهاد، ولا صدقة! فبم يدخل الجنة إذا؟» قلت: أبأبعك، فبأبعته عليهن كلهن.

ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج.

ونظير هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله

(١) البخاري (٤١٤/١٠ رقم ٥٩٨٣)، ومسلم (٤٢/١ - ٤٣ رقم ١٣).

(٢) في صحيحه (٤٤/١ رقم ١٤). قلت: وأخرجه البخاري (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٧).

(٣) أي في مسند أحمد (٥/٢٢٤) بسند حسن.

وفيه أبو المشنى العبدي واسمه (مؤثر بن عفارة العبدي الكوفي) لم يجرحه أبو حاتم، ووثقه ابن حبان. وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»<sup>(١)</sup>، ففهم عمرُ وجماعةٌ من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصديق ﷺ أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»، وقال: الزكاة حقُّ المال. وهذا الذي فهمه الصديق ﷺ قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحدٍ من الصحابة منهم ابنُ عمرَ وأنسٌ وغيرُهما<sup>(٢)</sup>، وأنه قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»، ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، ولا تُثَبَّتْ إِلَّا بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ مَعَ التَّوْحِيدِ، ولما قرَّر أبو بكر ﷺ هذا للصحابة رجَّعوا إلى قوله ورأوه صواباً، فإذا علِمَ أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عن أدَى الشهادتين مطلقاً، بل يعاقب بإخلاله بحقٍّ من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة.

وقد ذهبت طائفةٌ إلى أن هذه الأحاديثُ المذكورةُ أولاً وما في معناها كانت قبل نزولِ الفرائضِ والحدود، منهم الزهريُّ والثوريُّ وغيرُهما، وهذا بعيدٌ جداً، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزولِ الفرائضِ والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوةِ تبوكَ وهي في آخر حياةِ النبي ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديثُ منسوخةٌ، ومنهم من يقول هي محكمةٌ ولكن ضُمَّ إليها شرائطُ، ويلتفت هذا إلى أن زيادةَ النصِّ هل هي نسخٌ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهورٌ، وقد صرح الثوريُّ بأنها منسوخةٌ، وأنه نسختها الفرائضُ والحدود.

وقد يكون مرادهم بالنسخ البيانَ والإيضاحُ، فإن السلفَ كانوا يطلقون النسخَ على مثل ذلك كثيراً ويكون مرادهم أن آياتِ الفرائضِ والحدودِ تبين توقفَ دخولِ أهلِ الجنةِ والنجاةِ من النارِ على فعلِ الفرائضِ واجتنابِ المحارمِ، فصارت

(١) أخرجه البخاري (١/٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/٥٣ رقم ٢٢) من حديث ابن عمر.

\* وأخرجه البخاري (١/٤٩٧ رقم ٣٩٢) من حديث أنس.

\* وقد تقدم حديث أبي هريرة قريباً مع بيان طرقه.

(٢) تقدم تخريجها آنفاً.

النصوص منسوخة أي مبيّنة مفسرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي مفسرة لمعنى تلك النصوص موضحة لها.

وقالت طائفة: تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر، ففي بعضها: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»<sup>(١)</sup>، وفي بعضها: «مستيقناً»<sup>(٢)</sup>، وفي بعضها: «مصدقاً بها قلبه لسانه»<sup>(٣)</sup>، وفي بعضها: «يقولها من قلبه»<sup>(٤)</sup>، وفي بعضها: «قد ذلّ بها لسانه واطمأنّ بها قلبه»<sup>(٥)</sup>.

وهذا كلّه إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يألّه قلبه غير الله حباً ورجاءً وخوفاً وطمعاً وتوكللاً واستعانةً وخضوعاً وإنابةً وطلباً.

وتحقّقه بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ أن لا يُعبَدَ بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»، قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال: «أن تحبّرك عما حرّم الله عليك»، وهذا يُروى من حديث أنس بن مالك<sup>(٦)</sup> وزيد بن أرقم<sup>(٧)</sup>، ولكن إسنادهما لا يصح.

وجاء أيضاً من مراسيل الحسن نحوه، وتحقّق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله غير الله، والإله الذي يطاع ولا يُعصى هيبته وإجلاله ومحبةً وخوفاً ورجاءً وتوكللاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٦٤)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٢١/١)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه.

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٤/١٢) وفي سننه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان كان يضع الحديث، فهو حديث موضوع.

(٧) تقدم تخريجه قريباً.

كله لغير الله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله عز وجل أو خوفه أو رجاؤه أو التوكل عليه أو العمل، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الربا، وعلى الحليف بغير الله عز وجل، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: ما لي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضرر كالطيرة<sup>(١)</sup> والرقي المكروهة<sup>(٢)</sup> وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون<sup>(٣)</sup>.

(١) الطيرة: بكسر المهملة وفتح التحتانية، وقد تسكن - هي: التشاؤم بالشين - وهو مصدر تطير مثل تحير حيرة. قال بعض أهل اللغة: لم يجئ من المصادر هكذا غير هاتين. [فتح الباري: (١٠/٢١٢)].

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/٢٧٨): «الشؤم في كلام العرب النحس، وكذلك قال أهل العلم بتأويل القرآن، في قوله عز وجل: ﴿في أيام نحسات﴾ [فصلت: ١٦] قالوا: مشائيم.

قال أبو عبيدة: نحسات ذوات نحوس مشائيم، انتهى.

(٢) (منها): الرقي التي فيها الاستعاذة بغير الله، والاستغاثة بالجن ونحوها. والاستعانة بالروحانيات مما يُضاد العقيدة، ويؤدي بالإنسان إلى الشرك.

(ومنها): الرقي التي يعتمد عليها بعض الناس اعتماداً كلياً، ويظن أنها مؤثرة بذاتها، ولم يقف بها عند مرحلة السببية التي لا تؤثر إلا بقدرة الله ومشيئته.

(ومنها): الرقي التي يعتقد بها بعض الناس أنها هي الشافية، وهذا معارض للعقيدة الصحيحة التي ذكرها الله في كتابه وعلى السنة رسله.

(٣) «الكهانة - بفتح الكاف ويجوز كسرهما - ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن. والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم: ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه. وقال في «المحكم»: الكاهن القاضي بالغيب. وقال في «الجامع»: العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً. وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه.

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذح في تمام التوحيد وكمالِهِ، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفس أنها كفرٌ وشركٌ كقتال المسلم ومن أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرِها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجُه من الملة بالكلية، ولهذا قال السلف: كفرٌ دون كفر، وشركٌ دون شرك، وقد ورد إطلاقُ الإله على الهوى المتبّع، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوِيَّهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال الحسن<sup>(١)</sup> رحمه الله: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبهُ.

وقال قتادة<sup>(٢)</sup>: هو الذي كلما هوى شيئاً ركبهُ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزُه عن ذلك ورعٌ.

وروي من حديث أبي أمامة مرفوعاً بإسناد ضعيف: «ما تحت ظل السماء إلهٌ يعبد أعظمُ عند الله من هوى متبّع»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر: «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك رُدّت عليهم ويقال لهم كذبتم»<sup>(٤)</sup>.

= وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم... اهـ. (فتح الباري ١٠/٢١٦ - ٢١٧).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٦/٢٦٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/٢٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣) بإسناد مسلسل بالمتروكين.

عيسى بن إبراهيم وهو ابن طهمان الهاشمي، وابن دينار وهو الحسن بن دينار أبو سعيد التميمي، والخصيب وهو ابن جحدر، وهذا أو الذي قبله كذبهما جماعة.

قال ذلك الألباني في «ظلال الجنة» (٨/١).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٨٨) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث».

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/١٣٩) وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة ضعاف، والحسن بن دينار والخصيب كذابان عند علماء النقل» اهـ.

وانظر: الآلئ المصنوعة (٢/٣٢٢)، وتنزيه الشريعة (٢/٣٠٣).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/٩٥ رقم ٤٠٣٤/١٢٧٩) من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف جداً.

ويشهد لهذا الحديث الصحيح<sup>(١)</sup> عن النبي ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ القَطِيفَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»، فدلَّ هذا على أن من أحب شيئاً وأطاعه، وكان من غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه.

ويدلُّ عليه أيضاً أن الله تعالى سُمي طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَ لَّا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]، فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص بعبودية الرحمن وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فهم الذين حققوا قول لا إله إلا الله وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبةً ورجاءً وخشيةً وطاعةً وتوكلًا، وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا الله، وهم عبادُ الله حقاً. فأما من قال لا إله إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب قوله فعله، ونقص من كمال توحيدِه بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [الفصص: ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. ثم قال رحمه الله: فيا هذا كُنْ عبداً لله لا عبداً للهوى، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار. ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

«تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ»<sup>(٢)</sup>، والله لا ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده، ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلهه ومعبوده فردٌ فليفرِّده بالعبودية ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

= وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢٠٨/٣، ٢٤٦ رقم ٣٢٧٤، ٣٣٩٦) وعزاه إلى أبي يعلى.

وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف عمر بن حمزة».

(١) أخرجه البخاري (٨١/٦ رقم ٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) وهو حديث صحيح، وقد تقدم آنفاً.

[ال] فصل: [الثالث]

في تعريف العبادة: وذكر بعض أنواعها  
وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك





## [تمهيد]

قد عرفت مما قدّمنا في معنى لا إله إلا الله أن الإله هو المألوه الذي تألّهه القلوب، أي تعبده محبةً وتذلاًّ وخوفاً ورجاءً ورغباً ورهباً وتوكلأً عليه واطراحاً بين يديه، واستعانةً به، والتجاءً إليه، وافتقاراً إليه. وذلك لا ينبغي إلا لله عز وجل خالق كل شيء ومُصوِّره ومُصرِّفه ومُدبِّره، مُبدي الخلقِ ومعيده، ومُخَيِّه ومُبيده، الفعّال لما يريد، الذي هو على كل شيء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿وَإِن يَمَسُّنَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر].

والعبد إن أريد به المُعبَّد أي المُذللُّ المُسخَّرُ دخل فيه جميعُ المخلوقات من جميع العالم العلويّ والسُّفليّ من عاقل وغيره ومن رطب ويابس ومتحرك وساكنٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومؤمنٍ وكافرٍ وبرٍّ وفاجرٍ، وغير ذلك، الكلُّ مخلوقٌ لله عز وجل مسخَّرٌ بتسخيره مدبَّرٌ بتدبيره، ولكل منها رسمٌ يقف عليه وحدٌ ينتهي إليه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبِغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلْتُل سَائِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، كلُّ يجري لأجل مسمّى لا يتجاوزه مثقال ذرة، ذلك تقديرُ العليم، وتدبيرُ العدل الحكيم.

وإن أريد به العابدُ خُصَّ ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثرُ المشركين يعبدون الله عز وجل ويتقربون إليه بكثير من العبادات، لكن لما عبدوا مع الله غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباءً منثوراً: ﴿كَرَّمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، و﴿كَثَلٌ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، و﴿كَرَابٍ بِقِعَعٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، ﴿أَوْ كَطَلْمَنَةٍ فِي بَحْرِ لُجِيِّ يَغْسَلُهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ بَدَنَهُ لَمْ يَكِدْ رَبُّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ

اللَّهُ لَكُمْ نُورًا فَمَا لَكُمْ مِنْ نُورٍ ﴿النور: ٤٠﴾، ذلك بأنهم: ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠]، و﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَحَبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وتولوا الطاغوت فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطان وقد عهد الله إليهم أن لا يعبدوه، وبين لهم عداوته، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

فخالفوا أمر الله وتولوا أعداءه وكذبوا رسله وأنبياءه وحاربوا حزبه وأوليائه. وأرادوا تشييد الكفر وإعلاءه ورد الحق وإيائه، فأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر أوليائه ويحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ويجعل حزبه هم الغالبيين، ويجعل العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

لكن المؤمنون هم عباده حقاً، الذين أفردوه بالهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسؤوا شيئاً من خلقه به. أولئك الذين تُضاعف لهم الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ كما قال تعالى في الأولى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال في الثانية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال في الثالثة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

تولوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور الرشاد.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ملأ الله قلوبهم بنور معرفته ومحبيته والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره، دنا الشيطان من قلوبهم فاحترق بنور إيمانهم فنكص على عقبه خاسئاً حسيراً، وأيس منهم أن يُطيعوه فانقلب مذموماً مدحوراً، فعند ذلك عزى نفسه للعين وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَرِئَسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، حفظوا الله فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرّفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدّقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره، وانكفّوا عما نهى عنه، ثم تجرّدوا لنصرة دينه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله، ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجا طوعاً وكرهاً، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل، نصرّوا الله فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم. عرفوا ما خلّقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يعينهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصّة الله من خلقه والمُضطّفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

### [معنى العبادة]

(ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار.

(هي اسم جامع لكل ما) يُحب (ويرضى) مبني للمعروف، فاعله (الإله السامع) وهو الله عز وجل، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصوم والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، وتعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله عز وجل وغير ذلك.

والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكّل عليه والرغبة والرهبّة إليه، والاستعانة به، والحبّ والبغض في الله والموالات والمعاداة فيه، وغير ذلك.

ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب. ومناط العبادة هي غاية الحبّ مع غاية الذلّ، ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مُزجج»، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده

بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ موحدٌ<sup>(١)</sup> اهـ.

قلت: وبيانٌ كلامهم هذا أن دعوى الحبِّ لله بلا تذللٍ ولا خوفٍ ولا رجاءٍ ولا خشيةٍ ولا رهبةٍ ولا خضوعٍ دعوىٌ كاذبةٌ. ولذا ترى من يدّعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عزَّ وجلَّ ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيعٌ لها، وهذا شأنُ المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وغير ذلك. وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس؛ إذ قال ﴿رَبِّ يَا أَغْوَيْنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. وإنما المحبةُ نفسٌ وفاقِ العبدِ ربِّه: فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه.

وإنما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى: ادّعى قومٌ محبةَ الله فابتلاههم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمن ادّعى محبةَ الله ولم يكُ متبعاً رسوله فهو كاذبٌ.

وقال الشافعي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: (إذا رأيتم الرجلَ يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدّقوه حتى تعلموا متابعتَه لرسول الله ﷺ).

وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبدُ تجراً على معاصي الله وأمن مكر الله، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبدُ ساء ظنّه بربه وقنط من رحمته ويئس من رَوْحه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، فالأمن من مكر الله خسرانٌ، واليأس من رَوْحه كفرانٌ، والقنوط من رحمة الله ضلالٌ وطُغيانٌ، وعبادةُ الله عزَّ وجلَّ بالحب والخوف والرجاء توحيدٌ وإيمانٌ، فالعبدُ المؤمنُ بين الخوف والرجاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَائِنَا آلُ نِجْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾

(١) انظر كتاب «العبودية» لابن تيمية (ص ٣٨ - ٥٦).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/٤٥٣)، و«آداب الشافعي» (ص ١٨٤).

[الزمر: ٩]، وَبَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آلِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فَتَارَةً يُمَدُّه الرِّجَاءُ وَالرِّغْبَةُ فَيُكَادُ أَنْ يَطِيرَ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ، وَطَوْرًا يَقْبِضُهُ الْخَوْفُ وَالرَّهْبَةُ فَيُكَادُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ دَائِبٌ فِي طَلَبِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ، مُقْبَلٌ عَلَيْهِ، خَائِفٌ مِنْ عِقُوبَاتِهِ مُلْتَجِيٌّ مِنْهُ إِلَيْهِ، عَائِذٌ بِهِ مِنْهُ، رَاغِبٌ فِيهَا لَدَيْهِ.

وكذلك هو في صفات الله عز وجل لا ناف ولا مُشَبَّه، وفي أفعال العباد لا جبري ولا قدري، وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته ليس بنبي النصب ولا التشيع، وفي الوعد والوعيد ليس بخارجي ولا مُرجي.

فدينُ الله بين العُلُوِّ والجفاء، والتفريط والإفراط، وخير الأمور الأوساط.

وللعبادة ركنان لا قوامَ لها إلا بهما وهما: الإخلاصُ والصدق، وحقيقَةُ الإخلاص أن يكون قصدُ العبيدِ وجهَ الله عز وجل والدارَ الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَلَى ﴿٧﴾ الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿٩﴾ إِلَّا أَتَيْنَاهُ بِجَدِّهِ الرَّهْبِيِّ ﴿١٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿١١﴾﴾ [الليل]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْتُمْ مُؤَجَّلُونَ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَخَّرْنَا الشَّكْرَيْنَ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَلْسِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاقَتْ أَكْلَهَا

ضَعَفْتِ فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَإِلْ فَطَلَّ وَاللَّهِ يَمَا تَعْمَلُونَ بِصِيدٍ ﴿٢١٥﴾ [البقرة].

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وفي صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم».

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

ولو ذهبنا نذكر أحاديث الإخلاص لطلال الفصل.

وأما الصدق فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، والاستعداد للقاء الله، وترك العجز، وترك التكاسل عن طاعة الله، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية، وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [١] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [٢] إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَمَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعٰلَمِينَ﴾ [٣] وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰفِقِينَ﴾ [٤] [العنكبوت].

(١) البخاري (٩/١) رقم (١)، ومسلم (٣/١٥١٥) رقم (١٩٠٧).

(٢) في صحيحه (٤/١٩٨٧) رقم (٢٥٦٤).

(٣) البخاري (٦/٢٧) رقم (٢٨١٠)، ومسلم (٣/١٥١٢) رقم (١٩٠٤).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالضَّرَّاءَ وَالزُّرْلُونَ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٢١٦﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَكَايْنٍ مَنِ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [آل عمران] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالضَّالِّينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وفي الحديث الآخر: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) في صحيح مسلم (٤/٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٢٤)، والترمذي (٤/٦٣٨ رقم ٢٤٥٩) وقال: حديث حسن.

وابن ماجه (٢/١٤٢٣ رقم ٤٢٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٣٦٩)، والحاكم في «المستدرک» (١/٥٧) وقال: صحيح على شرط البخاري.

وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله أبو بكر واه

والطبراني في «الكبير» (٧/٢٨٤ رقم ٧١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٧) و(٨/١٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/٥٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص ٥٥ - ٥٦ رقم ١٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/٤٧٢) كلهم من حديث شداد بن أوس.

وهو حديث ضعيف؛ لأن مداره على أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي وهو ضعيف جداً.

وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله عز وجل.

ثم اعلم أنه لا يقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ فيعبد الله بوفق ما شرع، وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد سواه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم<sup>(٢)</sup>: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها، فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها، فإخلاص النية بدون صدق العزيمة هوس وتطويل أمل وتمن على الله وتسويف في العمل وتفريط فيه، وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه يكون شركاً أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص.

فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل، وكان الباعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة كان شركاً أصغر بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر.

وإخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثاً في الدين وشرع ما لم يأذن الله به، فيكون ردّاً على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العمل من العبد إلا بصدق العزيمة، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية واتباع السنة، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَلُوكُمُ أَيُّكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال: أخلصه وأصوبه<sup>(٣)</sup>، يعني خالصاً من شوائب الشرك، موافقاً للسنة.

(١) البخاري (٣٠١/٥ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (١٣٤٣/٣ رقم ١٧١٨/١٧).

(٢) في صحيحه (١٣٤٣/٣ رقم ١٧١٨/١٨).

(٣) وتماهه: «قيل له: يا أبا علي أما أخلصه؟ وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً»



## [الدعاء مع العبادة]

(وفي الحديث مُخْهَا الدِّعَاءُ وَرَغْبَةً وَرَهْبَةً خَشْوَعٌ وَالِاسْتِعَاذَةُ وَالِاسْتِعْمَانَةُ وَالِالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَصَرَفٌ بَعْضُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ خَوْفٌ تَوَكَّلَ كَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةٌ إِنَابَةٌ خَضْوَعٌ كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سَبْحَانَهُ فَافْهَمْ هُدَيْتَ أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ شِرْكٌ وَذَلِكَ أَقْبَحُ الْمَنَاهِي)

(و) ثبت (في الحديث) الذي في السنن كما سنذكره (مُخْهَا) أي مُخُّ الْعِبَادَةِ وَوَلَّيْتُهَا (الدِّعَاءُ)، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾ [الأعراف].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ <sup>(١)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدِّعَاءِ».

وَفِيهِ <sup>(٢)</sup> عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّعَاءُ مَعَ الْعِبَادَةِ»،

= صَوَابًا. وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السَّنَةِ» اهـ.

كَمَا فِي «مَجْمُوعِ فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ» (٦٠٠/١١).

(١) (٥/٤٥٥ رقم ٣٣٧٠).

قُلْتُ: وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» رَقْمَ (٧١٢)، وَالطَّيَالِسِيُّ (١/٢٥٣ - مَنَحَةُ الْمَعْبُودِ)، وَأَحْمَدُ (٢/٣٦٢)، وَابْنُ مَاجَةَ رَقْمَ (٣٨٢٩)، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ (١/٤٩٠) وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَانَ رَقْمَ (٨٧٠).

وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) أَي فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٥/٤٥٦ رقم ٣٣٧١) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهْيَعَةَ.

وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال غريبٌ من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها.

وفيه (١) عن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفيه (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه».

وفيه (٣) من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إذا سألت فاسأل الله»، وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) أي في سنن الترمذي (٣٧٤/٥ رقم ٣٢٤٧)، قال الترمذي: حسن صحيح. قلت: وأخرجه أحمد (٤/٢٦٧)، والحاكم (١/٤٩٠، ٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي. والبخاري في «شرح السنة» رقم (١٣٨٤) من طريق سفيان عن منصور، عن ذر، عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير. \* وأخرجه الطيالسي رقم (٨٠١)، وأبو داود رقم (١٤٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٤) من طريق شعبة عن منصور به. وصححه الحاكم (١/٤٩١) ووافقه الذهبي. \* وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٢٠٠)، وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، والترمذي رقم (٣٣٧٢)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨)، والطبري في «جامع البيان» (٢٤/٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩/٣٠) كما في «تحفة الأشراف»، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٢٠) من طرق عن الأعمش، عن ذر، به. وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي في سنن الترمذي (٥/٤٥٦ رقم ٣٣٧٣). قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٥٨)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٧)، والحاكم (١/٤٩١)، وأحمد (٢/٤٤٢ و ٤٧٧)، وابن أبي شيبة (١٠/٢٠٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/٢٩٥)، والطبراني في «الدعاء» (٢/٧٩٦ رقم ٢٣) من طرق كثيرة. وهو حديث حسن، والله أعلم. وانظر: «الصحيحة» للمحدث الألباني رقم (٢٦٥٤).

(٣) أي في السنن (٤/٦٦٧ رقم ٢٥١٦)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قلت: وأخرجه أحمد (١/٢٩٣)، وأبو يعلى (٤/٤٣٠ رقم ٢٥٥٦/٢٢٩)، وهو حديث صحيح.

## [من أنواع العبادة الخوف من الله]

(خوف) أي ومن أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال عز وجل: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تبارك اسمه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ آئَانَ آلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] الآية، وغيرها من الآيات.

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون»، رواه أحمد<sup>(١)</sup> وابن ماجه<sup>(٢)</sup> والترمذي<sup>(٣)</sup> عن أبي ذر وحسنه الترمذي.

وفي البخاري<sup>(٤)</sup> عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «والله لا أدري، والله لا أدري - وأنا رسول الله ﷺ - ما يفعل بي ولا بكم».

وفي الترمذي<sup>(٥)</sup> عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت مثل النارِ نام هارِبُها، ولا مثل الجنةِ نام طالِبُها».

(١) في المسند (١٧٣/٥).

(٢) في السنن (١٤٠٢/٢) رقم (٤١٩٠).

(٣) في السنن (٥٥٦/٤) رقم (٢٣١٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وهو حديث حسن. وانظر: «الصحيفة» رقم (١٧٢٢).

(٤) في صحيحه (١١٤/٣) رقم (١٢٤٣).

(٥) في السنن (٧١٥/٤) رقم (٢٦٠١) وقال الترمذي: «هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، وهو ضعيف عند أكثر أهل الحديث».

قلت: وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٨/٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٧٩١ و٧٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢٦٦٠/٧).

وقال أبو نعيم: «لم يروه عن عبد الله بن موهب إلا ابنه يحيى».

قلت: وهو متروك، وأبوه مجهول.

وللحديث شاهدين مرفوعين يتقوى بهما:

(الأول): عن عمر بن الخطاب مرفوعاً به.

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٥٧/٥ - ٢٥٨)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٣٠٢).

وص (٢٣٥)، بسند لا بأس به في الشواهد.

(والثاني): عن أنس مرفوعاً به.

وفيه<sup>(١)</sup> عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

وله<sup>(٢)</sup> عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله جل ذكره: أخرجوا من ذكرني يوماً أو خافني في مقامي».

= أخرج الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٤١٢/١٠) وقال: «وفيه محمد بن مصعب القرقساني، وهو ضعيف بغير كذب»، وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٢٣٠/١٠)، وانظر: «الصحيح» رقم (٩٥٣).

والخلاصة إن الحديث بمجموع الطريقين حسن إن شاء الله.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٦٣٣/٤ رقم ٢٤٥٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

قلت: وفي سنده أبو فروة يزيد بن سنان التميمي الرهاوي وهو ضعيف. وبكير بن فيروز لم يوثقه غير ابن حبان.

ولكن للحديث شاهد عن أبي نعيم في «الحلية» (٣٧٧/٨) عن وكيع.

والحاكم (٣٠٨/٤) من طريق عبد الله بن الوليد العدني؛ كلاهما عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، إلا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

قال أبو نعيم: «غريب تفرد به وكيع عن الثوري بهذا اللفظ».

قلت: كلا؛ فقد تابعه العدني كما سبق.

وتابعه أيضاً قبيصة عن سفيان به دون الإدلاج والسلعة.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٦/١)، والحاكم (٤٢١/٢، ٥١٣) من طريق قبيصة.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: وإنما هو حسن الإسناد فقط للخلاف المعروف في ابن عقيل، وانظر: «الصحيح» رقم (٩٥٤).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) أي وللترمذي في «السنن» (٧١٢/٤ رقم ٢٥٩٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٣٣)، والحاكم (٧٠/١) وابن خزيمة.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٤٠٠/٢ - ٤٠١) «حديث ضعيف ورجاله ثقات»، غير أن مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعنه، لكنه قد صرح بالتحديث في بعض الروايات...

قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وأقول: إنما هو حسن فقط للكلام الذي في المبارك بن فضالة علاوة على كونه مدلساً.

وقد صرح بالتحديث في هذه الرواية، ولكن المؤمل وهو ابن إسماعيل البصري سيء

وله<sup>(١)</sup> هو وابن ماجه<sup>(٢)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم»، ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وفيه<sup>(٣)</sup> من حديث أبي جحيفة قال: قالوا: يا رسول الله قد شئت قال: «شيتني هود وأخوانها».

- = الحفظ كما قال الحافظ، فلا يحتج بزيادته التحديث لا سيما مع مخالفته لأبي داود الطيالسي وهو من الحفاظ، وقد تابعه الخصب بن ناصح عند ابن خزيمة اهـ.
- وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.
- (١) أي وللترمذي في «السنن» (٥/٣٢٧ - ٣٢٨ رقم ٣١٧٥).
- (٢) في «السنن» (٢/١٤٠٤ رقم ٤١٩٨).
- قلت: وأخرجه الحاكم (٢/٣٩٣ - ٣٩٤)، وأحمد (٦/١٥٩ و٢٠٥)، والبخاري في تفسيره (٥/٤٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/١٨ج/٣٤).
- قال الترمذي: «وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا».
- قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
- قلت: بل إسناده منقطع بين عبد الرحمن وعائشة، فإنه لم يدركها، كما في «جامع التحصيل» رقم (٤٢٩).
- قال الألباني في «الصحيحة» (١/٣٠٥ - ٣٠٦) ط. المعارف: «لكن يقويه حديث أبي هريرة الذي أشار إليه الترمذي فإنه موصول، وقد وصله ابن جرير - (١٠/١٨ج/٣٣) - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير قال: ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قالت عائشة: الحديث نحوه.
- وهذا سند رجاله ثقات، غير ابن حميد، وهو محمد بن حميد بن حيان الرازي وهو ضعيف مع حفظه.
- لكن لعله توبع، فقد أخرج الحديث ابن أبي الدنيا، وابن الأباري في «المصاحف»، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٥/١١)، وابن أبي الدنيا في «طبقة شيوخ ابن جرير»، فأستبعد أن يكون رواه عن شيخه هذا، والله أعلم.
- وله طريق آخر عند ابن جرير (١٠/١٨ج/٣٤) عن ليث وهشيم عن العوام بن حوشب جميعاً عن عائشة.
- وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.
- (٣) أي في سنن الترمذي.

ومن حديث أبي بكر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه: «شيتبني هوذ والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»، وغير ذلك من الأحاديث.

## [من أنواع العبادة التوكل على الله]

(توكل) أي ومن أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل، وهو اعتماد القلب

- = قلت: لم أجد عنده بهذا اللفظ.
- وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٦/١٧ رقم ٧٩٠) من طريق أبي الخير عن عقبة بن عامر مرفوعاً به.
- وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٦/٧) وقال: ورجاله رجال الصحيح.
- وقال الألباني في «الصحيحة» (٦٤١/٢): «وسنده جيد، ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير شيخ الطبراني: محمد بن محمد التمار البصري؛ ذكره ابن حبان في «الثقات» (١٥٣/٩) وقال: «ربما أخطأ».
- وأقره الحافظ في «اللسان» (٣٥٨/٥ - ٣٥٩) وقال: «أزخ ابن المنادي وفاته سنة (٢٨٩)». وقد روى له الطبراني في «الأوسط» نحو ستين حديثاً (٦٠٤١ - ٦١٠٠)، ولذا قال الهيثمي (٣٧/٧): «ورجاله رجال الصحيح» يعني باستثناء شيخ الطبراني كما هي عادته، فاعلمه.
- وأخرجه أيضاً من حديث سهل بن سعد مرفوعاً به وزاد: «الواقعة»، و«الحاقة»، و«إذا الشمس كورت» اهـ.
- قلت: وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٣٥، ٤٣٥/١ - ٤٣٦)، عن قتادة مرفوعاً مختصراً بلفظ: «شيتبني هوذ وأخواتها»، وإسناده صحيح لولا أنه مرسل.
- (١) أخرجه الترمذي (٤٠٢/٥ رقم ٣٢٩٧)، وفي «الشمائل» رقم (٤١) ورجاله إسناده ثقات غير معاوية بن هشام القصار فهو صدوق له أوهام، شيبان هو ابن عبد الرحمن النحوي، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي، وقد اختلط وهو أيضاً مدلس وقد عنعن. وفيه علة أخرى وهي الاختلاف على أبي إسحاق، والاختلاف في إرساله ووصله.
- وقد قال المصنف في «السنن»: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا، وروى عن أبي إسحاق عن أبي مسيرة شيء من هذا مرسلًا...».
- قلت: رواية علي بن صالح أخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٤٢) وقد ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١١٠/٢ رقم ١٨٢٦) و(١٣٤/٢ رقم ١٨٩٤) وصوب أبو حاتم الإرسال.
- وقد أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٤٣٥/١)، والمروزي في مسند أبي بكر رقم (٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٥٠/٤)، والحاكم (٣٤٣/٢) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٦٣٩/٢).
- وللحديث شواهد، فهو صحيح بشواهد.

عليه وثقته به وأنه كافيه، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله تعالى شرطاً في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهلُه؛ إذ قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١، إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠، التغابن: ١٣].

وقال موسى لقومه: ﴿إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [يونس: ٨٤] الآيات.

وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١١] ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [١٢] [إبراهيم]، وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] الآية.

وكذلك عن نبيه نوح عليه السلام؛ إذ قال لقومه: ﴿يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي شَيَاكُنِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١] الآية.

وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ فَزَادَهُمُ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيهِ، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، الجواب: بلى، والآيات في هذا الباب كثيرة.

وقال ابنُ عباس<sup>(١)</sup> رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه حين: ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وفي الصحيح<sup>(٢)</sup> عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب، هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتَطَيَّرُونَ وعلى ربهم يتوكلون».

وفي السنن<sup>(٣)</sup>: («الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ». قال ابن مسعود: وما مِنَّا إلا<sup>(٤)</sup>) ولكن الله يُذْهِبُهُ بالتوكل).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٩/٨ رقم ٤٥٦٣) عنه.

(٢) البخاري (٣٠٥/١١ رقم ٦٤٧٢)، ومسلم (١٩٨/١ رقم ٢١٨).

(٣) أخرجه ابن حبان رقم (٦١٢٢)، وأبو داود رقم (٣٩١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٥٨/١) و(٣٠٤/٢) من طريق محمد بن كثير العبدى، قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن عيسى بن عاصم الأسدي، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود، فذكر الحديث.

وأخرجه أحمد (٣٨٩/١، ٤٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٠٩)، والترمذي رقم (١٦١٤)، وفي «العلل الكبير» رقم (٤٨٥)، وابن ماجه رقم (٣٥٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى (١٣٩/٨)» من طرق عن الثوري، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل.

وأخرجه أحمد (٤٣٨/١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٥٨/١) و(٣٠٤/٢)، وفي «شرح معاني الآثار» (٣١٢/٤)، والطيالسي في «المسند» رقم (٣٥٦)، والبخاري رقم (٣٢٥٧)، والبيهقي (١٣٩/٨)، والحاكم (١٧/١ - ١٨، ١٨) من طرق عن شعبة، عن سلمة بن كهيل به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواه، ولم يخرجاه.

وخلاصة القول: إن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (٦٣٠/٧): «وما مِنَّا إلا» في هذا الكلام محذوف، =



وفي جامع الترمذي<sup>(١)</sup> وغيره<sup>(٢)</sup> من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو أنكم توكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

وفي حديث الإيمان بالقدر: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»<sup>(٣)</sup>.

وفي مسند أحمد<sup>(٤)</sup> وسنن ابن ماجه<sup>(٥)</sup> والدرامي<sup>(٦)</sup> عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «إني لأعلم آيةً في كتاب الله عز وجل لو أخذ الناسُ بها لكفّتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

= تقديره: وما منا إلا ويعتريه التّطيرُ، ويسبق إلى قلبه الكراهة له، فحذف ذلك اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وقد جاء في «كتاب الترمذي» (١٦١/٤): أن هذا من كلام ابن مسعود، وليس من الحديث، والله أعلم. اهـ.  
قلت: وانظر كلام الحافظ في «فتح الباري» (٢١٣/١٠).

(١) (٥٧٣/٤ رقم ٢٣٤٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.  
(٢) كابن ماجه (١٣٩٤/٢ رقم ٤١٦٤)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٢٥٤٨ - موارد)، والحاكم (٣١٨/٤)، وأحمد (٣٠/١، ٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٩/١٠)، والبخاري في «شرح السنة» رقم (٤١٠٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٤٤ و ١٤٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (٥٥٩).

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبي.  
وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٣١٠): «وأقول: بل هو صحيح على شرط مسلم، فإن رجاله رجال الشيخين غير ابن هبيرة وأبي تميم؛ فمن رجال مسلم وحده».  
وخلاصة القول إن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في «المسند» (١٧٨/٥ - ١٧٩).

(٥) في السنن (١٤١١/٢ رقم ٤٢٢٠).

(٦) في السنن (٣٠٣/٢).

قلت: وأخرجه النسائي في «التفسير» رقم (٦٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٦/١) كلهم من حديث كهّمس عن أبي السليل عن أبي ذر - به.

بسند رجاله ثقات إلا أنه منقطع، فإن أبا السليل ضريب بن نفير - ثقة - لم يسمع من أبي ذر كما في «تهذيب التهذيب» (٢٢٨/٢).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق].

ولابن ماجه<sup>(١)</sup> عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلب ابن آدم لكل وإد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبالي الله بأبي وإد هلك، ومن توكل على الله كفاه الشعب»، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

### (من أنواع العبادة رجاء الله ولقائه)

(كذا الرجاء) أي ومن أنواع العبادة الرجاء، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس]، وغير ذلك من الآيات.

وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار».

وقال ﷺ في دعاء المكروب: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين»، الحديث رواه أبو داود<sup>(٤)</sup> عن أبي بكر.

(١) في السنن (٢/١٣٩٥ رقم ٤١٦٦).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٨٥ رقم ٤١٦٦/١٤٧٨): «هذا إسناد ضعيف، صالح بن زريق ليس له إلا هذا الحديث». قال في الميزان: «حديثه منكر».

والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في صحيحه (١١/٣٠١ رقم ٦٤٦٩).

(٤) في السنن (٥/٣٢٥ رقم ٥٠٩٠).

## [من أنواع العبادة الرغبة إلى الله والرغبة منه والخشوع له]

(ورغبة ورهبة خشوع) أي ومن أنواع العبادة الرغبة فيما عند الله عز وجل من الثواب، وهي راجعة إلى معنى الرجاء، والرغبة مما عند الله من العقاب، وهي راجعة إلى معنى الخوف.

والخشوع هو التذلل لله عز وجل، قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَمِيمِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَسْكُرُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْجُوهُنَّ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح: ٧ - ٨]، وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الدعاء عند النوم: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك»، الحديث في الصحيحين<sup>(١)</sup>.

ولابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وتثبنا عليه بما هو أهله، وتخلطوا الرغبة بالرغبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال تعالى:

= قلت: وأخرجه أحمد (٤٢/٥).

في إسناده عبد الجليل هو ابن عطية القيسي أبو صالح البصري، وجعفر بن ميمون هو التميمي وكلاهما صالحان لكن لهما أوهام وأخطاء، فسد الحديث حسن، والله أعلم.  
(١) البخاري (٤٦٢/١٣) رقم (٧٤٨٨)، ومسلم (٢٠٨١/١٤) رقم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب.

(٢) في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢٠٣/٣) بسند ضعيف.  
قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٨٣/٢ - ٣٨٤)، وقال: صحيح الإسناد. وعارضه الذهبي بقوله: «عبد الرحمن بن إسحاق كوفي ضعيف». وخلاصة القول إن الحديث ضعيف، والله أعلم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾  
[الأنبياء: ٩٠].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود: «خشع لك سمعي وبصري ومُخِّي وعظمي وعصبي»، وغير ذلك من الأحاديث.

### [من أنواع العبادة خشية الله]

(وخشية) أي ومن أنواع العبادة الخشية، وهي مرادفة للخوف. قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] الآيات، وقال تعالى في شأن كتابه العزيز: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِنَّ رَبَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] الآيات. وقال تعالى: ﴿طه﴾ ① مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ② إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ③ ﴿طه﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ [يس: ١١] الآية.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، وقال تعالى: ﴿هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ④ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ⑤﴾ [ق: الآيات].

وقال تعالى في شأن الساعة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ① سَيَذَكِّرُ مَن يَخْشَى ②﴾ [الأعلى] وغير ذلك من الآيات. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ وَأَخْشَا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَايزٌ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] الآية.

وفي جامع الترمذي<sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) صحيح مسلم (١/٥٣٤ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) في السنن (٤/١٧١ رقم ١٦٣٣) وقال: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

قلت: وأخرجه النسائي (٦/١٢)، وأحمد (٢/٥٠٥)، والحاكم (٤/٢٦٠) وقال: حديث =

رسولُ الله ﷺ: «لا يُلج النار رجلٌ بكى من خشية الله تعالى حتى يعودَ اللبنُ في الضرع».

وفيه (١) عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله. وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله تعالى». وقال: حديث حسن.

وفي الصحيح (٢): «إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا» الحديث، وغير ذلك من الأحاديث.

### [من أنواع العبادة الإناية إلى الله]

(إناية) أي ومن أنواع العبادة الإناية وهي التوبة النصوح، والرجوع إلى الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُمْ﴾ [الزمر: ٥٤]. وقال تعالى في ذكر شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

= صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.  
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي في سنن الترمذي (٤/١٩٠ رقم ١٦٦٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.  
وقال الألباني: وهو حديث حسن.

(٢) البخاري (٩/١٠٤ رقم ٥٠٦)، ومسلم (٢/٧٧٩ رقم ١١٠٨) من حديث أنس بن مالك.

وقال عن عبده داود عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وفي ذلك آياتٌ كثيرةٌ سنذكر إن شاء الله ما تيسر منها في بابه.

### [من أنواع العبادة الخضوع لله]

(خضوع) أي ومن أنواع العبادة الخضوع، وهو والخشوع والتذلل بمعنى، وتقدمت الآيات والأحاديث فيه.

(والاستعاذة) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذة، وهي الامتناع بالله عز وجل والالتجاء إليه، قال عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق] السورة. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس] السورة.

وقال عن كليمة موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]. وقال تعالى عنه عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠].

وقال النبي ﷺ: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»<sup>(١)</sup>.

(١) الحديث مركب من حديثين:

(الأول): أخرجه أبو داود (٣١٨/١ رقم ٤٦٦)، ولفظه: «أعوذ بالله العظيم بوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».

قال النووي في «الأذكار» رقم (٦٩/٨٧) حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد. وقال الألباني: حديث صحيح.

(والثاني): أخرجه أبو داود (٤٨٦/١ رقم ٧٦٤) ولفظه: «أعوذ بالله من الشيطان، من =

وقال: «أعوذ بكلمات اللّهِ التّاماتِ من شرِّ ما خلق»<sup>(١)</sup>.

وقال: «اللّهُمَّ إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «تعوذوا باللّهِ من الفتن»<sup>(٣)</sup>.

واستعاذ ﷺ من الهمّ والحزّن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال<sup>(٤)</sup>، ومن الردّ إلى أرذل العُمُر<sup>(٥)</sup>، ومن المأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شرّ فتنة الجنّ، ومن شرّ فتنة الفقر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال<sup>(٦)</sup>، وغير ذلك.

### [من أنواع العبادة الاستعانة باللّهِ وحده]

(والاستعانة) أي ومن أنواع العبادة الاستعانة، وهي طلبُ العونِ من الله عزّ

= نفعه ونفّته وهَمّزه.

قال الألباني: حديث ضعيف، انظر: «الإرواء» (٣٤٢).

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨)، والترمذي (٥/٤٦٢ رقم ٣٤٣٧) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/١٥٠ رقم ٥٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/٢٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (٢/١١٨٦، ١١٨٧، رقم ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣) من طرق، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٥٢ رقم ٤٨٦) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) أخرج البخاري رقم (٢٧٣٦ - البغا) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ:

«اللّهُمَّ إني أعوذ بك من الهمّ والحزّن، والمعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرّجال».

(٥) أخرج البخاري (١١/١٩٢ رقم ٦٣٩٠) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلمات كما تُعلم الكتابة:

«اللّهُمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن تُردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

(٦) أخرج البخاري (١١/١٨١ رقم ٦٣٧٥).

عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقول: «اللّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهَرَم، والمغرم والمأثم، اللّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشرّ فتنة الغنى، وشرّ فتنة الفقر، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال...».

وجلّ، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبراً من كل معبودٍ دونك ومن عابديه، ونبراً من الحول والقوة إلا بك، فلا حول لأحد عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك إلا بتوفيقك ومعونتك.

وقال عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبِّرْ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

وفي الترمذي<sup>(١)</sup> من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» الحديث، وقال فيه: حسنٌ صحيح.

وفي صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ الحديث وفيه: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله».

وفي الترمذي<sup>(٣)</sup> من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، وغير ذلك من الأحاديث.

### [من أنواع العبادة الاستغاثة بالله]

(كذا استغاثة به سبحانه) أي ومن أنواع العبادة الاستغاثة بالله عز وجل، وهي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (٤/٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤).

(٣) لم يخرج الترمذي.

بل أخرجه أبو داود (٢/١٨٠ رقم ١٥٢٢)، والنسائي (٣/٥٣)، وأحمد (١٦/٢٠٤ رقم ٢٠١٨)، والحاكم (١/٢٧٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وهو حديث صحيح.



وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلِنَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْعَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨] الآية.

ومن دعاء النبي ﷺ: «يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك أستغيث»<sup>(١)</sup>.

وفي الطبراني<sup>(٢)</sup> بإسناده من حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤدي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله».

وفي الصحيح<sup>(٣)</sup> من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الاستسقاء: فرجع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا»، وغير ذلك من الأحاديث.

(١) أخرج الحاكم في «المستدرک» (٥٠٩/١) عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ قال: «يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

واعترض عليه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن ومن بعده ليسوا حجة».

وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (١٦٣/٥) رقم (٦٨٠٩) وعزاه للحاكم ورمز لصحته.

واعترض عليه المناوي في «فيض القدير» وذكر كلام الذهبي السابق.

قلت: الراجح سماع عبد الرحمن من أبيه. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٩٥/٦ - ١٩٦).

وقد قال الحافظ في «التقريب» (٤٨٨/١): ثقة، وقد سمع من أبيه، لكن شيئاً يسيراً.

وأما قول الذهبي عبد الرحمن ومن بعده ليسوا حجة فهو كما قال.

فعبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث فهو ضعيف، والنضر بن إسماعيل ليس بالقوي، ووضاح بن يحيى النهشلي ضعيف.

وأورد الحديث الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٤٧٩١) وقال: حديث حسن.

ولحديث ابن مسعود شاهد من حديث أنس أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٣٧) لكن فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف.

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٥٩/١٠) من حديث عبادة بن الصامت.

وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

(٣) تقدم تخريجه.

## [من أنواع العبادة الذبح نسكاً لله]

(والذبح) أي ومن أنواع العبادة الذبح نسكاً لله تعالى من هذي وأضحية وعقيقة وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَمْ يَذَلِكْ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦] الآيات.

وفي صحيح مسلم<sup>(١)</sup> عن علي<sup>(عليه السلام)</sup> قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله»، الحديث.

وفي مسند الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> رحمه الله عن طارق بن شهاب<sup>(٣)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب. فقالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة».

## [من أنواع العبادة النذر لله دون غيره]

(والنذر) أي ومن أنواع العبادة النذر لله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى:

(١) (١٥٦٧/٣) رقم (١٩٧٨).

(٢) عزاه إليه ابن القيم كما في «فتح المجيد» (ص ١٥٩).

قلت: وأخرجه أحمد في «الزهد» رقم (٨٤) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي، وهو موقوف صحيح.

\* في كتاب «الزهد» «سليمان» بدل «سلمان» وهو خطأ.

(٣) طارق بن شهاب: هو البجلي الأحمسي، أبو عبد الله، رأى النبي ﷺ وهو رجل.

قال البغوي: نزل الكوفة، وقال أبو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً.

قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته - على ما جزم به ابن حبان - سنة ثلاث وثمانين. (فتح المجيد ص ١٥٩).

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، رواه الجماعة إلا مسلماً<sup>(١)</sup>.

وعن عمر رضي الله عنه قال: نذرت نذراً في الجاهلية، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت، فأمرني أن أوفي بنذري، رواه ابن ماجه<sup>(٢)</sup>.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب إثم من لا يفي بالنذر<sup>(٣)</sup>، وذكر حديث عمران بن حصين<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثاً بعد قرنيه، «ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمّن».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أوف بنذرك»، وهو في الصحيح<sup>(٥)</sup> أيضاً.

ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجه مبنهما فسرته رواية الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان عليها دين أكنت قاضية؟» قال: نعم، قال: «فاقض الله».

(١) البخاري (٥٨١/١١) رقم ٦٦٩٦، وأبو داود (٥٩٣/٣) رقم ٣٢٨٩، والترمذي (١٠٤/٤) رقم ١٥٢٦، والنسائي (١٧/٧)، وابن ماجه (٦٨٧/١) رقم ٢١٢٦.

(٢) في السنن (٦٨٧/١) رقم ٢١٢٩.

قلت: وأخرجه البخاري (٢٧٤/٤) رقم ٢٠٣٢، ومسلم (١٢٧٧/٣) رقم ١٦٥٦، وأبو داود (٦١٦/٣) رقم ٣٣٢٥، والترمذي (١١٢/٤) رقم ١٥٣٩، والنسائي (٢١/٧ - ٢٢)، وأحمد (٣٧/١، ٤١٩)، والحميدي (٣٠٤/٢) رقم ٦٩١، والبيهقي (٣١٨/٤) و(١٠/٧٦، ٨٣، ٨٤)، والدارمي (١٨٣/٢).

(٣) البخاري (٥٨٠/١١) رقم الباب (٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٠/١١ - ٥٨١) رقم ٦٦٩٥.

(٥) البخاري (٢٧٤/٤) رقم ٢٠٣٢، ومسلم (١٢٧٧/٣) رقم ١٦٥٦ وقد تقدم آنفاً.

فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ»<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ.

### [شروط النذر لله]

ومن شرط النذر لله تعالى أن يكون طاعةً، وأن يكون مما يُطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يُعبد فيه غير الله تعالى، أو ذريعةً إلى عبادة غير الله تعالى، ولمن كان معلقاً بحصول شيء، فلا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصوله.

أما الأول، فلقوله ﷺ: «لا نذر في معصية الله ولا في قطيعة رحم»، الحديث رواه أبو داود<sup>(٢)</sup>، وكذا حديث عائشة السابق وغيره.

وأما الثاني، فلحديث عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَذَرْتُ أَخْتِي أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتَهُ، فَقَالَ: «لَتَمْشِيَ وَلَتَرْكَبَ» متفقٌ عليه<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس<sup>(٤)</sup> قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مُرّه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتيم صومه»، فأمر ﷺ بترك ما لم

(١) أخرجه البخاري (٥٨٤/١١) رقم ٦٦٩٩.

(٢) في «السنن» (٥٨٢/٣) رقم ٣٢٧٤.

قلت: وأخرجه النسائي (١٢/٧).

قال المنذري في «المختصر» (٣٦٦/٤): «وأخرجه النسائي، وقد تقدم الكلام على اختلاف الأئمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب، وذكر أبو بكر البيهقي: أن حديث عمرو - هذا - لم يثبت».

وحديث أبي هريرة: «فليات الذي هو خير، فهو كفارة» لم يثبت.  
قال أبو داود: الأحاديث كلها عن النبي ﷺ «وليكفر عن يمينه» إلا ما لا يُعاب به اهـ.  
وقال المحدث الألباني في ضعيف أبي داود: «حسن - إلا قوله ومن حلف... فهو منكر. الضعيفة رقم (١٣٦٥) اهـ».

(٣) البخاري (٧٨/٤) رقم ١٨٦٦، ومسلم (١٢٦٤/٣) رقم ١٦٤٤.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٦/١١) رقم ٦٧٠٤، وأبو داود (٥٩٩/٣) رقم ٣٣٠٠، وابن ماجه (٦٩٠/١) رقم ٢١٣٦، وابن الجارود رقم (٩٣٨)، والدارقطني (١٦٠/٤) رقم ٧، والبيهقي (٧٥/١٠)، والبخاري في «شرح السنة» (٢٤/١٠) وغيرهم.

يكن مُطِيقَه ولم يكن مشروعاً، وأمره بإتمام الصوم لكونه يُطِيقه ولكونه مشروعاً.  
وأما الثالث، فلقوله ﷺ: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك  
ابن آدم»، رواه أبو داود<sup>(١)</sup> وغيره<sup>(٢)</sup> وإسناده صحيح.

وأما الرابع، فلحديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني  
نذرت أن أنحر إبلأ ببوانة<sup>(٣)</sup>، فقال: «كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد»؟  
فقالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قالوا: لا، قال: «أوف  
بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»، رواه أبو  
داود<sup>(٤)</sup>.

وفي سدِّ الذرائع إلى ذلك حديثُ النهي عن اتخاذ القبورِ مساجدَ، ولعن من  
فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما الخامس، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئاً  
ولا يؤخره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل»، وهو في الصحيح<sup>(٥)</sup>.

وفيه<sup>(٦)</sup> في رواية عنه نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: «إنه لا يردُّ شيئاً،  
ولكنه يستخرج به البخيل».

وفيه<sup>(٧)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر  
بشيء، ولكن يُلقيه النذرُ إلى القدرِ قد قُدِّر له، فيستخرج الله به من البخيل فيؤتى  
عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل»، وغير ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفايةً  
إن شاء الله تعالى.

(١) في «السنن» (٣/٦٠٩ رقم ٣٣١٦) بسند صحيح.

(٢) كمسلم في «صحيحه» (٣/١٢٦٢ رقم ١٦٤١)، والنسائي (٧/٢٨) من حديث عمران بن  
حصين.

وهو حديث صحيح.

(٣) ببوانة: اسم موضع بأسفل مكة، أو وراء ينبع أو موضع بين الشام وديار بكر.

(٤) في «السنن» (٣/٦٠٧ رقم ٣٣١٣) بسند صحيح.

(٥) البخاري (١١/٥٧٥ رقم ٦٦٩٢)، ومسلم (٣/١٢٦١ رقم ١٦٣٩).

(٦) البخاري (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٨)، ومسلم (٣/١٢٦٠ رقم ١٦٣٩).

(٧) البخاري (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٩)، ومسلم (٣/١٢٦٢ رقم ١٦٤٠).

## [أنواع أخرى من العبادات الظاهرة والباطنة]

(وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن وتدبره وتعلّمه وتعليمه، وسائر الأذكار المشروعة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والحب في الله والبغض فيه، والموالة والمعادة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطها الذي لا قوام لها إلا به هو كمال الحب وغايته مع غاية الذل، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كله.

فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة.

وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه، كالخوف من عدو أو غرق أو حرق ونحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة، إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياد بالله.

ولذا قلنا (وصرف بعضها) أي شيء منها قل أو كثر (لغير الله) كائناً من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبير أو جنّي أو شجر أو حجر أو غيره، كل ذلك (شرك) أكبر، (وذاك) إشارة إلى الشرك هو (أقبح المناهي) على الإطلاق، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيات، أي لا أحد أضل منه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فالشرك أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلماً من شكاية العبد ربّه - الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير - إلى من لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه، ولا يملك لنفسه ولا لداعيه من ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور، ولا يغني عنه مثقال ذرة، وعدوله عمّن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزع

في قضاء حوائجه إلى من لا قدرة له على شيء البتة: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وصرفه عبادة خالقه - الذي خلقه لعبادته وتوحيده، ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكلاه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار - لمخلوق مثله خلقه الله بقدرته ولم يك من قبل شيئاً، بل هو مسخرٌ مديّرٌ مربوبٌ متصرفٌ فيه الله تعالى بما شاء من أنواع التصرف، لا يُبدي حراكاً ولا ينفك من قبضة الله عز وجل، بل هو خَلْقُهُ وَمُلْكُهُ، مخلوقٌ لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جفله مألوماً معبوداً: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨] الآية.

هذا والله أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر، ولذا لم تدع الرسل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد.

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

وسنذكر إن شاء الله من الآيات والأحاديث قريباً ما تقرُّ به أعينُ الموحدين، وتدحض شبهة المعاندين، ويدمغ باطل الملحدين.  
والله المستعان وبه التوفيق.

(١) البخاري (١٦٣/٨ رقم ٤٤٧٧)، ومسلم (٩٠/١ رقم ٨٦).





[ال] فَصْل: [الرابع]:

في بيان ضد التوحيد، وهو الشركُ  
وكونه ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر، وبيان  
كل منهما



قد قدّمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة. ولكن من هذه الأنواع ضدّ يُفهم من تعريفه، فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميث المدبّر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضدّ ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عزّ وجلّ. وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمى به نفسه، ويوصّف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمدٌ ﷺ، وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فضدّ ذلك شيان ويعتمهما اسم الإلحاد: (أحدهما): نفي ذلك عن الله عزّ وجلّ وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

(ثانيهما): تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى، فضدّ ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزّ وجلّ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

### [أول ما ظهر من الشرك في قوم نوح]

وأول ما ظهر الشرك في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم عليه السلام نحو عشرة قرون كما قدمنا، وبه قال ابن عباس<sup>(١)</sup> وغيره في

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٠٤٨)، والحاكم (٥٤٦/٢ - ٥٤٧) وقال =

تفسير قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وذلك لأن الشيطان لعنه الله لم يزل دائماً جاداً مشمراً في عداوة بني آدم عليه السلام منذ كان أبوهم طيناً، فلما نفخ الله فيه الروح وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال تعالى: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

فلما سأله الله عز وجل عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه - والله تعالى أعلم به - فقال سبحانه له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، فأجاب الخبيث مفتخراً بأصله، طاعناً على ربه تعالى في حكمته وعدله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فعامله الجبار بنقيض ما قصده، وأذاقه وبال حسده، وأمر له استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] الآية، وقال: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٢٥].

فطلب الإنظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالثأر، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيل له إلا على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبار: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٧٨] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ [ص]، أجابه الله تعالى إلى طلبته ليمتحن عباده اختباراً وابتلاءً: ﴿لِيَلْبِزَكُمْ آيَاتِكُمْ أَحْسَنُ عِبَادًا﴾ [الملك: ٢].

فقابل النعمة بالكفران، وجدد صفقة الخسران، وأقسم ليستعملن مدته

= الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.  
قلت: الأثر صحيح عن ابن عباس، ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة.

وليستغرقن حياته في إغواء ذرية آدم، الذين كان طرده وأبعاده بسببهم إذ لم يسجد لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربه، بل قدس نفسه اللثيمة، وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمة ومحادة ومشاقة: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

ولم يقل اللعين «من فوقهم» لعلمه أن الله تعالى من فوقهم، قال الله سبحانه: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤١ - ٤٢].  
وقد علم الرجيم ذلك فقال آيساً منهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]، ثم لما سعى إلى آدم وحواء وزوجه في الجنة ودلها على تلك الشجرة التي نهاهم الله عز وجل عنها أن يقربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنة، فاستدرجهم اللعين بخداعه وحيلته البائرة، وغرهم بتلك اليمين الفاجرة: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ التَّصَّيْتُمْ﴾ [الأعراف: ٢١].

فنفذ قضاء الله تعالى وقدره بأكلهما منها: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم، وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عز وجل وسعة رحمته، الذي لا يقدر أحد على شيء منه: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، فلما عاتبهما الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

لم يعترضوا على قضاء الله وقدره ولم يحتجوا بذلك على ارتكاب ما نهى الله عنه، ولم يخاصموا به؛ كما قال اللعين مواجهاً ربه بقوله: ﴿فِيمَا آغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦].  
بل اعترفا بقدره الله عليهما وأقرا بظلمهما لأنفسهما، وصرحا بافتقارهما إلى ربهما وبكمال غناه عنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه هي الكلمات التي قال الله عز وجل: ﴿فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ثم أراد الله سبحانه أن يهبطهم إلى دار أخرى هي دار الامتحان والابتلاء ليتبين حربه الذين يتبعون رسله ويقاتلون أعداءه، ويغرس لهم بصالح الأعمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورجله وقد أعد لهم جهنم وساءت مصيراً، وألقى العداوة ونصب الحرب بين هذين الحزبين في هذه الدار: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْرَ مِنَ الْطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْرَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨].

ثم كان من كيد الشيطان مما قص الله عز وجل من إلقائه الفتنة بين ابني آدم، وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة<sup>(١)</sup>.

ولما مات آدم عليه السلام كان وصيه شيئاً عليه السلام، ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم على شريعة من الحق؛ كما قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى.

حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وادم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وزين الشيطان لعنه الله لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها، وبيان ذلك ما روى البخاري<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتوحي العلم عبثت) اهـ.

(١) الآية (٢٧ - ٣١).

(٢) أثر صحيح تقدم تخريجه قريباً.

(٣) في صحيحه (٨/٦٦٧ رقم ٤٩٢٠).

فلو جاءهم اللعينُ وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يُطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعةً للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادةً الله عندها ذريعةً إلى عبادتها ممن يخلفهم.

فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحاً عليه السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالى وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالى بالطوفان.

ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهةً مع الله منها هدا وصدى وصمودا، فأرسل الله عز وجل إليهم هوداً عليه السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، فلما حق عليهم العذابُ أهلكهم الله تعالى بالريح.

ثم ثمودُ كذلك، وأرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فكذبوه فأهلكوا بالصيحة.

ثم قومُ إبراهيمَ، وعبدوا الشمسَ والقمرَ والنجومَ وعبدوا الأصنامَ وغير ذلك، وقد قصَّ الله تعالى في كتابه كلَّ ذلك مفضلاً عن الأمم ورسليهم. وعبد أول بني إسرائيل العجلَ وأخزهم عبدوا عُزيراً، وعبدت النصارى المسيحَ، وعبدت المجوسُ النارَ، وعبد قومُ الماءَ، وعبد كلُّ قوم ما زينه الشيطانُ لهم على قَدْر عقولهم، هذا في الأمم الأولى، وكلُّ منها له وارثٌ من الأمم المتأخرة، فالأصنامُ التي في قوم نوحٍ قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لُحيّ قبحه الله تعالى، كما ذكره ابنُ عباسٍ فيما رواه البخاريُّ<sup>(١)</sup> عنه رضي الله عنه قال: أما وُدٌّ فكانت لكُلبٍ بدومة الجندل، وسُواعٌ كانت لهذيل، وأما يَغوثٌ فكانت لمراد، ثم لبني غَطِيفٍ بالجوف عند سبأ، وأما يعوقٌ فكانت لهمدانَ، وأما نسرٌ فكانت لِحِميرٍ لآل ذي الكُلاع، انتهى.

### [دخول الوثنية بلاد العرب على يد:

#### عمرو بن لحي الخزاعي]

وتفسيرُ ذلك ما ذكره الكلبيُّ حيث قال: وكان عمرو بنُ لُحي كاهناً وله رثيٌّ من الجنِّ، فقال له: عجل السيرَ والظعنَ من تهامة، بالسعد والسلامة، ائتِ جُدَّة، تجد فيها أصناماً مُعدة، فأوردُها تهامةً ولا تهب، ثم ادعُ العربَ إلى عبادتها تُجب.

(١) في صحيحه (٦٦٧/٨ رقم ٤٩٢٠).

فأتى نهر جُدّة فاستشارها ثم حملها حتى ورد تِهامة وحضر الحجّ فدعا العربَ إلى عبادتها قاطبةً، فأجابه عوفُ بنُ عدن بنِ زيد اللاتِ فدفع إليه ودأ فحمله، فكان بوادي القُرى بدومة الجندلِ وسمى ابنته عبدَ ود، فهو أولُ من سُمّي به، وجعل عوفُ ابنته عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالإسلام.

قال الكلبي: فحدّثني مالكُ بنُ حارثةُ أنه رأى ودأ. قال: وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول: اسقه إلهك فأشربه. قال: ثم رأيت خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه كسره فجعله جُذاذاً، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعث خالدَ بنَ الوليد لهذمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عُذرةَ وبنو عامرٍ فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره.

قال الكلبي: فقلتُ لمالك بنِ حارثة: صف لي ودأ كأنّي أنظرُ إليه، قال: كان تمثالَ رجلٍ كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر - أي نُقش - عليه حُلّتان، متزّزٌ بحلّة، مُرتدٌ بأخرى، عليه سيفٌ قد تقلّده وقد تنكّب قوساً وبين يديه حربَةٌ فيها لواءٌ وقبضةٌ فيها نبلٌ بغير جُعبة. وأجابت عمرو بنُ لُحيّ مَضْرُ بنُ نزار، فدفع إلى رجلٍ من هذيل - يقال له الحارثُ بنُ تَمِيم بنِ سعدِ بنِ هذيلِ بنِ مُدركةَ بنِ إلياسِ بنِ مَضْرَ - سُوعاً - فكان بأرضٍ يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجلٌ من العرب:

تراهم حولَ قِبَلَتِهِمْ عُكُوفاً  
كما عَكَفَتْ هذيلُ على سُوعِ

وأجابته مَدْحِجُ فدفع إلى أنعم بنِ عمرو المُرادِيّ يَغوثَ، وكان بأكمة باليمن تبعده مذحج ومن والها، وأجابته هَمْدانُ فدفع إلى مالكِ بنِ زيدِ بنِ جُشَمِ يعوق، فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدانُ ومن والها من اليمن، وأجابته جَميرُ فدفع إلى رجلٍ من ذي رُعيْنِ يقال له مَعْدِي كَرِبُ نسرأ، فكان بموضعٍ من أرضِ سبأ يقال له بَلْخَعُ تبعده جَميرُ ومن والها، فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نُواس، فلم تزل هذه الأصنامُ تُعبد حتى بعث الله النبيَّ صلى الله عليه وآله فهدمها وكسرها.

وفي صحيح البخاري<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله:

(١) في صحيحه رقم (٣٣٣٣ - البغا) .

قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢١٩١) رقم (٢٨٥٦).



«رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ لُحَيِّ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ»، وفي لفظ: «وغيَّر دينَ إبراهيم»<sup>(١)</sup>.

وروى ابنُ إسحاقَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثمَ بنِ الجوفِ الخزاعيَّ: «يا أكثمُ، رأيتَ عمروَ بنَ لُحَيِّ بنِ قُمعةَ بنِ خندِفٍ يَجْرُ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلَا بِكَ مِنْهُ»، فقال أكثمُ: عسى أن يضرَّني شَبَهُهُ يا رسولَ الله، قال: «لا، إنك مؤمنٌ وهو كافرٌ، إنه كان أولَ من غيَّرَ دينَ إسماعيلَ، فنصب الأوثانَ وبحر البحيرةَ وسيب السائبةَ وحتى الحامي»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup>: (حدثني بعضُ أهلِ العلم أن عمروَ بنَ لُحَيِّ خرج من مكة إلى الشام في بعضِ أمورِهِ، فلما قدم مآبَ من أرضِ البلقاءِ - وبها يومئذ العماليقُ، وهم ولدُ عملاقٍ ويقال عمليقُ بنُ لاوَدَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ - رأهم يعبدون الأصنامَ، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه الأصنامُ نعبدُها فنستمطرُها فتمطرنا، ونستنصرُها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرضِ العربِ فيعبدونه، فأعطوه صنماً يقال له هُبَلٌ، فقدم به مكةَ فنصبه وأمر الناسَ بعبادته وتعظيمه).

وقال ابنُ إسحاقَ<sup>(٤)</sup>: (واتخذوا إسافاً ونائلةً على موضعٍ زمزمَ ينحرون عندهما، وكان إسافٌ ونائلةٌ رجلاً وامرأةً من جُزهم، هو إسافُ بنُ بغي ونائلةُ بنتُ ديك، فوقع إسافُ على نائلةً في الكعبةِ فمسخهما اللهُ حجَرين... قال: وقال أبو طالب:

وحيث يُنيخ الأشعرون ركابهم بمُفضي السيولِ من إسافٍ ونائلِ

(١) لم أجده في الصحيحين ولا في أحدهما.

ومعناه عند أحمد (٣/٣٥٣) من حديث جابر.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٢١) بسند صحيح وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٣٥٣ و ٥/١٣٧) من حديث جابر.

(٣) في السيرة النبوية (١/١٢١).

(٤) ابن إسحاق بسند صحيح (١/٨٢ - ٨٣) عن عائشة موقوفاً.

وذكره ابن هشام في السيرة (١/١٢٧).

واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنماً).

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup>: (وكان لَخَوْلَانَ صنمٌ يقال له «عم أنس»<sup>(٢)</sup>) بأرض خَوْلَانَ، يقسمون له من أموالهم من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق «عم أنس»<sup>(٢)</sup> من حق الله تعالى الذي سمّوه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق «عم أنس»<sup>(٢)</sup> ردّوه عليه، وهم بطنٌ من خولانٍ يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَيْكَ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال<sup>(٣)</sup>: (وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنمٌ يقال له سعد: صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجلٌ من بني ملكان بإبل له مؤتلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم، فلما رآته الإبل - وكانت مزرعية لا تُركب، وكان يهرأق عليه الدماء - نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني فأخذ حجراً فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفرت عليّ إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا  
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد  
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة<sup>(٤)</sup>  
من الأرض لا تدعو لغني ولا رشدي

وكان لدوس صنمٌ لعمرو بن حمة الدوسي).

قال<sup>(٥)</sup>: (وكان لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء أبي طالب).

(١) في السيرة النبوية (١/١٢٥).

(٢) في السيرة النبوية: «عميانس».

(٣) في السيرة النبوية (١/١٢٦).

(٤) التنوفة: القفر الذي لا ينبت شيئاً.

(٥) في السيرة النبوية (١/١٢٨).

قلت: فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها<sup>(١)</sup>.  
قال<sup>(٢)</sup>: (وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بني مُعْتَب من ثقيف).

قال<sup>(٣)</sup>: (وكان مَنَاةً للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد).

وقال ابن هشام<sup>(٤)</sup>: (فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه).

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup>: (وكان ذو الخَلْصَة لدوسٍ وخَثْعَم وبَجِيلَة ومن كان ببلادهم من العرب بَبَالَة، فبعث إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فهدمها. قال: وكانت فَلْسُ لَطِيءٍ ومن يليها بَجَبَلِي طِيء بين سلمى وأجا).

قال ابن هشام<sup>(٦)</sup>: (فحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخدّم فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله عنه).

قال<sup>(٧)</sup>: (وكان لِحَمِيرَ وأهل اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له رِثَام).

قال<sup>(٨)</sup>: (وكانت رُضَاءُ بيتاً لبني ربيعة بن كعب وفيها يقول المستوغرُّ بن ربيعة حين هدمها في الإسلام:

---

(١) أوردها ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/٢٥٧ - ٢٥٨) من رواية أبي صالح عن ابن عباس وهو ضعيف يرسل.

(٢) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٢٩).

(٣) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٢٩).

(٤) في السيرة النبوية (١/١٣٠).

(٥) كما في سيرة ابن هشام (١/١٣٠).

(٦) في السيرة (١/١٣١) وقد أبهم من حدّثه.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/١٦٤) معلقاً.

والواقدي في «المغازي» (٣/٩٨٥ - ٩٨٨) مرسلأ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٧) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٣١).

(٨) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٣١).

ولقد شددتُ على رُضاءِ شدةً فتركْتُها ففراً بقاءِ<sup>(١)</sup> أسحماً<sup>(٢)</sup> (وكان ذو الكعباتِ لِبكرٍ وتغلبِ ابني وائلٍ وإيادٍ بسنداد، وله يقول أعشى بني قيس:

بينَ الخَوَزَنِيِّ<sup>(٣)</sup> والسُدَيْرِ<sup>(٤)</sup> وبارقِ<sup>(٥)</sup> والبيتِ ذي الشُّرفاتِ من سندادِ<sup>(٦)</sup>)(٧)

قال ابنُ إسحاق<sup>(٨)</sup>: (وكان عمرو بنُ الجموحِ سيِّداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشبٍ يقال له مَنأةٌ، فلما أسلم فتیانُ بني سلمة - معاذُ بنُ جبلٍ، وابنه معاذُ بنُ عمرو بنِ الجموحِ، وغيرُهم - ممن أسلم وشهد العقبةَ، وكانوا يُدلجون بالليل على صنمِ عمرو ذلك فيحمِلونه فيطرحونه في بعضِ حُفرِ بني سلمةَ وفيها عذراتُ الناسِ مُنكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيتَه. فإذا أمسى ونام غدواً ففعلوا بصنمه مثلَ ذلك، فيغدوا يلتمسه فيجد به مثلَ ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع فهذا السيفُ معك. فلما أمسى ونام غدواً عليه فأخذوا السيف من

(١) القاع: المنخفض من الأرض.

(٢) الأسحم: الأسود.

(٣) الخورنق: قصر بالكوفة بناه النعمان بن المنذر في ستين سنة. [مراصد الاطلاع / ١] (٤٨٩).

(٤) السُدَيْر: قاع بين البصرة والكوفة، وموضع في ديار غطفان. [معجم البلدان (٣/٢٠٢)].

(٥) بارق: ماء بالعراق، وهو الحدُّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. [معجم البلدان (١/٣١٩)].

(٦) سنداد: قصر بالعذيب. وقيل: نهر، وقيل: هو أسفل سواد الكوفة. [معجم البلدان (٣/٢٦٥ - ٢٦٦)].

(٧) سيرة ابن هشام (١/١٣٢).

(٨) كما في «البدية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٣/١٦٣ - ١٦٤)، و«إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (٢/٢٦٠ - ٢٦١).

عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عُذْرُ النَّاسِ، وغدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذ أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بِئْرٍ فِي قَرْنٍ<sup>(١)</sup>  
أَفْ لِمُلْقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدِنٌ تُهَانُ أَوْ تَسْأَلُ عَنِ سُوءِ الْغَبْنِ<sup>(٢)</sup>  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمُنَنِ الْوَاهِبِ الرَّازِقِ دِيَانَ الدَّيْنِ  
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظِلْمَةِ قَبْرِ مُرْتَهَنٍ

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup>: (واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفراً تمسح به، فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿اجْعَلِ الْأَيْلَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وكانت العربُ قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوتٌ تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة<sup>(٤)</sup> وحجّابٌ ويُهدى لها كما يُهدى للكعبة، ويطاف بها كما يطاف بالكعبة، ويُنحر عندها كما ينحر عند الكعبة).

(وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجارٍ فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل الثلاثة أئاماً ليقدره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك)<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو رجاء العطاردي<sup>(٦)</sup>: (لما بعث النبي ﷺ فسمعنا به سمعنا بمُسَيْلِمَةَ

(١) القَرْنُ: الحبل الذي يشد به الأسير.

(٢) الغَبْنُ: الخديعة.

(٣) كما في السيرة النبوية (١/١٢٨).

(٤) السُدنة: الخدّمة الذين يخدمونها.

(٥) ذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/٢٦١).

(٦) أبو رجاء العطاردي: عمران بن ملحان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ.

[«سير أعلام النبلاء» (٤/٢٥٣ - ٢٥٧ رقم ٩٣)، و«الحلية» (٢/٣٠٤)].

الكذاب فلحِقنا بالنار، قال: وكنا نعبد الحجرَ في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسنُ منه نُلقِي ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حَئِيَةً من ترابٍ ثم جئنا بغنم فحلبنها عليه ثم طُفْنَا به، قال: وكنا نَعْمِدُ إلى الرمل فنجمُعه ونحلبُ عليه فنعبده، وكنا نَعْمِدُ إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نُلقِيه<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عثمان النهدي: (كنا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي يا أهل الرِّحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا رباً، قال: فخرجنا على كل صَعْبٍ ودَّلُولٍ، فبينما نحن كذلك نطلبُه إذا نحن بمنادٍ ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شِبْهه، فإذا حجرٌ فنحزنا عليه العَجْزور<sup>(٢)</sup>).

وقال عمرو بنُ عِسة: (كنت ممن يعبد الحجارة فينزل الحيُّ ليس معهم إله، فيخرج الرجلُ منهم فيأتي بأربعة أحجارٍ فينصُب ثلاثة لِقدره، ويجعل أحسنها إلهاً يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسنُ منه قبل أن يرتحلَ فيتركه ويأخذ غيره<sup>(٣)</sup>).

(ولما فتح رسولُ الله ﷺ مكةَ وجد حول البيتِ ثلثمائة وستين صنماً، فجعل يطعن بِسَنَبَةِ قوسِه في وجوهها وعيونها ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحُرِّقت<sup>(٤)</sup>).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه الإغاثة<sup>(٥)</sup>:

### [أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام]

(فصل): (وتلاعبُ الشيطانِ بالمشركين في عبادة الأصنام له أسبابٌ عديدة، تلاعبَ بكل قومٍ على قدر عقولهم.

فطائفةٌ دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين

- 
- (١) أورده ابن القيم في «إغاثة اللفهان» (٢/٢٦٢) مسنداً من طريق حنبل وسنده صحيح.
- (٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/٥٩ رقم ١٥٧٦١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٢٠٤) من طريق ابن أبي شيبة، بسند حسن.
- (٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٢١٧) بسند ضعيف.
- (٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللفهان» (٢/٢٦٢).
- (٥) (٢/٢٦٣ - ٢٦٥).

على القبور المساجدَ والسُّرُجَ<sup>(١)</sup>، ونهى عن الصلاة إلى القبور<sup>(٢)</sup>، وسأل ربّه سبحانه أن لا يجعل قبره وثناً يُعبد<sup>(٣)</sup>، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً<sup>(٤)</sup>، وقال: «اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد»<sup>(٥)</sup>، وأمر بتسوية القبورِ وطَمَسِ التماثيل<sup>(٦)</sup>.

قلت: وسنذكر الأحاديثَ المسندةَ في ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

قال: فأبى المشركون إلا خلافة في ذلك كله إما جهلاً وإما عناداً لأهل

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود (٥٥٨/٣ رقم ٣٢٣٦)، والترمذي (١٣٦/٢ رقم ٣٢٠)، وقال: حديث حسن.

والنسائي (٩٤/٤ رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه (٥٠٢/١ رقم ١٥٧٥) عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج». انظر: «الإرواء» (٢١٣/٣)، و«الضعيفة» رقم (٢٢٥). وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ: «السُّرُج».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٦٦٨/٢ رقم ٩٧٢) عن أبي مَرْثَد العُنُوي أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها».

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٨٥/١ - ١٨٦ - تنوير الحوالك) مرسلًا. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٠/٢ - ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار مرسلًا بسند صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٠٦/١ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلًا.

وأخرجه ابن أبي شيبه (٣٤٥/٣) عن زيد بن أسلم مرسلًا بسند صحيح.

وأخرجه أحمد في «المسند» موصولاً (٢٤٦/٢)، والحميدي (٤٤٥/٢ رقم ١٠٢٥)، وأبو

نعيم في «الحلية» (٢٨٣/٦ و ٣١٧/٧) عن أبي هريرة بسند حسن.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٨٦/٢ رقم ٢١٤٠) عن علي بن حسين.

(٥) تقدم تخريجه آنفاً وهو حديث صحيح.

(٦) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٦٦٦/٢ رقم ٩٦٩/٩٣)، وأبو

داود (٥٤٨/٣ رقم ٣٢١٨)، والترمذي (٣٦٦/٣ رقم ١٠٤٩)، والنسائي (٨٨/٤ رقم

٢٠٣١)، وأحمد (٨٩/١).

عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على

ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أضع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوتته».

\* وأخرج مسلم (٦٦٦/٢ رقم ٩٦٨/٩٢)، وأبو داود (٥٤٩/٣ رقم ٣٢١٩)، والنسائي

(٨٨/٤ رقم ٢٠٣٠)، وأحمد (١٨/٦) عن ثُمَامَةَ بِنِ شَيْفِي نحو ذلك.

التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئاً، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسدنةً وحجاباً وحجاباً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً، فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان، كانت به أصنامٌ أخرجها بعض ملوك المَجوس وجعله بيت نار.

ومنها بيت ثانٍ وثالثٌ ورابعٌ بصنعاء، بناه بعض المشركين على اسم الزهرة، فخر به عثمان رضي الله عنه.

ومنها بيتٌ بناه قابوسُ الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخر به المعتصم، وأشدُّ الأُمم في هذا النوع من الشرك الهند.

قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعتها لهم رجلٌ يقال بزهمن ووضع لهم أصناماً وجعل أعظم بيوتها بيتاً بمدينة من مدائن السند، وجعل فيه صنمهم الأعظم، وزعم أنه بصورة الهَيولى الأكبر، وفُتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها الملتان.

إلى أن قال رحمه الله: وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة<sup>(١)</sup> وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجّتهم بعلمه، وألّتهم بيده، فطلبوا تحريقه<sup>(٢)</sup>.

وهو مذهبٌ قديمٌ في العالم، وأهل طوائف شتى، فمنهم عبادة الشمس،

---

(١) الصابئة: الصبوة في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ. وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة. وكانوا في مبدأ أمرهم يسجدون للكواكب، لكن لما كانت الشمس تغيب أو تختفي وراء الغيوم لذلك اخترعوا صوراً للكواكب وسمّوها بأسماء الكواكب... وقيل: إن الصابئة من ولد صابئ بن لامك أخي نوح، وهؤلاء الصابئة هم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام حتى جرت بينه وبين ملكهم النمرود القصة المشهورة والتي وردت في القرآن، وفيها تكسير إبراهيم للأصنام.

انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» فخر الدين الرازي (ص ١٤٣ - ١٤٤)، ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر الآيات (٤١ - ٤٩) من سورة مريم، والآيات (٦١ - ٧٠) من سورة الأنبياء.



زعموا أنها ملكٌ من الملائكة لها نفسٌ وعقلٌ، وهي أصلُ نورِ القمرِ والكواكبِ، وتكوُنُ الموجوداتِ السُّفليةِ كُلِّها عندهم منها، وهي عندهم ملكُ الفلكِ يستحقُّ التعظيمَ والسجودَ والدعاءَ.

ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهراً على نوع النار، وله بيتٌ خاصٌ قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوفَ الكثيرةَ من القرى والضِّياع، وله سدنةٌ وقوامٌ وحجبةٌ يأتون البيتَ، ويصلُّون فيه لها ثلاثَ كراتٍ في اليوم، ويأتيه أصحابُ العاهاتِ فيصومون لذلك الصنمِ ويصلُّون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمسُ سجدوا كُلُّهم وإذا غربت، وإذا توسطت الفلكُ.

ولهذا يقارفها الشيطانُ في هذه الأوقاتِ الثلاثةِ لتقع عبادتُهم وسجودُهم له<sup>(١)</sup>، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحريِ الصلاةِ في هذه الأوقاتِ<sup>(٢)</sup> قطعاً لمشابهة الكفارِ ظاهراً وسدّاً لذريعةِ الشركِ وعبادةِ الأصنامِ اهـ.

قلت: وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ عبادةَ الشمسِ عن أهلِ سبأ من أرضِ اليمنِ في عهد بلقيسَ، كما حكى قولَ الهدهدِ حيث قال: ﴿وَجِدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] إلى آخر الآيات، وهداها الله تعالى إلى الإسلامِ على يد نبيِّه سليمانَ عليه السلامِ حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، ثم قال ابنُ القيم<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى:

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم رقم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة - في حديث طويل - قال فيه للنبي ﷺ: أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل، فإن الصلاة مشهودة محضرة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفجر فصل، فإن الصلاة مشهودة محضرة حتى تصلّي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار».

(٢) أخرج البخاري (٣٣٥/٦) رقم (٣٢٧٢)، ومسلم (٥٦٨/١) رقم (٢٩١) رقم (٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب».

(٣) في «إغاثة اللهفان» (٢/٢٦٦ - ٢٦٨).

## [طائفة اتخذت للقمر صنماً]

(فصل): وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنماً وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي، ومن شريعة عباده أنهم اتخذوا لهم صنماً على شكل عجل ويجزّه أربعة، ويبد الصنم جوهرة، ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومةً من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه.

## [طائفة اتخذت على صورة الكواكب أصناماً]

ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صور الكواكب وروحانياتها بزعمهم، وبنوا لها هياكل، ومُتعبّدت لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب لابن خطيب الري<sup>(١)</sup> تعرف عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، البكري... المعروف بالفخر الرازي وبابن خطيب الري، (أبو عبد الله، فخر الدين، أبو المعالي)، مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية والحكمية والرياضية... ولد بالري من أعمال فارس، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وأخذ عنه خلق كثير وكان ينال من «الكرامية» وينالون منه سباً وتكفيراً حتى قيل: إنهم سمّوه، وتوفي بهراة وخلف تركة ضخمة.  
من تصانيفه الكثيرة: «مفاتيح الغيب في تفسير القرآن» و «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» وغيرهما...

[معجم المؤلفين (٣/ ٥٥٨ - ٥٥٩)].

وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان الميزان» (٤/ ٤٢٦): «الفخر بن الخطيب صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عري من الآثار وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا.  
وله كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله» اهـ.

وقال الشيخ «محمد شريف الدين» في تعليقه على اللسان «عند قول الحافظ عن كتاب «السر المكتوم»... «أنه سحر صريح ما نصه»... فلم يصح أنه له، وقيل: إنه مختلق عليه ويتقدير نسبه إليه ليس بسحر فليتأمل من يحسن السحر. وعليه ردّ للشيخ «زين الدين» =

وشرائطها، وكلُّ هؤلاءٍ مرجعُهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريقٌ إلا بشخصٍ خاصٍّ على شكلٍ خاصٍ ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخذ أصحابُ الروحانياتِ والكواكبِ أصناماً زعموا أنها على صورها، فوضعُ الصنمِ إنما كان في الأصل على شكلٍ معبودٍ غائبٍ، فجعلوا الصنمَ على شكله وهيأته وصورته ليكون نائباً متاباً وقائماً مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبةً أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهٌ ومعبودُه.

ومن أسبابِ عبادتها أيضاً أن الشياطينَ تدخلُ فيها وتخطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيباتِ عنهم، وتدللهم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطانَ، فجهلتهم وسقطتهم يظنون أن الصنمَ نفسه هو المتكلّمُ المخاطبُ، وعقلاؤهم يقولون إن تلك روحانياتُ الأصنام، وبعضهم يقول إنها الملائكة، وبعضهم يقول إنها هي العقولُ المجردة، وبعضهم يقول هي روحانياتُ الأجرام العلوية، وكثيرٌ منهم لا يسأل عما عهد، بل إذا سمع الخطابَ من الصنمِ اتخذها إلهاً ولا يسأل عما وراء ذلك.

وبالجمله فأكثرُ أهلِ الأرضِ مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاءُ أتباعُ ملةِ إبراهيمَ عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قبل نوحٍ عليه السلام كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتبُ المصنفةُ في شرائعِ عبادتها طبق الأرض.

قال إمامُ الحنفاء: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۗ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦].

والأممُ التي أهلكها الله تعالى بأنواع الهلاكِ كلُّهم يعبدون الأصنام، كما قص الله عز وجل ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسلَ وأتباعهم من الموحدين. ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهلِ الأرض، ما صحَّح عن النبي ﷺ:

= الملطي المتوفى سنة (٧٨٨هـ) وسماه «انقضاض البازي في القصاص الرازي». وفي «الفوائد البهية» أن «السر المكتوم...» ليس من مؤلفاته وإنما هو من وضع بعض الملاحدة نسبة إليه ليروجه بين الناس. وقد تبرأ الرازي نفسه من هذا الكتاب في بعض مصنفاته، فالظاهر أنه نسب إليه وهو حي» اهـ.

«أَنْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةَ وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ»<sup>(١)</sup>.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَتْسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عزيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيماً، ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها، وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات، ولا يثنيه ذلك عن عبادتها، ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر، غير ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلا إقداماً وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته.

فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشد، فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير، والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله، وأنهم أعداء الله وأعداء رسوله، وأنهم أولياء الشيطان وعباده، وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها، وهم الذين حلت بهم المثلاث، ونزلت بهم العقوبات، وأن الله سبحانه بريء منهم هو وجميع رسوله وملائكته، وأنه سبحانه لا يغير لهم ولا يقبل لهم عملاً، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف، وقد أباح الله عز وجل لرسوله وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبنائهم، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا، وذمهم بسائر أنواع الدماء، وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة.

فهؤلاء في شق ورسل الله في شق. ثم قال رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup>:

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢/٦) رقم (٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أي ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/٢٦٩).

«(فصل): ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعلوا فيه حظاً من الإلهية وشبهوه بالله تعالى، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيرُه مثلاً له ونداً وشبهاً له، لا أن يشبهه هو بغيره إذ ليس في الأمم أمة جعلته سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلاً وشبته به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلوّاً فيمن يُعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرّحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهة إلهاً واحداً، وقالوا: اضربوا على آلهتكم، وصرّحوا بأنه إله معبود يُرجى ويخاف ويُعظم ويُسجد له ويُخلف باسمه ويقرب له القرابين، إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى» اهـ.

ثم ذكر رحمه الله تعالى في ذلك بحثاً نفسياً فأجاد وأفاد، ثم ذكر باقي طوائف المشركين من عباد النار والماء والحيوانات والملائكة وغيرهم من الثنوية والدهرية والفلاسفة، وذكر من أوضاع شرائعهم الباطلة وأصولها وكيفية عبادتهم لما ألوهه، ونقض ذلك عليهم أتم نقض<sup>(١)</sup>، تغمده الله برحمته.

### [أكثر شرك الأمم في الإلهية، لا بجحود الصانع]

والمقصود أن أكثر شرك الأمم التي بعث الله إليها رسله وأنزل كتبه غالبهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يُذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية<sup>(٢)</sup> والثنوية<sup>(٣)</sup>، وأما

(١) انظر ذلك في كتابه «إغاثة اللهفان» (٢/٢٦٩ - ... إلى آخر الجزء الثاني).

(٢) الدهرية: هم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي، والرسالة من الله تعالى، ويقولون: هذا مستحيل في العقول، ويقولون: بقدوم العالم، وينكرون الثواب والعقاب ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق، وينسبون التوازل التي تنزل بهم إلى الدهر.

انظر: «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: أحمد إبراهيم الحاج (ص ٥٢)، ط. دار التراث العربي طبعة أولى (١٤٠٠هـ).

و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١/٩ وما بعدها)، ط. دار المعرفة طبعة ثانية (١٣٩٥هـ).

(٣) الثنوية: هم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر =

غيرهم ممن جحدوا عناداً كفرعونَ ونمرودَ وأضرابهم فهم مُقِرُّون بالربوبية باطناً كما قدمنا، وقال الله عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤]، وبقية المشركين يُقِرُّون بالربوبية باطناً وظاهراً؛ كما صرَّح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوعٌ منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضادَّ نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عبَاد القبور إذا قال أحدهم يا شيخ فلان - لذلك المقبور - أغثني أو افعل لي كذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعيدة، وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار تراباً، فدعاؤه إياه عبادة صرَّفها له من دون الله؛ لأن الدعاء مُخَّ العبادة، فهذا شركٌ في الإلهية. وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير، أو دفع ضرر، أو ردَّ غائب أو شفاء مريض، أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادرٌ على ذلك هذا شركٌ في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرِّف مع الله تعالى في ملكوته.

ثم إنه لم يدَّعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب، في أي وقت كان، وفي أي مكان، ويصرِّحون بذلك، وهذا شركٌ في الأسماء والصفات، حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بُعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

### [الكلام على الشرك الأكبر]

(والشرك نوعان: فشرك أكبر به خلود النار إذ لا يُغفر) (وهو اتخاذ العبد غير الله نداءً به مسوياً مُضاهي) (والشرك) الذي هو ضدُّ التوحيد (نوعان) أي ينقسم إلى نوعين (فشرك أكبر) ينافي التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام (به خلود) فاعله في (النار) أبداً

= والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والثاني: الظلمة. ويزعمون أن الظلمة والنور يختلفان في الجوهر والطبع والعقل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. المجوس: أثبتوا أصلين أيضاً إلا أنهم قالوا: بحدوث الظلام. انظر «الملل والنحل» للشهرستاني على هامش الفصل (٧٢/٢ - ٧٤) ط. دار المعرفة.

(إذ) تعليلٌ لأبدية الخلود أي لكونه (لا يغفر) قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَاجْتَبُوا الرَّحْسَ مِنَ الْأَثَلِ وَأَجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٦﴾ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَّتْهَا الطُّيُورُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٣٦].

وقال لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعِبَدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٥].

فالشرك أعظمُ ذنبٍ عُصِيَ الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضلُّ من فاعله، وأنه مخلدٌ في النار أبداً لا نصيرَ له ولا حميمٍ ولا شفيحٍ يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيامُ السارية ليلاً ونهاراً، ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظةً من اللحظات ومات على ذلك فقد حَبِطَ عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبياً رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوع المُحالِ وهو كثيرٌ في اللغة العربية، أي لو قُدِّرَ وقوعُ ذلك من ملكٍ أو رسولٍ لكان كغيره من المشركين في حبوطِ عمله وحلولِ غضبِ الله عليه، وإلا فلم يُرسل الله تعالى رسولاً إلا معصوماً من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والآياتُ في بيان عِظَمِ الشركِ ووعيدِ فاعله أكثرُ من أن يُحيطَ بها هذا

المختصر، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسر فنقول وبالله التوفيق:

في الصحيح<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»، وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

وفيه<sup>(٢)</sup> عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار».

وفيه<sup>(٣)</sup> عنه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار».

وفيه<sup>(٤)</sup> من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أتاني جبريلُ عليه السلام فبشّرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق».

وفيه<sup>(٥)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: «أن تجعلَ لله نِدأً وهو خلقك»، الحديث.

وفيه<sup>(٦)</sup> عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: كنّا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا أنبئكم بأكبرِ الكبائرِ (ثلاثاً): الإشرāk بالله، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور»، الحديث.

وروى أحمد<sup>(٧)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الدواوينُ

(١) البخاري (١١٠/٣) رقم (١٢٣٨)، ومسلم (٩٤/١) رقم (٩٢).

(٢) في صحيح مسلم (٩٤/١) رقم (٩٣/١٥١).

(٣) في صحيح مسلم (٩٤/١) رقم (٩٣/١٥٢).

(٤) البخاري (١١٠/٣) رقم (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤/١) رقم (٩٤).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) البخاري (٢٦١/٥) رقم (٢٦٥٤)، ومسلم (٩١/١) رقم (٨٧).

(٧) في المسند (٢٤٠/٦).

قلت: وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/٢)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٥٧٥).

(٥٧٦).



عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

= قال الحاكم: صحيح، واعترض عليه الذهبي بقوله: «فيه صدقة بن موسى ضعفوه، ويزيد بن بابتوس فيه جهالة». قلت: صدقة بن موسى ضعيف، كما قال الذهبي. أما يزيد بن بابتوس بالراجح أنه لا بأس به، انظر كتاب: «تهذيب التهذيب» (١١/٢٧٦ رقم ٥٠٨). وللحديث شواهد من حديث سلمان، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهم. \* أما حديث سلمان فقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٣١٠ رقم ٦١٣٣)، و«الصغير» (١/٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/١٠٢) عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «ذنب لا يغفر، وذنب لا يترك، وذنب يغفر. فأما الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذي يغفر فذنب العبد بينه وبين الله عز وجل، وأما الذي يترك، فظلم العباد بعضهم بعضاً». وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٤٨) وقال: «فيه يزيد بن سفيان بن عبد الله بن رواحة، وهو ضعيف، تكلم فيه ابن حبان، وبقيّة رجاله ثقات». \* وأما حديث أنس فأخرجه البزار في «مسنده» (٤/١٥٨ - ١٥٩ رقم ٣٤٣٩) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره، فالشرك. قال الله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وأما الظلم الذي يغفره الله: فظلم العباد لأنفسهم، فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله: فظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يدين لبعضهم من بعض». وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٤٨) وقال: «رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه، وبقيّة رجاله قد وثقوا على ضعفهم» اهـ. قلت: حديث أنس ضعيف جداً. \* وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٥٩٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ذنب يغفر، وذنب لا يغفر، وذنب يجازي به، فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذنب الذي يغفر فعملك فيما بينك وبين ربك، وأما الذي تُجازي به فظلمك أخاك». وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٤٨) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه طلحة بن عمرو، وهو متروك. قلت: فحديث أبي هريرة ضعيف جداً. أما حديث أنس وأبي هريرة لا يصلحان للاستشهاد. وخلاصة القول: أن حديث عائشة يرتقي بحديث سلمان إلى الحسن لغيره، والله أعلم.

وأما الديوانُ الذي لا يعبأُ الله به شيئاً، فظلمُ العبدِ نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة، فإن الله تعالى يغفر ذلك ويتجاوزُه إن شاء، وأما الديوانُ الذي لا يتركُ الله منه شيئاً فظلمُ العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»، تفرد به أحمدُ.

وله<sup>(١)</sup> عن معاويةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»، رواه النسائي<sup>(٢)</sup> أيضاً.

ولأحمد<sup>(٣)</sup> عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافرٌ لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتُك بقرابها مغفرةً».

وللترمذي<sup>(٤)</sup> وقال حسنٌ صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

(١) أي لأحمد في «المسند» (٩٩/٤).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٥١/٤) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «الصحيح» رقم (٥١١): أبو عون هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وقد ترجمه ابن أبي حاتم (٤١٤/٤ - ٤١٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) في «السنن» (٨١/٧) رقم (٣٩٨٤).

وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه أبو داود رقم (٤٢٧٠) وابن حبان رقم (٥١ - موارد)، والحاكم (٣٥١/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٣/٥). قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيح» رقم (٥١١).

وخلاصة القول: أن حديث معاوية صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) في «المسند» (١٧٢/٥).

قلت: وأخرجه الدارمي (٣٢٢/٢) كليهما من طريق شهر بن حوشب عن عمرو بن معدي كرب عن أبي ذر.

وفيه شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام قاله ابن حجر في «التقريب» رقم (٢٨٣٠).

وله شاهد من حديث أبي ذر عند الحاكم (٢٤١/٤) وأحمد (١٠٨/٥)، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وانظر: «الصحيح» رقم (١٢٨).

والخلاصة فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٤) في «السنن» (٥٤٨/٥) رقم (٣٥٤٠) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. =

يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك. يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

ولابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نفس تموت لا تُشرك بالله شيئاً إلا حلت لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ولأبي يعلى<sup>(٢)</sup> عنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب». قيل: يا نبي الله وما الحجاب؟ قال: «الإشراك بالله»، قال: «ما من نفس تلتقى الله لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى، إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها»، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ولأحمد<sup>(٣)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

= قلت: وفيه كثير بن فائد. قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦٢٠): مقبول. ويشهد له حديث أبي ذر المتقدم آنفاً. وانظر: «الصحيح» رقم (١٢٧).  
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(١) كما في تفسير ابن كثير (٥٢٢/١) بسند ضعيف منقطع.  
فموسى بن عبيدة الربذي ضعيف، وعبد الله بن عبيدة لم يسمع من جابر.  
قاله ابن معين، كما في «تهذيب التهذيب» (٣٨٠/٢) ط. الرسالة.  
وهو حديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٢) لم أجده في المسند المطبوع.  
وعزاه إلى أبي يعلى في «مسنده» الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥٢٢/١) وسنده كالذي قبله من ضعف وانقطاع.

وهو حديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.  
(٣) في «المسند» (٧٩/٣) بسند ضعيف.  
فيه عطية العوفي: ضعيف.

والحديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

ولابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: «وما دينه؟» قال: يصلي ويوحد الله، قال: «استوهب منه دينه، فإن أبي فابتغ منه». فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: وجدته شحيحاً على دينه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وللطبراني<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً».

ولابن مردويه<sup>(٣)</sup> عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أخبركم

(١) كما في تفسير ابن كثير (٥٢٢/١).

قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧٧/٤) رقم (٤٠٦٣).

فيه واصل بن السائب: قال البخاري وأبو حاتم منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. انظر: «التاريخ الكبير» (١٧٣/٨) و«الجرح والتعديل» (٣٠/٩ - ٣١). وأبو سورة: قال البخاري: منكر الحديث يروي عن أبي أيوب أحاديث لا يتابع عليه. وانظر: «تهذيب التهذيب» (٥٣٥/٤) ط. الرسالة.

والخلاصة أن الحديث ضعيف جداً.

(٢) في «الكبير» (٢٤١/١١) رقم (١١٦١٥).

قلت: وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٣٨٨/١٤) رقم (٤١٩١).

كلاهما من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس. وإبراهيم بن الحكم هذا: ضعيف. انظر: «الكامل» (٢٤١/١ - ٢٤٢)، و«التقريب» (٣٤/١) رقم (١٩٠).

وأخرج الحديث الحاكم (٢٦٢/٤) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وحفص بن عمر العدني هذا ضعيف. انظر: «الكامل» (٧٩٢/٢ - ٧٩٤) و«التقريب» (١/١٨٨) رقم (٤٥٨).

أما الحكم بن أبان العدني: أبو عيسى ثقة صاحب سنة كما في «الكاشف» (٢٤٤/١) رقم (١١٨١).

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٥٢٣/١) مسنداً.

فيه سعيد بن بشير: ضعيف. كما في «التقريب» رقم (٢٢٧٦).

بأكبر الكبائر: الإشراك بالله»، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، «وعقوق الوالدين» ثم قرأ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وللإمام أحمد<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أئنا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَبْتَئِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان: ١٣] الحديث في الصحيحين<sup>(٢)</sup>.

ولابن مردويه<sup>(٣)</sup> من حديث عبادة وأبي الدرداء رضي الله عنه: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن قُطعتم أو ضلّبتم أو حرقتم».

= والحسن لم يسمع من عمران بن حصين كما في «المراسل» لابن أبي حاتم (ص ٣٨ رقم ١٢٣)، وقال في (ص ٤٥ رقم ١٥٢): «وسمع من عمران بن حصين شيئاً». ولكن العلائي في «جامع التحصيل» (ص ١٩٥) نفى سماعه من عمران بن حصين، وهو الأقوى، والله أعلم.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بهذا السند ولكنه حسن بشواهده.

- (١) في «المسند» (٣/٥٠١ رقم ٣٥٨٩ - شاكر) وإسناده صحيح.
  - (٢) البخاري (١/٨٧ رقم ٣٢)، ومسلم (١/١١٤ - ١١٥ رقم ١٢٤).
  - (٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/١٩٥) بدون سند.
- \* وأخرجه ابن ماجه (٢/١٣٣٩ رقم ٤٠٣٤) من حديث أبي الدرداء، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٥٠ رقم ٤٠٣٤/١٤٢١): «هذا إسناد حسن، شهر مختلف فيه...».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢١٦ - ٢١٧) وقال: «رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وبقيه رجاله ثقات» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث أبي الدرداء حسن، والله أعلم.

\* وأخرجه الطبراني - كما في «مجمع الزوائد» (٤/٢١٦) - من حديث عبادة بن الصامت، وقال الهيثمي: وفيه سلمة بن شريح.

قال الذهبي: لا يعرف، وبقيه رجاله رجال الصحيح.

وخلاصة القول: أن حديث عبادة حسن لغيره.

\* وأخرجه أحمد (٥/٢٣٨) والطبراني في الكبير - كما في «مجمع الزوائد» (٤/٢١٥) من حديث معاذ.

ولابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن خرقتم وقطعتم وصلبتم».

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله عز وجل؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

وللبخاري<sup>(٣)</sup> عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أني عم، قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

والأحاديث في عظم ذنب الشرك وشدة وعيده أكثر من أن تُحصى، وقد قدمنا من أحاديث التوحيد جملة وافية عند الكلام على لا إله إلا الله وغير ذلك.

والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عز وجل ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم يُنْهَوْا عن شيء قبل الشرك كما قدمنا بسط ذلك. وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

= وقال الهيثمي: «ورجال أحمد ثقات إلا أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ. وإسناد الطبراني متصل وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو كذاب» اهـ. و خلاصة القول أن حديث معاذ حسن لغيره، والله أعلم.

(١) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (١٩٥/٢) مسنداً.

فيه يزيد بن قوذر، مجهول. وسلمة بن شريح: مجهول.

و خلاصة القول أن الحديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٢) البخاري (٣٤٧/١٣) رقم (٧٣٧٣)، ومسلم (٥٨/١) رقم (٣٠) وقد تقدم.

(٣) البخاري (١٩٣/٧) رقم (٣٨٨٤)، ومسلم (٥٤/١) رقم (٢٤).

بِهِ شَيْئًا وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ  
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن  
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿النساء: ٣٦﴾ .

وكما في آية الأنعام التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها، وهي قوله تعالى:  
﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَنِكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا  
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أُمَّلِكُمْ إِنَّهُنَّ فُتُونٌ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِاللَّهِ  
مِنْهَا وَمَا بَطُنٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَفِيلِ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ  
وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا  
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام]، وكما في آيات الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ  
وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ  
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْفَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٣٩﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٣٩]، فابتدأ تلك  
الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك.

وكما في آيات الفرقان في الثناء على عباده المؤمنين في اجتنابهم الفواحش:  
﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا  
يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات، وغير ذلك من الآيات.

وكذلك في أحاديث النبي ﷺ الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر  
بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكباير المتقدم، وكما في حديث  
مَنْ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: دُنِّي عَلَىٰ عَمَلٍ يَقْرِبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ،  
قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَن عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَمَلٍ عَلَىٰ مَنْ يَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا  
تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>، وذكر الحديث.

وكذا في أحاديث أركان الإسلام، كحديث جبريل المشهور<sup>(٢)</sup>، وحديث ابن

(١) البخاري (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٦)، ومسلم (١/٤٣ رقم ١٣/١٤) من حديث أبي أيوب.  
(٢) البخاري (١/١١٤ رقم ٥٠)، ومسلم (١/٣٩ - ٤٠ رقم ٩ و ١٠) من حديث أبي هريرة.

عمر<sup>(١)</sup>، وحديث وفدِ عبدِ القيس<sup>(٢)</sup> وغيرها يبدأ فيها بالشهادتين.

ومن تتبع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلق إلا لذلك.

### [تعريف الشرك]

(وهو) أي الشرك الذي تقدم ذكره في المتن وذكر النصوص فيه في الشرح: (اتخاذ العبد غير الله) من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جثي أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك، (نذراً) من دون الله (مسوياً به) الله، يحبه كحب الله، ويخافه ويخشاه كخشية الله، ويتبعه على غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله ويشركه في عبادة الله (مضاهي) به الله، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وحكى عنهم في اختصاصهم في النار: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لِنَافِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ سَأَلْتُم مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾ [الشعراء].

وقد أخبرنا الله عز وجل أنهم لم يسؤوهم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماتة، ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقررون لله تعالى بالربوبية: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تقدمت، ولكنهم سوؤهم بالله تعالى في حبهم إياهم كحب الله ولم يجعلوا المحبة لله وحده في خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشية لله والخوف من الله وحده، وأشركوهم في عبادة الله ولم يفرّدوا الله بالعبادة دون سواه، مع أنهم لم يعبدونهم استقلالاً بل زعموهم شفعاء لهم عند الله ليقربوهم إلى الله زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب ملكاً للمخلوق ويطلبونه منه، وأن له أن يشفع بدون إذن الله، والله تعالى يقول: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، ولهذا سمى الله تعالى استشفاعهم ذلك شركاً؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) البخاري (١/٤٩ رقم ٨)، ومسلم (١/٤٥ رقم ١٦).

(٢) البخاري (١/١٢٩ رقم ٥٣)، ومسلم (١/٤٦ رقم ١٧) من حديث ابن عباس.



يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنشِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ [يونس: ١٨]، فجمعوا في ذلك بين شركين:

(الأول): عبادتهم إياهم من دون الله عز وجل.

(والثاني): جعلهم شفعاء بدون إذن الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وأيضاً فقد أخبرنا الله تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة لله، قال الله تعالى: ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِمِيقَاتِهِ يَبِيعُ طَيْبَهُ وَقَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا أَجْلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُجْعِلُكُمْ مِنْ تَلْمِذَةِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنِ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلِ اللَّهُ يُجْعِلُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حُورِلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَدَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٩﴾ بَلْ إِلَٰهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام]، وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث حُصَيْنٍ<sup>(١)</sup> المتقدم لما قال له النبي ﷺ: «كم تعبد اليوم من إله؟» قال: سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فمن تُعبد لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء. ولما ركب بعض مشركي قريش<sup>(٢)</sup> فآراً من النبي ﷺ حين فتح مكة، فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم من هذا إلا هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلا هو فإنه لا ينفع في البر إلا هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبن إلى رسول الله ﷺ فلاضعن يدي في يده<sup>(٣)</sup>.

وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عبّاد القبور وغيرها، فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا يئذرون لهذا الولي في الرخاء ببيع أو تباع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك، فأصابتهم الشدة زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك.

وأيضاً فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا الله، وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى الله وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون له شريك في الملك أو ولي من الذل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

- (١) وهو حديث ضعيف أخرجه الترمذي (٥١٩/٥ رقم ٣٤٨٣) وقد تقدم.
- (٢) وهو عكرمة بن أبي جهل، وقد أسلم. انظر: «الإصابة» رقم (٥٦٥٤)، و«الاستيعاب» رقم (١٨٥٧)، و«أسد الغابة» رقم (٣٧٤١).
- (٣) أخرجه النسائي (١٠٥/٧ - ١٠٦ رقم ٤٠٦٧)، وأبو داود (١٣٣/٣ رقم ٢٦٨٣) و(٤/٥٢٧ رقم ٤٣٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٠/٧)، والبخاري (٣٤٣/٢ رقم ١٨٢١ - كشف)، والحاكم في «المستدرک» (٤٥/٣) وصححه ووافقه الذهبي. وأبو يعلى في «المسند» رقم (٧٥٧) من حديث سعد بن أبي وقاص.
- وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٨/٦ - ١٦٩) وقال: «رواه أبو داود وغيره باختصار ورواه أبو يعلى والبخاري... رجالهما ثقات» اهـ.
- وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

[المؤمنون]، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْنَعُوا إِلَيْكَ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤١﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء]، وغير ذلك من الآيات.

(يقصده عند نزول الضر) لجلب خير أو لدفع الشر  
 (أو عند أي غرض لا يقدر) عليه إلا المالك المقتدر  
 (مغ جعله لذلك المدعو) أو المعظم أو المَرَجُو  
 (في الغيب سلطاناً به يطلع) على ضمير من إليه يفرع

(يقصده) أي المتخذ ذلك الند من دون الله يقصد نده (عند نزول الضر) به من خير فاته أو شرّ دهمه (لجلب خير) له (أو لدفع الشر) عنه (أو عند) احتياج (أي غرض) من الأغراض، والحال أنه (لا يقدر عليه) أي على ذلك الغرض (إلا المالك المقتدر) وهو الله سبحانه وتعالى (مع جعله) أي العبد (لذلك المدعو أو المعظم أو المَرَجُو) من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جنّي (في الغيب سلطاناً) أي يعتقد أن له سلطاناً غيبياً فوق طوق البشر (به يطلع) أي بذلك السلطان الذي اعتقده فيه (على ضمير من إليه) إلى ذلك الند (يفرع) في قضاء أي حاجة من شفاء مريض أو ردّ غائب أو غير ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه، ويرى مكانه ويعلم حاجته، ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع الله، والمقصود أنه يُثبت له من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة المعبودية، ويجعله مستحقاً العبادة مع الله.

ومن هنا يتبين لك ما قدّمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولا بد، ويتبين لك عظم ذنب الشرك وأنه أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر، وأن الله تعالى لا يغيره ولا يقبل لأحد معه عملاً، وأنه لا أشدّ هلكة منه، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا بالندارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وما هلك الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك والإبائ عن التوحيد، ولا نجا الرسل وأتباعهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بالتزام التوحيد والبراءة من الشرك، فما هلك قوم نوح بالطوفان، ولا

عاد بالريح العقيم، ولا ثمود بالصيحة، ولا أهل مدين بعباد يوم الظلة إلا بالشرك وعبادة الأصنام، وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب، ولم يخرج عصاة الموحدن من النار في الآخرة إلا بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبداً مؤبداً إلا بالشرك.

ثم اعلم أن ما عبد من دون الله إما عاقل أو غير عاقل، فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن. وينقسمون إلى قسمين:

راضٍ بالعبادة له، وغير راضٍ بها. فالأول كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم؛ كما قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَرَاؤُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ فَكُنَّا لَمِنَ الْبَاقِيَاتِ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى في شأن إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وقال في شأن فرعون: ﴿بِقَدْمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيَنْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمِزُهُمُ الْجِنَّةَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وغير ذلك من الآيات.

والقسم الثاني وهو من كان مطيعاً لله وغير راضٍ بالعبادة له من دون الله كعيسى ومريم وعزير والملائكة وغيرهم، فهم برآء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى في شأن الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿١٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [سبا].

وقال تعالى في شأن كل من عبد من دون الله تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من أولياء الله مطلقاً إلى يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧﴾ قالوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴿الفرقان: ١٧ - ١٩﴾ الآية، وغيرها من الآيات.

وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل، فيشملها قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ۝١٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ [الأنبياء]، ولكن الأحجار لا أرواح فيها، وإنما يُعَذَّب بها من عبدها من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، الآية.

وكما يُعَذَّب عبد الدينار والدرهم بهما؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [التوبة].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> من حديث أبي سعيد في الشفاعة بطوله، وفيه: «ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم».

وفيه<sup>(٢)</sup> في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبغه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت» الحديث، وفي حديث الصُّور الطويل<sup>(٣)</sup>: «أَلَا لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا يَبْقَى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سيأتي الحديث بطوله وكلام المحدثين عليه عند الكلام على «الإيمان بالنفخ في الصور».

أَحَدٌ عَبْدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا مُثَلِّتٌ لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُجْعَلُ يَوْمَئِذٍ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عَزِيرٍ وَيُجْعَلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ يَتَّبِعُ هَذَا الْيَهُودُ وَهَذَا النَّصَارَى، ثُمَّ قَادَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ آِلِهَةً مَا وَرَدُّوهُمَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢٠].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الدارقطني والطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهم من المصنفين في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله <sup>(١)</sup>، وفيه: «ثم ينادى أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يُولي كل أناسٍ منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا. قال: فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطاناً عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطاناً عزير، ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأُمَّته» الحديث.

قلت: وقوله: «يمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون» الخ، هذا في مثل عيسى وعزير. وأما عبدة الطاغوت فتقودهم طواغيتهم حقيقة لا أشباهها كما صرح به الكتاب والسنة، والله أعلم.

### [الكلام على الشرك الأصغر]

(والشانِ شركٌ أصغرٌ وهو الريا فسره به ختامُ الأنبياء)  
(و) النوع الثاني (الشان) من نوعي الشرك (شركٌ أصغر) لا يُخرج من الملة، ولكنه يَنْقُصُ ثوابَ العمل، وقد يُحِبِّطُهُ إذا زاد وغلب (وهو الريا) اليسيرُ في تحسين العمل (فسره به) أي فسّر الشرك الأصغر بالرياء (ختامُ الأنبياء) محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء» <sup>(٢)</sup>.

(١) سيأتي الحديث بطوله وكلام المحدثين عليه.

(٢) وهو حديث حسن.

وبذلك فُسر قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن شهر بن حوشب قال: جاء رجلٌ إلى عبادة بن الصامتِ فقال: (أبئني عما أسألك عنه، أرايتَ رجلاً يصلي يتبغى وجهَ الله ويحب أن يُحمدَ، ويصوم يتبغى وجهَ الله ويحب أن يُحمد، ويتصدق ويتبغى وجهَ الله ويحب أن يُحمد، ويحجَّ يتبغى وجهَ الله ويحب أن يُحمد؟ فقال عبادةٌ: ليس له شيءٌ، إن الله تعالى يقول: أنا خيرُ شريكٍ، فمن كان له معي شريكٌ فهو له كلُّه لا حاجةَ لي فيه)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم من المسيحِ عندي؟»، قال: قلنا: بلى، قال: «الشُّركُ الخفيُّ أن يقوم الرجلُ يصلي لمقام الرجل» رواه أحمد<sup>(٢)</sup>.

وفيه رواية<sup>(٣)</sup>: «يقوم الرجلُ فيصلِّي فيزيِّنُ صلاته لما يرى من نظر رجلٍ إليه».

= أخرجهُ أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٣٣٣) رقم ٦٨٣١، والبخاري في «شرح السنة» (١٤/٣٢٣) رقم ٤١٣٥ من حديث محمود بن لبيد. وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (٤٧) وعزاه لأحمد بإسناد جيد، وابن أبي الدنيا والبيهقي في «الزهد».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٠٢) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» رقم (٣١١): «رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث محمود بن لبيد، وله رواية ورجاله ثقات. ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج» اهـ.

(١) أخرجهُ الطبري في «جامع البيان» (٩/٤٠/١٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/١١٤) وهو حديث مرسل.

وشهر بن حوشب: لا بأس به، قاله أبو زرعة. وقال ابن عدي: ليس بالقوي. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/٢٥٨)، و«الجرح والتعديل» (٤/٣٨٢)، و«التقريب» (١/٣٥٥) و«تهذيب التهذيب» (٤/٣٢٤) و«لسان الميزان» (٧/٢٤٤).

(٢) و(٣) أخرجهُ أحمد (٣/٣٠)، وابن ماجه (٢/١٤٠٦) رقم ٤٢٠٤، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٣٢).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٩٦) رقم ١٤٩٨/٤٢٠٤: «هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما...». والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

وله<sup>(١)</sup> عن شدّاد بن أوسٍ رضي الله عنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «من الشهوة الخفية والشرك»، فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللهم غفراً، ألم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وآله قد حدّثنا أن الشيطانَ قد يشس أن يُعبَدَ في جزيرة العرب.

أما الشهوة الخفية فقد عرفناها، هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شدّاد؟ فقال شدّاد: أرايتكم لو رأيتم رجلاً يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدّق، أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله، إن من صلّى لرجل أو صام أو تصدّق له لقد أشرك. فقال شدّاد: فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «من صلّى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدّق يرائي فقد أشرك».

قال عوف بن مالكٍ عند ذلك: أفلا يعبدُ الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العملِ كلّه فيقبل ما خلص منه، ويدع ما أشرك به؟ فقال شدّاد عند ذلك: فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله تعالى يقول: أنا خيرُ قسيم لمن أشرك بي ومن أشرك بي شيئاً، فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني».

وله<sup>(٢)</sup> عنه رضي الله عنه أنه بكى فليل: ما يُبكيك؟ قال: شيءٌ سمعته من رسولِ الله صلى الله عليه وآله فأبكاني، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية»، قلت: يا رسولَ الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: «نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم».

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» (١٢٥/٤ - ١٢٦) بسند رجاله ثقات، وشهر بن حوشب وإن تكلم فيه بعضهم فقد وثقه ابن معين والإمام أحمد، وقال يعقوب: شهر وإن قال ابن عون تركوه فهو ثقة. وقال ابن معين: ثبت. كذا في «الخلاصة».

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهد، والله أعلم.

(٢) أي وللإمام أحمد في «المسند» (١٢٤/٤) من حديث شدّاد بن أوس، بسند ضعيف. وفيه: عبد الواحد بن زيد: منكر الحديث قاله البخاري في «التاريخ الصغير» (١٤٤/٢).

وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث.

انظر: «الميزان» (٦٧٢/٢)، و«الجرح والتعديل» (٢٠/٦) و«اللسان» (٨٠/٤) و«المجروحين» (١٥٤/٢) و«الكامل» (١٩٣٥/٥).



والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومته، ورواه ابن ماجه (١).

وللبزار (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: أنا خير شريك، من أشرك بي أحداً فهو له كله».

ولأحمد (٣) عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك».

وله (٤) عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء».

وله (٥) عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله الله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك»، أخرجه الترمذي (٦) وابن ماجه (٧).

(١) في «السنن» (١٤٠٦/٢) رقم (٤٢٠٥).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢٩٦/٣ - ٢٩٧ - رقم ١٤٩٩ - ٤٢٠٥): «هذا إسناد فيه مقال، عامر بن عبد اللطيف لم أر من تكلم فيه بجرح ولا غيره وباقي رجال الإسناد ثقات... اهـ، وضعف الألباني الحديث.

وخلاص القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (١١٥/٣).

وأخرج مسلم (٢٢٨٩/٤) رقم (٢٩٨٥/٤٦) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه».

(٣) في «المسند» (٣٠١/٢) بسند صحيح.

(٤) تقدم تخريجه قريباً وهو حديث حسن.

(٥) أي لأحمد في «المسند» (٢١٥/٤) و (٤٦٦/٣).

(٦) في «السنن» (٣١٤/٥) رقم (٣١٥٤) وقال: وحديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر.

(٧) في «السنن» (١٤٠٦/٢) رقم (٤٢٠٣).

قلت: وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٠/٥) رقم (٦٨١٧)، وابن حبان في =

ولأحمد<sup>(١)</sup> عن أبي بكر<sup>رضي الله عنه</sup> قال: قال رسول الله <sup>ﷺ</sup>: «من سمع سمع الله به، ومن رأى رأى الله به».

وله<sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الخدري<sup>رضي الله عنه</sup> عن رسول الله <sup>ﷺ</sup> قال: «من يراء يراء الله به، ومن يسمع يسمع الله به».

وله<sup>(٣)</sup> عن عبد الله بن عمرو<sup>رضي الله عنه</sup> أنه سمع رسول الله <sup>ﷺ</sup> يقول: «من سمع الناس بعلمه سمع الله به مسمع خلقه وصغره وحقره»، فدرقت عينا عبد الله.

وللبزار<sup>(٤)</sup> عن أنس<sup>رضي الله عنه</sup> قال: قال رسول الله <sup>ﷺ</sup>: «تعرض أعمال بني آدم

---

= «صحيحه» (٣٤٠/١٦ - ٣٤١ رقم ٧٣٤٥) و(١٣٠/٢ - ١٣١ رقم ٤٠٤)، وفي سننه زياد بن مينا: مقبول.

فالحديث حسن، والله أعلم.

(١) في «المسند» (٤٥/٥) بسند صحيح.

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤٠/٣).

قلت: وأخرجه ابن ماجه (١٤٠٧/٢ رقم ٤٢٠٦). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢٩٧/٣ رقم ٤٢٠٦/١٥٠٠): «هذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي ومحمد بن أبي ليلى. رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده هكذا. وله شاهد في الصحيحين من حديث جندب» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهد، والله أعلم.

(٣) أي للإمام أحمد في «المسند» (١٦٢/٢ و ١٩٥/٢) بسند صحيح.

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢٢٢/١٠) وقال في أوله: «عن عمرو بن مرة قال: حدثني شيخ يكنى أبا يزيد قال: كنت جالسا مع عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر» فذكره بأطول مما في مسند أحمد، ثم قال: «رواه الطبراني في «الكبير»، واللفظ له، و«الأوسط» بنحوه».

ثم ذكر أنه رواه أحمد باختصار ثم قال: «وسمى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن، فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في «الكبير» رجال الصحيح».

(٤) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (١١٦/٣).

قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢١٨/١ - ٢١٩) في ترجمة «الحارث بن غسان المري»، وقال: وقد حدث هذا الشيخ بمناكير. وكذلك أخرجه الذهبي في «الميزان» (٤٤١/١ رقم ١٦٤١) في ترجمة الحارث هذا، وقال عنه: مجهول.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة، فيقول الله: ألقوا هذا، واقلبوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلا خيراً، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي».

ولوهب عن عبد الله بن قيس الخزاعي<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رياءً وسُمعةً لم يزل في مقت الله حتى يجلس».

ولأبي يعلى<sup>(٢)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو، فتلك استهانة استهان بها ربّه عز وجل».

### [الكلام على الرياء والنفاق]

ثم اعلم أن الرياء قد أطلق في كتاب الله كثيراً، ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر، وصاحبه في الدّرك الأسفل من النار؛ كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا نَّاسٍ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا نَّاسٍ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ فَرِينًا فِسَاءً قَبِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء.

(١) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٢٢٣/١٠) وقال الهيثمي: وفيه يزيد بن عياض وهو متروك.

وانظر تفسير ابن كثير (١١٦/٣).

(٢) في «المسند» (٥٤/٩) رقم ٥١١٧/١٥١ بسند ضعيف.

قلت: وأخرجه البيهقي (٢٩٠/٢) من طريق أبي يعلى.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢١/١٠) وقال: «رواه أبو يعلى، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف» اهـ.

وأورده الحافظ في «المطالب العلية» (١٨٣/٣) رقم ٣٢٠٠ وعزاه إلى أبي يعلى وقال: حديث حسن.

ومنها ما يصرِّح بمعناه دون لفظه؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها.

والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سَمَّاهُ النبي ﷺ شركاً أصغرَ خفياً هو حديث «الأعمال بالنيات»، وهو ما رواه الشيخان<sup>(١)</sup> عن عمرَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيِّبها أو امرأةٍ يَنكِحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

فالتَّيَّةُ هي الفرقُ في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أُطلقت النيةُ في القرآن بلفظ الابتغاءِ وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةُ الله والدارِ الآخرةِ، وسَلِمَ من الرياء في فعله، وكان موافقاً للشرع فذلك العملُ الصالحُ المقبول، وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةُ غيرِ الله عزَّ وجلَّ فذلك النفاقُ الأكبرُ، سواءً في ذلك من يريد به جاهاً ورياسةً وطلبَ دنيا، ومن يريد حَقْنَ دمه وعصمةَ ماله وغيرَ ذلك، فهذان ضدَّان ينافي أحدهما الآخر لا محالة. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى يُثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْثُ وَسَّكِنَا وَيَنَسَا﴾

(١) البخاري (٩/١ رقم ١)، ومسلم (٣/١٥١٥ رقم ١٩٠٧).

وَأَمِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِمَوْجِدِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان]، وقال: ﴿إِلَّا أَنْبَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠]، وغير ذلك من الآيات.

وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه، فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وفسره بالرياء العملي، وزاده إيضاحاً بقوله: «يقوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته لِمَا يرى من نظر رجل إليه»<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يُخرج من الملة، ولكنه ينقص من العمل بقدره، وقد يغلب على العمل فيُحبطه كله والعياذُ بالله.

اللَّهُمَّ اجعل أعمالنا كلها سالحةً واجعلها لوجهك خالصةً ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

وأما حديثُ أبي موسى ﷺ في الصحيح<sup>(٢)</sup>، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجلُ يقاتل للذكر، والرجلُ يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

فهذا الحديثُ يحتمل المعنيين، وتُعَيَّنُهُ لأحدهما النية، فإن كان أصلُ العمل لغير الله فهو النفاق، وإن كان أصله لله وأحبَّ مع ذلك أن يُذكرَ ويثنى عليه به فهو المعنى الذي سبق في حديثِ عبادة<sup>(٣)</sup> ﷺ في الرجل: «يصلّي يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحمد» الحديث، وفي آخره قال: «ليس له شيء»، والله تعالى أعلم.

### [الكلام على الحلف بغير الله]

(ومنه إقسامٌ بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار) أي ومن الشرك الأصغر الذي لا يُخرج من الملة (إقسامٌ) مصدرٌ أقسم، أي الحلفُ (بغير الباري) كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك، كما في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ أدركَ عمرَ بنَ الخطابِ

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) البخاري (٦/٢٧) رقم (٢٨١٠)، ومسلم (٣/١٥١٢) رقم (١٩٠٤).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».

وفي رواية قال عمر: (فوالله ما حلفتُ بها منذ سمعتُ النبي ﷺ ذاكراً ولا آثراً)، متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ولأبي داود<sup>(٢)</sup> والنسائي<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

ولأحمد<sup>(٤)</sup> ومسلم<sup>(٥)</sup> والنسائي<sup>(٦)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله».

وللنسائي<sup>(٧)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر» أو «أشرك»، أخرجه أبو داود<sup>(٨)</sup> والترمذي وحسنه<sup>(٩)</sup>، والحاكم وصححه<sup>(١٠)</sup>.

- 
- (١) البخاري (٥٣٠/١١ رقم ٦٦٤٦) و(٥٣٠/١١ رقم ٦٦٤٧)، ومسلم (١٢٦٦/٣ رقم ١٦٤٦).
- (٢) في «السنن» (٥٦٩/٣ رقم ٣٢٤٨).
- (٣) في «السنن» (٥/٧ رقم ٣٧٦٩).
- قلت: وأخرجه ابن حبان (رقم ١١٧٦ - موارد)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٩/١٠). وهو حديث صحيح.
- (٤) في «المسند» (١١/٢، ١٧، ١٤٢).
- (٥) في صحيحه (١٢٦٧/٣ رقم ١٦٤٦/٣).
- (٦) في «السنن» (٥/٧).
- قلت: وأخرجه البخاري (٥١٦/١٠ رقم ٦١٠٨)، وأبو داود (٥٦٩/٣ رقم ٣٢٤٩)، والترمذي (١١٠/٤ رقم ١٥٣٤)، وابن ماجه (٦٧٧/١ رقم ٢٠٩٤)، والدارمي (٢/١٨٥)، والبيهقي (٢٩/١٠)، ومالك في «الموطأ» (٤٨٠/٢ رقم ١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٠/٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/١٠)، والحميدي في «المسند» رقم (٦٨٦) كلهم من طريق نافع عن ابن عمر.
- (٧) وهو حديث صحيح تقدم أنفاً من حديث أبي هريرة.
- (٨) في «السنن» (٥٧٠/٣ رقم ٣٢٥١).
- (٩) في «السنن» (١١٠/٤ رقم ١٥٣٥) وقال: حديث حسن.
- (١٠) في «المستدرک» (٥٢/١) وصححه.

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من حلف بالأمانة»، رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

وفي الطبراني<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلاً يحلف بالأمانة، فقال: «ألسنت الذي يحلف بالأمانة».

وعن قَتِيلَةَ بنتِ صَفِيٍّ أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تُتَدَدُونَ وإنكم تُشْرِكُونَ، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا «ورب الكعبة»، ويقول أحدهم: «ما شاء الله ثم شئت»، رواه أحمد<sup>(٣)</sup> والنسائي<sup>(٤)</sup> وصححه وابن ماجه<sup>(٥)</sup>.

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣٤/٢، ٦٧، ٦٩، ٨٦، ١٢٥) كلهم من حديث سعد بن عبيدة عن ابن عمر، وهو حديث صحيح.

(١) في «السنن» (٣/٥٧١ رقم ٣٢٥٣). وقال النووي في «رياض الصالحين» رقم (١٧١٨): «حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح» اهـ.

قلت: وأخرجه الروياني في «مسنده» (١/٦٤ و ٦٥ رقم ٧ و ١١) من طريق ليث عن عثمان بن عمير عن سليمان بن بريدة عن أبيه. وهذا سند صحيح.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم. (٢) في «الأوسط» رقم (٣٦٥٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/١٧٨) وقال: ورجاله ثقات. (٣) في «المسند» (٦/٣٧١ - ٣٧٢) من طريق المسعودي عن سعيد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة.

(٤) في «السنن» (٧/٦ رقم ٣٧٧٣) من طريق مسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة.

(٥) في «السنن» (١/٦٨٥ رقم ٢١١٨) من طريق ربيعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان. قلت: وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (١/٣٥٧)، والبيهقي (٣/٢١٦)، والحاكم (٤/٢٩٧) وأحمد من طريق المسعودي.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قلت: المسعودي كان اختلط، لكن تابعه مسعر... عند النسائي بإسناد صحيح. وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وقد ثبت في كفارة الجلفِ بغير الله حديثُ الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «من حلف فقال في جلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله».

ومن الشرك الأصغر قولُ ما شاء الله وشئتَ، كما روى النسائي<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده».

ولأبي داود<sup>(٣)</sup> بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»، وتقدم في ذلك حديثٌ قتيلة، والفرق بين الواو وثم أنه إذا عطف بالواو كان مضاهياً مشيئةً الله بمشيئة العبد إذ قرنَ بينهما، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئة العبد تابعةً لمشيئة الله عز وجل؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، ومثله

(١) البخاري (٥٣٦/١١) رقم ٦٦٥٠، ومسلم (١٢٦٧/٣) رقم ١٦٤٧/٥.

(٢) في عمل اليوم والليلة رقم (٩٨٨).

قلت: وأخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٧)، وأحمد في «المسند» (١/٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٧/٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٨٣)، وابن ماجه رقم (٢١١٧) كلهم من طريق الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٥٠/٢) رقم (٢١١٧/٧٤٦): «هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله، مختلف فيه، ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد. ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان.

وباقى رجال الإسناد ثقات... وله شاهد من حديث قتيلة رواه الثلاثة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) في «السنن» (٢٥٩/٥) رقم (٤٩٨٠).

قلت: وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (٢٣٦)، والبيهقي (٢١٦/٣)، وأحمد (٥/٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) من طرق عن شعبة عن منصور بن المعتمر سمعت عبد الله بن يسار عن حذيفة به.

قال الألباني في «الصحيحة» (١/٢٦٤): «وهذا سند صحيح، رجال كلهم ثقات، رجال الشيخين؛ غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي، وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان».

وقال الذهبي في «مختصر البيهقي» (١/٢١٤٠): «وإسناده صالح».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.



قول: لولا الله وفلان، هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان، ذكره إبراهيم النخعي.

ولابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: الأندادُ الشركُ أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك.

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٦١/١) مسنداً.

قلت: سنده حسن من أجل «شبيب بن بشر»، قال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٣٨): صدوق يخطئ.



[ال] فَضْل: [الخامس]

في بيان أمور يفعلها العامة  
منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه  
وبيان المشروع من الرقي والممنوع منها،  
وهل تجوز التماثل



هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشُّرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبدُ عليها بحيث يثق بها ويُضيف النفعَ والضَّرَّ إليها كان ذلك شركاً أكبرَ والعياذُ بالله، لأنه حينئذٍ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره.

[بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه]

(ومن يثقُ بـوَدْعَةٍ أو نابٍ أو حلقةٍ أو أعينِ الذئابِ)  
 (أو خيطٍ أو عُضْوٍ من النسور أو وَتَرٍ أو تُرْبَةِ القَبورِ)  
 (لأي أمرٍ كائنٍ تَعَلَّقَهُ وَكَلَهُ اللَّهَ إلى ما عَلَّقَهُ)

(ومن يثق) هذا الشرطُ جوابه (وكله) الآتي. (بودعة) قال في النهاية<sup>(١)</sup>: هو شيءٌ أبيضٌ يُجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وإنما نُهي عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين.

(أو ناب) كما يفعله كثيرٌ من العامة يأخذون ناب الضبع ويعلقونه من العين، (أو حلقة) وكثيراً ما يعلقونها من العين، وسيأتي في الحديث أنهم يعلقونها من الواهنة، وهو مرضُ العضد.

(أو أعين الذئاب) وكثيراً ما يعلقونها يزعمون أن الجنَّ تفرُّ منها، ومنهم من يقول أنه إذا وقع بصرُ الذئبِ على جنِّي لا يستطيع أن يفرَّ منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم.

(أو خيط) وكثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقدون فيه عُقْداً بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرهم يقرأ عليه سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلى آخرها. ويعقد عند كل كافٍ منها عُقْدة، فيجتمع في الخيط تسعُ عُقَدٍ بعدد الكافات، ثم يربطونها بيد المحموم أو عنقه.

(١) (١٦٨/٥) لابن الأثير.

(أو عضو من النسور) كالعظم ونحوه يجعلونها حَزْزاً ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين.

(أو وتر) وكانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه (وعلقوه يزعمون عن العين على الصبيان والدواب)<sup>(١)</sup>.

(أو تربة القبور) وما أكثر من يستشفى بها لا شفاهم الله، واستعمالهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك.

وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته، فزعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يُدفن فيها ذلك الولي بزعمه، بل قيل له إن جنازته قد وُضعت في ذلك المكان.

وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم، نسأل الله العافية.

(لأي أمر كائنٍ تعلقه) الضميرُ عائِدٌ إلى ما تقدم وغيره (وكله الله) أي تركه (إلى ما علقه) دعاءٌ عليه أي لا حفظه الله ولا كلاًه، بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تعلق تميمَةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلق وذعةً فلا ودعَ الله له»، رواه أحمد<sup>(٢)</sup>.

(١) لعل العبارة: (وعلقوه على الصبيان والدواب يزعمون أنها تدفع العين).

(٢) في «المسند» (١٥٤/٤) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه أبو يعلى (٣/٢٩٥ رقم ١٧٥٩/٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/٢٩٧ رقم ٨٢٠).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١٠٣) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات» اهـ.

وصححه الحاكم في «المستدرک» (٤/٢١٦) ووافقه الذهبي.

قلت: فيه خالد بن عبيد المعافري: لم يوثقه إلا ابن حبان في «الثقات» (٦/٢٦٢)، ولكن =

وله<sup>(١)</sup> عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر فقال: «ما هذا؟» قال: من الواهنة، فقال: «انزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا».

ولابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> عن خديفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» [يوسف: ١٠٦]. وفي الصحيح<sup>(٣)</sup> عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن «لا يَبْقَيْنَ في رقبة بغيرِ قِلَادَةٍ من وتر أو قِلَادَةٍ إِلَّا قُطِعَتْ».

وعن زُوَيْفِع رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا زُوَيْفِعُ لعلَّ الحَيَاةَ تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيتَه أو تقلد وترأ أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم فإن محمداً بريء منه»، رواه أحمد<sup>(٤)</sup>.

وله<sup>(٥)</sup> عن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من علق شيئاً وُكِلَ إليه»، ورواه الترمذي<sup>(٦)</sup>.

= صح الحديث من حديث عقبة بن عامر بلفظ: «من تعلق تميمه فقد أشرك».

أخرجه أحمد (١٥٦/٤)، والحاكم (٢١٩/٤).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) أي لأحمد في «المسند» (٤/٤٤٥).

قلت: وأخرجه ابن ماجه (١١٦٧/٢) رقم (٣٥٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٧٢/١٨) رقم

(٣٩٢)، وابن حبان (٤٤٩/١٣) رقم (٦٠٨٥)، وفي سننه مبارك بن فضالة، صدوق لكنه

يدلس وقد عنعن. والحسن - ابن أبي الحسن البصري - لم يصرح بسماعه من عمران.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/١٤٠) رقم (٣٥٣١/١٢٣٢): «هذا إسناد حسن،

مبارك هو ابن فضالة مختلف فيه... اهـ».

وله شواهد عدة يرتقى بها إلى الحسن لغيره، إن شاء الله.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٥١٢/٢).

(٣) البخاري (١٤١/٦) رقم (٣٠٠٥)، ومسلم (١٦٧٢/٣) رقم (٢١١٥).

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٢٥٥٢)، وأحمد (٢١٦/٥)، ومالك في «الموطأ» (٩٣٧/٢).

(٤) في «المسند» (١٠٨/٤، ١٠٩).

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٣٦)، والنسائي (١٣٥/٨) وهو حديث صحيح.

(٥) أي للإمام أحمد في «المسند» (٢١١/٤).

(٦) في «السنن» (٤/٤٠٣) رقم (٢٠٧٣) وقال: حديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث =

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تتحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجزور ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط رقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرقي والتمايم والتولة شرك». قالت: قلت له: ليم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقياها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» رواه أحمد<sup>(١)</sup>، وروى جملة الدلالة منه على الباب أبو داود<sup>(٢)</sup>، أعني الجملة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد<sup>(٣)</sup>: (الرقي هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة، والتمايم شيء يلقونه على الأولاد عن العين، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته) اهـ. وقوله في الرقي: وخص منها الدليل ما خلا عن الشرك الخ، يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

= محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي.  
 قال الحافظ في «التقريب» رقم (٦٠٨١): «محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي: صدوق سيء الحفظ جداً» اهـ.  
 قلت: وفي الباب حديث عقبة بن عامر وقد تقدم.  
 والخلاصة أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.  
 (١) في «المسند» (١/٣٨١).  
 (٢) في «السنن» (٤/٢١٢) رقم (٣٨٨٣).  
 قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، والحاكم (٤/٤١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وهو كما قال.  
 (٣) (ص ١٣٥ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد).



## [الكلام على الرقى من حمة أو عين]

(ثم الرقى من حمة أو عين) فإن تكن من خالص الوحيين (فذلك من هذي النبي وشرعته) وذلك لا اختلاف في سنيته

(ثم الرقى) إذا فعلت (من حمة) وهي تطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب وغيرها، (أو عين) وهي من الإنس كالتفس من الجن، وهي حق ولها تأثير، لكن لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْفُوتَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] الآية.

فسره بإصابة العين ابن عباس<sup>(١)</sup> ومجاهد<sup>(٢)</sup> وغيرهما، وفي تحقيقها أحاديث:

ففي صحيح مسلم<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العين حق»، أخرجه<sup>(٤)</sup>.  
ولأحمد<sup>(٥)</sup> وابن ماجه<sup>(٦)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين حق».

ولأحمد<sup>(٧)</sup> عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم».

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٢٩/ج٤٦) عنه.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٢٩/ج٤٦) عنه.

(٣) (٤/١٧١٩ رقم ٢١٨٨).

(٤) البخاري (١٠/٢٠٣ رقم ٥٧٤٠)، ومسلم (٤/١٧١٩ رقم ٢١٨٧).

(٥) في «المسند» (٢/٤٨٧).

(٦) في «السنن» (٢/١١٥٩ رقم ٣٥٠٧).

وهو حديث صحيح لغيره.

(٧) في «المسند» (٢/٢٣٩).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١٠٧) وقال: «في الصحيح منه: العين حق - رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

وله <sup>(١)</sup> عنه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أصدقُ الطَّيْرَةِ الفَأْلُ، والعَيْنُ حقٌّ».

وله <sup>(٢)</sup> هو والترمذي <sup>(٣)</sup> والنسائي <sup>(٤)</sup> وابن ماجه <sup>(٥)</sup> عن أسماء رضي الله عنها قالت: يا رسولَ الله، إن بني جعفرٍ تُصيِّبهم العين، أفأسترقِي لهم؟ قال: «نعم فلو كان يُسبق القدرُ لسبقتَه العين».

ولأحمد <sup>(٦)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا هامَ، والعَيْنُ حقٌّ، وأصدقُ الطَّيْرَةِ الفَأْلُ».

وله <sup>(٧)</sup> عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدّثه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشِغْب الحرار من الجُحْفَةِ اغتسل سهلُ بنُ حنيف، وكان رجلاً أبيضَ حسنَ الجسم والجلد، فنظر إليه عامرُ بنُ ربيعة - أخو بني عدِي بن كعب - وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلدَ مُخبّأة، فليط

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» رقم (٧٨٧٠ - شاكِر) وقال: إسناده ضعيف. أبو معشر: «هو نجيج بن عبد الرحمن السندي، الفقيه صاحب المغازي وهو ضعيف...» اهـ.

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤٣٨/٦).

(٣) في «السنن» (٣٩٥/٤) رقم (٢٠٥٩) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١١/٢٦٠) رقم (١٥٧٥٨).

(٥) في «السنن» (٢/١١٦٠) رقم (٣٥١٢٠).

قال الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٥٢) عقب قول الترمذي: حسن صحيح.

قلت: ورجاله ثقات مشهورون من رجال الشيخين غير عبيد بن رفاعه وهو ثقة، وغير عروة بن عامر، قال في «التقريب»: «مختلف في صحبته، له حديث في الطيرة - أخرجه أبو داود وابن السني - بلفظ: «أحسنها الفأل»... وذكره ابن حبان في ثقات التابعين».

وللحديث شاهد صحيح من رواية ابن عباس عند مسلم (٤/١٧١٩) رقم (٢١٨٨).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٦) في «المسند» رقم (١٠٢٧٠) بسند صحيح، وانظر رقم (٧٦٠٩ و٩٥٧٨).

(٧) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/٤٨٦ - ٤٨٧) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٧٩) رقم (٥٥٧٥)، وابن ماجه (٢/١١٦٠) رقم

(٣٥٠٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/١٤ - ١٥) رقم (١٩٧٦٦).

وهو حديث صحيح.

سهل، فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه ولا يفتيق؟ قال: «هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً، فتغيط عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلاً إذا رأيت ما يعجبك بركت»، ثم قال له: «اغتسل له»، فغسل وجهه ويديه ومِرْفَقَيْهِ ورُكْبَتَيْهِ وأطرافَ رجلَيْهِ وداخِلَةَ إزارِهِ في قَدَح، ثم صبَّ ذلك الماء عليه، فصبَّه رجلٌ على رأسه وظهْرِهِ من خلفه، ثم يكفأ القَدَحَ وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

وله<sup>(١)</sup> عن عبيد الله بن عامر بن ربيعة قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال: فانطلقا يلتمسان الخمر<sup>(٢)</sup>، قال: فوضع عامر جبةً كانت عليه من صوف فنظرتُ إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يغتسل قال: فسمعت له في الماء فرقةً فأتيته فناديته ثلاثاً فلم يُجِبني، فأتيْتُ النبي ﷺ فأخبرته، قال: فجاء يمشي فخاض الماء فكأنني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم اصرف عنه حرَّها وبرِّدها ووصِّبها»، قال: فقام، فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يُعجبه، فليبرك فإن العين حق».

وله<sup>(٣)</sup> عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤٤٧/٣) بسند حسن.

قلت: وأخرجه الحاكم (٢١٥/٤ - ٢١٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: في سننه أمية بن هند بن سهل: مقبول. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦٠).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠٨/٥) وقال: «رواه الطبراني، وفيه أمية بن هند وهو مستور ولم يضعفه أحد، وبقيه رجاله رجال الصحيح» اهـ.

وله شواهد، فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) هو ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.

(٣) أي للإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢/٢) بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠١/٥) وقال: «رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، وقد وثق، وبقيه رجاله ثقات» اهـ.

وقال الشيخ أحمد شاکر في تخريج الحديث رقم (٧٠٧٠): «... ومعناه صحيح، ورد في =

طَيَّرَةَ وَلَا هَامَةً وَلَا حَسَدًا، وَالْعَيْنُ حَقٌّ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَصْرُوحَةِ بِأَنَّ  
الْعَيْنَ حَقٌّ، وَسَنَذَكُرُ بَعْضَهَا أَيْضًا فِي شَرْعِيَةِ الرُّقَى مِنْهَا، وَغَيْرَهَا.

### [الرقى بالقرآن والسنة]

ولنرجع إلى المقصود من شرح المتن: (فإن تكن) أي الرقى (من خالص  
الوحيين) الكتاب والسنة، وإضافة خالص إلى الوحيين من إضافة الصفة إلى  
الموصوف، والمعنى من الوحي الخالص، بأن لا يدخل فيه غيره من شعوزة  
المُشْعِزِينَ، وَلَا يَكُونُ بِغَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ يَتْلُو الْآيَاتِ عَلَى وَجْهِهَا، وَالْأَحَادِيثَ  
كَمَا رُوِيَ وَعَلَى مَا تُلْقِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَلَا هَمَزٍ وَلَا رَمَزٍ، (فذاك) أي الرقى من  
الكتاب والسنة هو (من هدي النبي) ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون  
بإحسان، (و) من (شرعته) التي جاء بها مؤدياً عن الله عز وجل.

(وذاك) معطوف على ذاك الأول، والمشار إليه بهما واحداً ولكن الخبر في  
الثاني غير الخبر في الأول، فيكون من عطف الجملة على الجملة، والخبر (لا  
اختلاف في سنته) بين أهل العلم، إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله  
وتقريره، فرقاه جبريل عليه السلام ورقي هو ﷺ أصحابه وأمر بها وأقر عليها،  
ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك، وبالله التوفيق.

قال البخاري<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: باب الرقى بالقرآن والمعوذات، وذكر فيه  
حديث عائشة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان ينثف على نفسه - في المرض الذي مات  
فيه - بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنثف عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها».

ثم قال<sup>(٣)</sup>: باب الرقى بفاتحة الكتاب: ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ،

= أحاديث كثيرة صحاح، معروفة في دواوين السنة. وانظر منها ما مضى: (١٥٠٢، ١٥٥٤،  
٢٤٢٥، ٣٠٣٢، ٤١٩٨، ٤٧٧٥، ٦٤٠٥) وما سيأتي: (١٢٢٠٥، ١٢٣٥٠، ١٢٥٩١،  
١٢٨٠٦) وغير ذلك كثير اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) في صحيحه (١٩٥/١٠) رقم الباب (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥/١٠) رقم (٥٧٣٥)، ومسلم (٤/١٧٢٣) رقم (٢١٩٢).

(٣) أي البخاري في صحيحه (١٩٨/١٠) رقم الباب (٣٣).

ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري <sup>(١)</sup> رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حيٍّ من أحياء العرب فلم يقرههم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيّد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فجعلوا لهم قطعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأَم القرآن ويجمع بزاقه ويتنفل فبراً، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «وما أدراك أنها رُقِيَةٌ، خذوها واضربوا لي بسهم».

ثم قال <sup>(٢)</sup>: بابُ الشرطِ في الرُقِيَةِ بقطع من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباس <sup>(٣)</sup> رضي الله عنهما أن نقرأ من أصحاب النبي ﷺ مرّوا بماء فيه لديدغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إن في الماء رجلاً لديدغاً أو سليماً، فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتابِ على شاء فبراً، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكروهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قديموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: «إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله».

قلت: وهذا هو الذي علقه آنفاً عن ابن عباس، ثم قال <sup>(٤)</sup> رحمه الله: بابُ رُقِيَةِ العين، وذكر فيه حديث عائشة <sup>(٥)</sup> رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ، أو أمر أن يُسْتَرْقى من العين.

وحديث أم سلمة <sup>(٦)</sup> رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سَفْعَةٌ، فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرَةَ»، وذكر <sup>(٧)</sup> باب «العينُ حقٌّ»، ثم قال <sup>(٨)</sup>: بابُ

(١) أخرجه البخاري (١٩٨/١٠) رقم ٥٧٣٦، ومسلم (٤/١٧٢٧) رقم ٢٢٠١.

(٢) أي البخاري في صحيحه (١٩٨/١٠) رقم الباب (٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٨/١٠) - ١٩٩ رقم ٥٧٣٧.

(٤) أي البخاري في صحيحه (١٩٩/١٠) رقم الباب (٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٩/١٠) رقم ٥٧٣٨، ومسلم (٤/١٧٢٥) رقم ٢١٩٥.

(٦) أخرجه البخاري (١٩٩/١٠) رقم ٥٧٣٩، ومسلم (٤/١٧٢٥) رقم ٢١٩٧.

(٧) أي البخاري في صحيحه (٢٠٣/١٠) رقم الباب (٣٦).

(٨) أي البخاري في صحيحه (٢٠٥/١٠) رقم الباب (٣٧).

رُقِيَةِ الحِيَةِ والعقرب، وذكر فيه حديث عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه<sup>(١)</sup> قال: سألت عائشة عن الرقية من الحُمَّة فقالت: رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حُمَّة.

ثم قال<sup>(٢)</sup>: باب رقية النبي ﷺ، وذكر فيه حديث أنس بن مالك<sup>(٣)</sup> ﷺ إذ قال لثابت: ألا أريك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «اللهم رب الناس مُذهبِ الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»، وحديث<sup>(٤)</sup> عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى، ويقول: «اللهم رب الناس اذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

وحديثها<sup>(٥)</sup> رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقى يقول: «امسحِ الباسَ ربَّ الناسِ، بيدك الشفاء، لا كاشفَ له إلا أنت».

وحديثها<sup>(٦)</sup> رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا - وفي رواية<sup>(٧)</sup>: وريقة بعضنا - يُشفى سقيمنا بإذن ربنا».

وعن أنس رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحُمَّة والنملة، رواه أحمد<sup>(٨)</sup> ومسلم<sup>(٩)</sup> والترمذي<sup>(١٠)</sup> وابن ماجه<sup>(١١)</sup>.  
قال أبو البركات ابن تيمية: النملة قروحٌ تخرج في الجنب<sup>(١٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٥ رقم ٥٧٤١)، ومسلم (٤/١٧٢٤ رقم ٢١٩٣).

(٢) أي البخاري في صحيحه (١٠/٢٠٦) رقم الباب ٣٨.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ رقم ٥٧٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ رقم ٥٧٤٣)، ومسلم (٤/١٧٢١ رقم ٢١٩١).

(٥) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ رقم ٥٧٤٤)، ومسلم (٤/١٧٢٣ رقم ٢١٩١).

(٦) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ رقم ٥٧٤٥)، ومسلم (٤/١٧٢٤ رقم ٢١٩٤).

(٧) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ رقم ٥٧٤٦).

(٨) في «المسند» (٣/١١٨، ١١٩، ١٢٧).

(٩) في صحيحه (٤/١٧٢٥ رقم ٢١٩٦).

(١٠) في «السنن» (٤/٣٩٣ رقم ٢٠٥٦).

(١١) في «السنن» (٢/١١٦٢ رقم ٣٥١٦)، وهو حديث صحيح.

(١٢) وقال الخطابي في «معالم السنن» (٤/٢١٥): النملة: قروح تخرج في الجنبيين، ويقال أنها تخرج أيضاً في غير الجنب...

وعن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة، فقال: «ألا تعلمين، هذه رقية النملة»، الحديث رواه أحمد<sup>(١)</sup> وأبو داود<sup>(٢)</sup>.

وعن عوف بن مالك قال: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليّ رُقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»، رواه مسلم<sup>(٣)</sup> وأبو داود<sup>(٤)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى. قال: «فاعرضوها»، فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»، رواه مسلم<sup>(٥)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه»، الحديث رواه البخاري<sup>(٦)</sup> ومسلم<sup>(٧)</sup> بطوله في مواضع.

وعند ابن أبي شيبة<sup>(٨)</sup> عن زيد بن أرقم قال: (سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، قال: فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرَكَ وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل

(١) في «المسند» (٦/٣٧٢).

(٢) في «السنن» (٤/٢١٥ رقم ٣٨٨٧).

قلت: وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١١/٢٣٦ رقم ١٥٩٠٠) وهو حديث صحيح.

انظر «الصحيح» رقم (١٧٨).

(٣) في صحيحه (٤/١٧٢٧ رقم ٢٢٠٠).

(٤) في «السنن» (٤/٢١٤ رقم ٣٨٨٦) وهو حديث صحيح.

(٥) في صحيحه (٤/١٧٢٦ - ١٧٢٧ رقم ٢١٩٩).

(٦) في صحيحه (١٠/٢٢١ رقم ٥٧٦٣) و(١٠/٢٣٢ رقم ٥٧٦٥).

(٧) في صحيحه (٤/١٧١٩ - ١٧٢٠ رقم ٢١٨٩).

(٨) في «المصنف» (٧/٣٨٧ - ٣٨٨ رقم ٣٥٦٩).

قلت: وأخرجه النسائي (٧/١١٢ - ١١٣ رقم ٤٠٨٠) بسند صحيح.

كلما حل عُقدةٌ وجد لذلك خِفةً، فقام رسولُ الله ﷺ كأنما نَشِط من عِقالٍ.

ولمسلم<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري أن جبريلَ عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم، قال: بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ومن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينٍ حاسِدٍ، الله يشفيك».

وعن بُريدةَ بنِ الحصيبِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا رُقِيَةَ إِلَّا من عَيْنٍ أو حَمَةِ»، رواه ابنُ ماجه<sup>(٢)</sup> هكذا مرفوعاً، ورواه مسلم<sup>(٣)</sup> وغيره موقوفاً.

### [الرُّقَى بِالْفَافِ مَجْهُولَةٌ الْمَعَانِي]

(أما الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي فذاك وسواسٌ من الشيطان)  
(وفيه قد جاء الحديثُ أنه شركٌ بلا مريّةٍ فاحذرتَه)  
(إذ كل من يقوله لا يدري لعلّه يكون محضَ الكفر)  
(أو هو من سحر اليهودِ مُقتبسٍ على العوامِ لبسوه فالتبس)

أي: أما الرُّقَى التي ليست بعربية الألفاظِ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشَّرْعِ البتّة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظلٍّ ولا فيءٍ، بل هي وسواسٌ من الشيطان أوحاها إلى أوليائه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُفْرٍ إِلَىٰ أُولِيَٰهِمْ لِحُجْلٍ لَّوَّمٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وعليه يحمل قولُ النبي ﷺ في حديث ابن مسعود<sup>(٤)</sup>: «إن الرُّقَى والتمايم

(١) في صحيحه (٤/١٧١٨ - ١٧١٩ رقم ٢١٨٦).

(٢) في «السنن» (٢/١١٦١ رقم ٣٥١٣).

وفي سنده أبو جعفر الرازي: صدوق سيء الحفظ، خصوصاً عن مُغيرة، قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» رقم (٨٠١٩).

(٣) في صحيحه (١/١٩٩ رقم ٣٧٤/٢٢٠).

وله شاهد من حديث عمران بن حصين أخرجه (٤/٢١٣ رقم ٣٨٨٤)، والترمذي (٤/٣٩٤ رقم ٢٠٥٧).

وخلاصة القول أن حديث بُريدة صحيح لغيره، والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (١/٣٨١)، وابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٢٤٠)، وأبو داود مختصراً رقم (٣٨٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٣٥٠).

من طريقين عن الأعمش، عن عمرو بن مَرّة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب =



والتَّوَلَّى شَرْكًا، وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفرٌ أو إيمان، وهل هو حقٌّ أو باطل، أو فيه نفعٌ أو ضرٌّ أو رُقِيَّةٌ أو سحر.

ولعمُرُ الله لقد انهمك غالبُ الناس في هذه البلوى غايةً الانهماك، واستعملوه على أضربٍ كثيرة وأنواعٍ مختلفة.

فمنه ما يدعون أنه من القرآن أو من السنة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها، وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ بالسنة حتى يترجموه بالأعجمية، أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفعُ منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء، وبالأعجمية لغيره، ولا تصلح إحداها فيما تصلح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطان وسوّلت لهم أنفسهم، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعمون أنه من أسماء الله تعالى التي ليست في الكتاب ولا في السنة، وأنهم علموها من غيرهما.

فمنه ما يدعون أنه دعا به آدم عليه السلام أو نوحٌ أو هودٌ أو غيرهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون إنه ليس إلا في أم الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوبٌ في البيت المعمور.

= امرأة عبد الله بن مسعود، وقد وقع عند ابن ماجه (ابن أخت زينب) بدل (ابن أخي زينب). وأشار الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٠٥/٤) إلى أنه وقع في بعض نسخ ابن ماجه (ابن أخي)، وقال: وهو على كلا التقديرين مجهول. وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٨٤٩٦) كأنه صحابي، ولم أره مسمى. ولكن تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤١٧/٤ - ٤١٨)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. كما أن للحديث طريقان آخران يتقوى بهما، فقد أخرجه الحاكم (٢١٧/٤) من طريق إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن الأسدي، قال: دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على امرأة... فذكره. وأخرجه الحاكم أيضاً (٢١٦/٤ - ٢١٧) من طريق أبي الضحى، عن أم ناجية، قالت: دخلت على زينب امرأة عبد الله أعوذها... وخلاصة القول أن الحديث صحيح بطرقه، والله أعلم.

ومنه ما يقولون هو مكتوبٌ على جناح جبريلَ عليه السلام أو جناح ميكائيلَ أو جناح إسرافيلَ أو غيرهم من الملائكة، أو على باب الجنة أو غير ذلك.

وليت شعري متى طالعوا اللوحَ المحفوظَ فاستنسخوه منه، ومتى رَقُّوا إلى البيت المعمورِ فقرأوه فيه، ومتى نشرت لهم الملائكةُ أجنحتها فرأوه، ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشاهدوه، كلما شعوذ مشعبدً وتحذلق متحذلق وأراد الدجل على الناس والتحيل لأخذ أموالهم طلب السُّبُل إلى وجه تلك الحيلة، ورام لها أصلاً ترجع إليه، فإن وجد شبهة تُروِّج على ضعفاء العقولِ وأعمياء البصائرِ، وإلا كذب لهم كذباً محضاً، وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحين، فيصدقونه لحسن ظنهم به. ومنه أسماء يدعونها، تارة يدعون أنها أسماء الملائكة، وتارة يزعمون أنها من أسماء الشياطين، واعتقادهم في هذه الأسماء أنها تحذم هذه السورة أو هذه الآية، أو هذا الاسم من أسماء الله تعالى، فيقولون: يا خدامَ سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا، يا فلانَ ابنَ فلانٍ ويا فلانَ ابنَ فلانٍ أجيئوا أجيئوا، العجل العجل ونحو ذلك.

وما من سورة من القرآن ولا آية منه ولا اسم من أسماء الله يعرفونه إلا وقد انتحلوا له خداماً ودعَّوهم له، ساء ما يفترون.

وتارة يكتبون السورة أو الآية ويكرِّرونها مراتٍ عديدةً بهيئات مختلفة حتى يجعلون أولها آخرًا وآخرها أولاً، وأوسطها أولاً في موضعٍ وآخرًا في آخر.

وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرفٍ على حدته، ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات، ولا أدري من أين أخذوها وعمن نقلوها، ما هي إلا وساوسُ شيطانية زخرفوها، وخرافاتٌ مُضِلَّة ألقوها، وأكاذيبٌ مختلقة لفقوها، لم يُنزل الله بها من سلطان، ولا يُعرف لها أصلٌ في سنة ولا قرآن، ولم تُنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان، إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون، وسيُجزون ما كانوا يعملون.

وتارة يكتبون رموزاً من الأعداد العربية المعروفة من آحادٍ وعشراتٍ ومئاتٍ وألوفٍ وغيرها، ويزعمون أنها رموزٌ إلى حروف آية أو سورة أو اسمٍ أو شيءٍ مما قدمنا بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب، وغير ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلة المختلقة، وغالبها مأخوذٌ عن الأمة الغضبية الذين

أخذوا السحرَ عن الشياطين وتعلّموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى، وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموها بغير العربية لمقاصد لا تيمّ بزعمهم إلاّ بذلك، ومنها ما هو من عبّاد الملائكة والشياطين ونحوهم، يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال هي أسماء الله ليروّجوا الشرك بذلك عليهم فيذعون غير الله من دونه، وهذه مكيّدة لم يقدر عليها إبليس إلاّ بوساطة هؤلاء المضلّين، وهو: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، والله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوْرًا لَمْ يَكُنْ مِنَ النُّوْرِ﴾ [النور: ٤٠].

### [ثلاثة شروط لجواز الرقى وكونها شرعية]

فتحصل من هذا أن الرقى لا تجوزُ إلاّ باجتماع ثلاثة شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنة، فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية، محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها، فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر.

الثالث: أن يُعتقد أنها سبب من الأسباب لا تأثير لها إلاّ بإذن الله عز وجل، فلا يُعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقى السبب والله المسبب إذا شاء.

### [الكلام على التمام والحجب]

(وفي التمام المعلقات) إن تك آيات مبيّنات  
(فالاختلاف واقع بين السلف فبعضهم أجازها والبعض كف)

(وفي التمام المعلقات) أي التي تُعلّق على الصبيان والدواب ونحوها (إن تك) هي أي التمام (آيات) قرآنية (مبيّنات)، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات (فالاختلاف) في جوازها (واقع بين السلف) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم (فبعضهم) أي بعض السلف (أجازها) يروى ذلك عن عائشة<sup>(١)</sup> رضي الله عنها، وأبي

(١) أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٥٠/٩)، والحاكم في «المستدرک» (٢١٧/٤): عن =

جعفر محمد بن علي، وغيرهما من السلف<sup>(١)</sup>، (والبعض) منهم (كف) أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزاً، منهم عبد الله بن عكيم<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن عمرو<sup>(٣)</sup>، وعقبة بن عامر<sup>(٤)</sup>، وعبد الله بن مسعود<sup>(٥)</sup> وأصحابه كالأسود وعلقمة ومن بعدهم كإبراهيم النخعي<sup>(٦)</sup> وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ولا شك أن منع ذلك أسدٌ لذريعة الاعتقاد المحظور لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يُكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة

= عائشة رضي الله عنها قالت: «ليس التيممة ما تعلق به بعد البلاء إنما التيممة ما تعلق به قبل البلاء».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولعل متوهماً يتوهم أنها من الموقوفات على عائشة رضي الله عنها، وليس كذلك فإن رسول الله ﷺ قد ذكر التائم في أخبار كثيرة، فإذا فسرت عائشة رضي الله عنها التيممة، فإنه حديث مسند.

(١) كما في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ١٣٦).  
 (٢) أخرج أحمد (٤/٢١٠)، والحاكم (٤/٢١٦)، والترمذي رقم (٢٠٧٢) عن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وُكِلَ إليه».  
 وهو حديث حسن بشواهد.

(٣) أخرج أحمد رقم (٦٥٦٥ - شاكر) وأبو داود رقم (٣٨٦٩).  
 عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت تزيافاً أو تعلقت تيممة أو قلت الشعر من قِيل نفسي»، وهو حديث حسن.

\* الترياق: أنواع، فإذا لم يكن فيه لحوم الأفاعي فلا بأس بتناوله، (الخطابي).  
 (٤) أخرج أحمد (٤/١٥٦)، والحاكم (٤/٢١٩).

عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا، قال: «إن عليه تيممة»، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «من علّق تيممة فقد أشرك».

وهو حديث صحيح، وانظر: «الصحيحة» رقم (٤٩٢).  
 (٥) وهو حديث صحيح بطرقه، وقد تقدم تخريجه.

قلت: وفي الباب حديث عمران بن حصين عند أحمد (٤/٤٤٥)، والحاكم (٤/٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه رقم (٣٥٣١).  
 وهو حديث ضعيف لتدليس مبارك بن فضالة.

(٦) انظر: «موسوعة فقه إبراهيم النخعي» (١/٣٥٠): (تيممة).

ووسيلةً إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آيةً أو سورةً أو بسملةً أو نحو ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوبَ العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم يُرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيءٌ.

فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو في نفسك كذا وكذا، أو يقول له إن معك قريناً من الجنّ أو نحو ذلك، ويصف له أشياءً ومقدماتٍ من الوسوسة الشيطانية، موهماً أنه صادقُ الفراسةِ فيه، شديدُ الشفقةِ عليه، حريصٌ على جلب النفعِ إليه، فإذا امتلأ قلبُ الغبيّ الجاهلِ خوفاً مما وصف له حينئذٍ أعرض عن ربه، وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقاليه، والتجأ إليه وعول عليه دون الله عز وجل، وقال له: فما المخرجُ مما وصفت، وما الحيلةُ في دفعه؟ كأنما بيده الضرُّ والنفعُ، فعند ذلك يتحقق فيه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له، فيقول له: إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبتُ لك من ذلك حجاباً طوله كذا وعرضه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول، وهذا الحجابُ علّقه من كذا وكذا من الأمراض.

أثرى هذا - مع هذا الاعتقاد - من الشرك الأصغر؟ لا بل هو تالّةٌ لغير الله وتوكلٌ على غيره والتجاءٌ إلى سواه، وزكونٌ إلى أفعال المخلوقين وسلبٌ لهم من دينهم، فهل قدر الشيطانُ على مثل هذه الحيل إلا بوساطة أخيه من شياطين الإنس: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئاً من القرآن ويتعلقه على غير طهارة ويُحدث الحدث الأصغر والأكبر، وهو معه أبداً لا يقدره عن شيء من الأشياء.

تالّةٌ ما استهان بكتاب الله تعالى أحدٌ من أعدائه استهانةً هؤلاء الزنادقة - المدّعين الإسلام - به. والله ما نزل القرآن إلا لتلاوته، والعمل به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه والإيمان به، كلٌّ من عند ربنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويتكسبوا كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال، ولو أن ملكاً أو أميراً كتب كتاباً إلى من

هو تحت ولايته أن افعل كذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا وانهم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهيه ولم يُبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سوء العذاب.

فكيف بتنزيل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

### [التمايم المحرمة والطلاسم]

(وإن تكن مما سوى الوَحِينِ فإنها شركٌ بغير مَينِ)  
(بل إنها قسيمةُ الأَلامِ في البعد عن سيما أولى الإسلام)

(وإن تكن) أي التمايم (مما سوى الوحيين) بل من طلاسم اليهود وعباد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم، أو من الحَرَز أو الأوتار أو الحَلَق من الحديد وغيره (فإنها شرك) أي تعلقها شرك (بدون مين) أي شك، إذ ليست هي من الأسباب المباحة والأدوية المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقاداً محضاً أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها الخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم، (بل إنها قسيمة) أي شبيهة (الألام) التي كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم، ويستقسمون بها إذا أرادوا أمراً، وهي ثلاثة قِداح، مكتوب على أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: عَفَل، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو العَفَل أعاد استقسامه.

وقد أبدلنا الله تعالى - وله الحمد - خيراً من ذلك: صلاة الاستخارة ودعاءها.

والمقصود أن هذه التمايم التي من غير القرآن والسنة شريكة للألام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع (في البعد عن سيما أولى الإسلام) أي عن زبي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعده ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل شأنًا وأقوى يقيناً من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره، وبالله التوفيق.

[ال] فَضْل: [السادس]

مِنَ الشَّرِكِ فِعْلٌ مَن يَتَبَرَّكُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ بُقْعَةٍ

أَوْ قَبْرِ أَوْ نَحْوِهَا يَتَّخِذُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عِيداً

وَبَيَانُ أَنَّ الزِّيَارَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى سُنِّيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَشَرِكِيَّةٍ





[من الشرك التبرك بشجرٍ أو حجرٍ أو قبرٍ واتخاذها عيداً]

(هذا ومن أعمال أهل الشرك  
 ما يقصد الجهال من تعظيم ما  
 كمن يلدُ ببقعة أو حجرٍ  
 متخذاً لذلك المكان  
 من غير ما تردُّ أو شك)  
 لم يأذن الله بأن يُعظَّمَا  
 أو قبرٍ ميتٍ أو ببعض الشجر)  
 عيداً كفعل عابدي الأوثان)

(هذا) أي الأمرُ والإشارة إلى ما تقدم (ومن أعمال أهل الشرك) التي لا يفعلها غيرهم ولا تليق إلا بعقولهم السخيفة، وأفئدتهم الضعيفة، وقلوبهم المطبوع عليها، وأبصارهم المغشي عليها (ما) أي الذي (لم يأذن الله) عز وجل في كتابه ولا سنة نبيه (بأن يعظما) بألف الإطلاق، وأن ومدخولها في تأويل مصدر، أي لم يأذن الله بتعظيمه ذلك التعظيم الذي منحه إياه، من لم يفرق بين حق الله تعالى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم، بل لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه ولا بين طاعته ومعصيته، فيتخذ من دون الله أنداداً وهو يرى أن ذلك الذي فعله قربة وطاعة لله، وأن الله يحب ذلك ويرضاه، ويكذب الرسل ويدعي أنه من أتباعهم، ويوالي أعداء الله وهو يظنهم أولياءه، كفعل اليهود والنصارى يجاهرون الله بالمعاصي، ويكذبون كتابه ويغيرونه ويبدلونه ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويقتلون الأنبياء بغير الحق، وينسبون لله سبحانه وتعالى الولد ويفعلون الأفاعيل، ويقولون نحن أبناء الله وأحببؤه، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه.

وسببُ هذا كله - في الأمم الأولى والأخرى - هو الإعراض عن الشريعة وعدمُ الاهتمام لمعرفة ما احتوت عليه الكتب من البشارة والنذارة والأمر والنهي والحلال والحرام والوعيد والوعيد، ومعرفة ما يجب لله على عباده فعله وما يجب تركه (كمن يلدُ ببقعة) أي يعوذ بها ويختلف إليها ويتبرك بها ولو بعبادة الله تعالى عندها، وتقدم تقييد ذلك بما لم يأذن به الله، فيخرج بهذا القيد ما أذن الله تعالى بتعظيمه كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه، وتعظيم شعائر الله من المشاعر والمواقف

وغيرها، فإن ذلك تعظيمٌ لله عزَّ وجلَّ الذي أمر بذلك لا لتلك البقعة ذاتها.

كما قال عمرُ بن الخطاب<sup>(١)</sup> رضي الله عنه لما استلم الحجرَ الأسود: (أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنني رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقبلُك ما قبلُتُك).

وكذلك التعظيمُ أيضاً نفسه إنما أردنا مَنَعَ تعظيمٍ لم يأذن الله به لا المأذونَ فيه، فإن الله تعالى قد أمر بتعظيم الرسلِ بأن يطاعوا فلا يُعصوا ويُحَبَّوا ويُتَّبَعوا، وإن طاعةَ الرسولِ هي طاعةُ الله عزَّ وجلَّ ومعصيته معصيةُ الله عزَّ وجلَّ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمانُ بالله إلا به؛ إذ هو عينُ تعظيمِ الله تعالى، فإنهم إنما عَظَّموا لأجل عظمةِ المرسلِ سبحانه وتعالى، وأحبَّوا لأجله وأتبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيمِ الله عزَّ وجلَّ، فلو أن أحداً عَظَّم رسولاً من الرسلِ بما لم يأذن الله به، ورفعَه فوق منزلته التي أنزله الله عزَّ وجلَّ، وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئاً من الإلهية لانعكس الأمرُ وصار عينُ التنقُّصِ والاستهانةِ بالله وبرسله؛ كفعل اليهود والنصارى الذي ذكر الله عزَّ وجلَّ عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعُزير، فكذبوا بالكتاب وتنقصوا الربَّ عزَّ وجلَّ بنسبةِ الولدِ إليه وغير ذلك، وكذبوا الرسولَ في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، فصار ذلك التعظيمُ في اعتقادهم هو عينُ التنقُّصِ والشتم، سبحانه الله عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين.

(أو حجر، أو قبرٍ مبيت، أو ببعض الشجر) أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة الله عندها، فإن ذلك ذريعةٌ إلى عبادتها ذاتها كما فعل إبليسُ لعنه الله بقوم نوح، حيث أشار عليهم بتصوير صالحهم ثم بالعُكوف على قبورهم وصورهم، وعبادةِ الله عندها، إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتها من دون الله تعالى فعبدوها، (متخذاً لذلك المكان) من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها (عيداً) أي يتنابها ويعتاد الاختلافَ إليها (كفعل عابدي الأوثان) في تعظيمهم أوثانهم

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢/٣) رقم (١٥٩٧) و(٤٧٥/٣) رقم (١٦١٠)، ومسلم (٩٢٥/٢) رقم

واعتيادهم إليها، ولذا سمى النبي ﷺ العكوف على الأشجار وتعليق الأسلحة بها على جهة التعظيم «تألهاً»، كما في الترمذي<sup>(١)</sup> عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدثاء عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها «ذات أنواط»، فمررنا بسِدْرَةَ فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتَرْكِبُنَّ سَنَنَ من قبلكم».

ولقد عمّت البلوى بذلك، رطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زماننا هذا، ما من قبر ولا بقعة يُذكر لها شيء من الفضائل ولو كذباً إلا وقد اعتادوا الاختلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتاً معلومةً يفوت عيدهم بفواتها ويرزون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجل ذلك العيد المعلوم، وآل بهم الأمر إلى أن صنفوا في أحكام حجهم إليها كتباً سموها مناسك حج المشاهد<sup>(٢)</sup>.

ومن أخل بشيء منها فهو عندهم أعظمُ جرماً ممن أخل بشيء من مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لها طَوَافاً معلوماً كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلها كما يقبل الحجر الأسود حتى قالوا إن رُحِمَتْ فاستلم بمِخْجَنٍ أو أشِرْزٍ إليه، قياساً على فعل النبي ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذوراً من

(١) في «السنن» (٤/٤٧٥ رقم ٢١٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وأخرجه أحمد (٥/٢١٨)، والحميدي رقم (٨٤٨) والطيايسي رقم (١٣٤٦)، وأبو يعلى رقم (١٤٤١)، والطبراني في «الكبير» رقم (٣٢٩٠) و(٣٢٩١) و(٣٢٩٢) و(٣٢٩٣) و(٣٢٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٦٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/١٠١) من طرق... وهو حديث صحيح، والله أعلم.

\* قال ابن الأثير في «النهاية» (٥/١٢٨): «اجعل لنا ذات أنواط».

هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.

وأنواط: جمع نوط، وهو مصدر سُمِّيَ به المَنُوط.

(٢) انظر: «المتقى من منهاج الاعتدال» (ص ١٢ - ١٣ و ٥١).

المواشي والنقود، ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحِث وغيرها، وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية، وقواعدهم الوثنية.

وسياتي إن شاء الله تعالى ذكرُ النصوصِ النبويةِ في سدِّ ذرائعِ الشركِ في الفصل الآتي، وبالله التوفيق.

### [الزيارة تنقسم إلى شرعية وبدعية وشركية]

ثم الزيارة على أقسام	ثلاثة يا أمة الإسلام
(فإن نوى الزائر فيما أضمره	في نفسه تذكرة بالآخرة)
(ثم الدعا له وللأموات	بالعفو والصفح عن الزلات)
(ولم يكن شد الرحال نحوها	ولم يقل هجراً كقول السفها)
(فتلك سنة أتت صريحة	في السنن المثبتة الصحيحة)

(ثم الزيارة) أي زيارة القبور تأتي (على أقسام ثلاثة): زيارة سنوية، وزيارة بدعية، وزيارة شركية فتفهموها (يا أولي الإسلام).

والبداءة بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البدعية لكونها أخف جرماً من الشركية، ثم هي بعد ذلك. (فإن نوى الزائر للقبور (فيما أضمره في نفسه) كانت نيته بتلك الزيارة (تذكرة بالآخرة) أي ليتعظ بأهل القبور، ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله يؤملون الآمال ويخولون الأموال، ويجولون في الأقطار بالأيام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعات وفردى، وأبادهم ملوكاً ونواباً وقواداً وأجناداً، وقدموا على ما قدموا غياً كان أو رشاداً، وصار لهم التراب لحفاً ومهاداً، بعد العرف العالية التي كان عليها الحجاب أرضاداً، تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، وشريفهم وحقيرهم، وأمورهم وأميرهم.

اتفق ظاهرُ حالهم واتحد، ولا فرق للناظر إليهم يُميّزُ به أحداً من أحد.

وأما باطناً، فالله أكبر لو كشف للناظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العُجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسن مآب، وأولئك في أسوأ حالةٍ وأشد العذاب.

فليعلم الواقف عليهم الناظر إليهم، أنه بهم ملتحق، وإلحدى الحاليتين مستحق فليأتها بذلك، وليتّب إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شر كل ما هنالك. (ثم) قصد أيضاً (الدعاء) أي دعاء الله عز وجل (له) أي لنفسه (وللأموات) من المسلمين (بالعفو) من الله عز وجل (والصفح عن الزلات) وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك (و) مع ذلك (لم يكن شد الرحال نحوها) الضمير للقبور لما في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

(ولم يقل هُجراً) أي محظوراً شرعاً (كقول) بعض (السفها) لما في السنن<sup>(٢)</sup> من حديث بريدة قال فيه النبي ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزور ولا تقولوا هُجراً».

(فتلك) الإشارة إلى النوع المذكور من الزيارة (سنة) طريقة نبوية (أتت صريحة) أي واضحة ظاهرة (في السنن) أي الأحاديث (المثبتة) في دواوين الإسلام (الصحيحة) سنداً ومتناً، (منها) حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها، فإنها تذكّر الآخرة»، رواه الترمذي وصححه<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري (٧٠/٣ رقم ١١٩٧)، ومسلم (٩٧٥/٢ رقم ١٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٢/٢ رقم ٩٧٧)، وأبو داود (٥٥٨/٣ رقم ٢٢٣٥)، والبيهقي (٤/٧٧)، والنسائي (٨٩/٤ رقم ٢٠٣٢ و٢٠٣٣)، وأحمد (٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦١)، عن بريدة مرفوعاً: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها [فإنها تذكركم الآخرة]، [ولتزدكم زيارتها خيراً]»، [فمن أراد أن يزور فليزور، ولا تقولوا هُجراً].

الزيادة الأولى والثانية لأحمد، ولأبي داود الأولى بنحوها، وللنسائي الثانية والثالثة. \* الهُجر: الكلام الباطل، وكان النهي أولاً لقرب عهدهم من الجاهلية فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرت قواعد الإسلام، وتمهدت أحكامه، واشتهرت معالمه أبيع لهم الزيارة، واحتاط ﷺ بقوله: «ولا تقولوا هُجراً».

قاله النووي في «المجموع» (٢٨٥/٥).

(٣) في «السنن» (٣٧٠/٣ رقم ١٠٥٤) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وانظر الحديث المتقدم في «التعليقة السابقة».

وحدث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي أن أستغفرَ لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزورها فأذن لي، فزوروا القبورَ فإنها تذكركم الموت»، رواه الجماعة<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا، إن شاء الله بكم لاحقون»، رواه أحمد<sup>(٢)</sup> ومسلم<sup>(٣)</sup> والنسائي<sup>(٤)</sup>.

ولأحمد<sup>(٥)</sup> من حديث عائشة رضي الله عنها مثله، وزاد: «اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم».

وعن بريدة قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولَ قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»، رواه أحمد<sup>(٦)</sup> ومسلم<sup>(٧)</sup> وابن ماجه<sup>(٨)</sup>، زاد مسلم في رواية<sup>(٩)</sup>: «يرحم الله المتقدمين منا ومنكم والمتأخرين».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة، فأقبل عليهم

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٢/٢) رقم (٩٧٦)، وأبو داود (٥٥٧/٣) رقم (٣٢٣٤)، والنسائي (٩٠/٤) رقم (٢٠٣٤)، وابن ماجه (٥٠١/١) رقم (١٥٧٢)، وابن حبان رقم (٣١٦٩ - الإحسان)، وأحمد (٤٤١/٢)، والبيهقي (٧٦/٤)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٥٥٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣/٣)، والحاكم (٣٧٥/١ - ٣٧٦) من طرق. وهو حديث صحيح.

(٢) في «المسند» (٣٠٠/٢) و(٤٠٨).

(٣) في صحيحه (٢١٨/١) رقم (٢٤٩/٣٩).

(٤) في «السنن» (٩٣/١ - ٩٤) رقم (١٥٠)، وهو حديث صحيح.

(٥) في «المسند» (٧١/٦، ٧٦، ١١١) بإسناد حسن لأجل شريك ولأجل عاصم بن عبيد الله.

(٦) في «المسند» (٣٥٣/٥، ٣٥٩، ٣٦٠).

(٧) في صحيحه (٦٧١/٢) رقم (٩٧٥).

(٨) في «السنن» (٤٩٤/١) رقم (١٥٤٧).

قلت: وأخرجه النسائي (٩٤/٤) رقم (٢٠٤٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣٨/٤)،

وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٨٩)، والبيهقي (٧٩/٤).

(٩) في صحيحه (٦٦٩/٢ - ٦٧١) رقم (٩٧٤) من حديث عائشة.

بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفرُ الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر»، رواه الترمذي<sup>(١)</sup>، وقال: حسنٌ. وكذلك الأحاديثُ في خروجه ﷺ إلى بقيع العرقدِ كثيراً يدعو لهم ويترحم عليهم<sup>(٢)</sup>.

وكان الصحابةُ إذا أتوا قبره ﷺ صلّوا وسلّموا عليه فحسب، كما كان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: السلامُ عليك يا رسولَ الله، السلامُ عليك يا أبا بكر، السلامُ عليك يا أبتاه<sup>(٣)</sup>.

وكذا التابعون ومَن بعدهم من أعلام الهدى ومصايحِ الدجى، لم يُذكر عنهم في زيارة القبور غيرُ العملِ بهذه الأحاديثِ النبويةِ وأفعالِ الصحابة، لم يعدلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرَها بل وقفوا عندها، فهذه الزيارةُ الشرعيةُ المستفادَةُ من الأحاديثِ النبويةِ، وعليها درج الصحابةُ والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكُرُ بالقبور، الاعتبارُ بأهلها والدعاءُ لهم والترحمُ عليهم، وسؤالُ الله العفوَ عنهم، فمن ادعى فيها غيرَ هذا طُولِبَ بالبرهان، وأتى له ذلك، ومن أين يطلبُه؟ بل كذب وافترى، وقفا ما ليس له به علمٌ. بلى إن العلوم الشرعية دالةٌ على ضلاله وجهله.

(١) في «السنن» (٣/٣٦٩ رقم ١٠٥٣) وقال: حديث حسن غريب.

في سنده (قابوس بن أبي ظبيان)، قال النسائي: «ليس بالقوي».

وقال ابن حبان: «ردىء الحفظ، ينفردُ عن أبيه بما لا أصل له».

انظر: «الضعفاء» للنسائي (ص ٢٠١ رقم ٥١٩)، و«المجروحين» (٢/٢١٥ - ٢١٦).

وقال الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ٢٥٠): «قلت: وهذا من روايته عن أبيه، فلا يُحتجُّ به، ولعلَّ تحسين الترمذي لحديثه هذا إنما هو باعتبار شواهد، فإنَّ معناه ثابتٌ في الأحاديث الصحيحة، وقد مضى قريباً ذكرُ قِسْمِ منها، إلا أنَّ قوله: «فأقبلَ عليهم بوجهه» منكرٌ لتفردِ هذا الضعيفِ فيه» اهـ.

والخلاصة أن حديث ابن عباس حسن لشواهد ما عدا قوله: «فأقبلَ عليهم بوجهه» فإنها منكرة.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٢٥٢) بسند

صحيح على شرط الشيخين.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يخرجُ إلى البقيعِ، فيدعو لهم، فسألته عائشةُ عن ذلك؟ فقال: «إني أمرتُ أن أدعوَ لهم».

قلت: ومعناه: عند مسلم (٢/٦٦٩ - ٦٧١ رقم ٩٧٤) وغيره من طريق أخرى مطولاً.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/٢٤٥) بسند صحيح.

وأخرج بنحوه مالك في «الموطأ» (١/١٦٦) بسند صحيح.

## [حكم الدعاء عند القبور والتوسل بأصحابها]

(أو قصد الدعاء والتوسلا بهم إلى الرحمن جلّ وعلا)  
 (فبدعةٌ محدثةٌ ضلالةٌ بعيدةٌ عن هذي ذي الرسالة)

(أو قصد الدعاء) من الصلاة وغيرها أو الاعتكاف عند قبورهم أو نحو ذلك  
 (والتوسلا) بألف الإطلاق (بهم) أي بأهل القبور (إلى الرحمن جلّ وعلا) ائفكه  
 أهل الزيغ والضلال (فبدعة محدثة) لم يأذن الله تعالى بها (ضلالة) كما قال ﷺ:  
 «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ في رواية<sup>(٣)</sup>: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ».

وقال ﷺ: «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها  
 وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»<sup>(٤)</sup>، وغير  
 ذلك.

فإن من قال: اللهم إني أسألك بجاه فلان، وهو ميتٌ أو غائبٌ، وإن كان  
 يرى أنه لم يدعُ إلا الله ولم يعبد سواه فهو قد عبد الله بغير ما شرع، وابتدع في  
 الدين ما ليس منه، واعتدى في دعائه ودعاء الله بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن الله  
 تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنی؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ  
 فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه البتة، بل قد  
 نهانا رسولُ الله ﷺ عن أن نُقسِمَ بشيء من المخلوقات مطلقاً، فكيف بالإقسام بها  
 على الله عزّ وجلّ.

(١) أخرجه مسلم (٥٩٢/٢) رقم ٨٦٧ من حديث جابر، وقد تقدم تخريجه في مقدمة المحقق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١/٥) رقم ٢٦٩٧، ومسلم (١٣٤٣/٣) رقم ١٧١٨/١٧، وأبو داود (١٢/٥) رقم ٤٦٠٦، وابن ماجه (٧/١) رقم ١٤ من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٥/٤) تعليقاً بصيغة الجزم.

ومسلم (١٣٤٣/٣ - ١٣٤٤) رقم ١٧١٨/١٨ من حديث عائشة.

(٤) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.



وأما حديث الأعمى الذي به يحتج المجوزون للتوسل بالمقبور فلا حجة لهم فيه بحمد الله لو فهموا معناه ووضعوه موضعه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفقوا لفهم مدلوله، فإن هذا الحديث بجميع ألفاظه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظه من الكتب التي خرّج فيها، قال الترمذي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا

(١) في «السنن» (٥/٥٦٩ رقم ٣٥٧٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر وهو الخطيبي، وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٣٨)، والحاكم (١/٣١٣)، وابن ماجه (١/٤٤١) رقم ١٣٨٥، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/١٧ رقم ٨٣١١).

\* في هذا الحديث دليل على أن الأعمى توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته، والأدلة على ذلك في الحديث نفسه كثيرة. وأهمها:

(أولاً): أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعوه له، وذلك قوله: «ادع الله أن يعافيني»، فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ؛ لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جأهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيراً»، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم المتوسّل به، بل لا بد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له.

(ثانياً): أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله ﷺ: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك»، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - أي عينيه - فصبر، عوضته منهما الجنة» [أخرجه البخاري (١٠/١١٦ رقم ٥٦٥٣) من حديث أنس بن مالك].

(ثالثاً): إصرار الأعمى على الدعاء، وهو قوله: «فادع»، فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفي بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق فقد شاء الدعاء وأصرّ عليه، فإذا لا بد أنه ﷺ دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبي ﷺ بدافع من رحمته، ويحرص منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة» [المائدة: ٣٥].

وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله =

محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة ابن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت، فهو خير لك». قال: فادع، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسب وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في».

هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وهو غير الخطمي اهـ.

قلت: الظاهر بالاستقراء أن أبا جعفر هذا هو الرازي التيمي مولا هم مشهور بكنيته، وهو من رجال الأربعة واسمه عيسى بن أبي عيسى<sup>(١)</sup> عبد الله بن ماهان، وأصله من مزو كان يتجر إلى الري، روى عن عطاء وعمرو بن دينار وقتادة، وعنه أبو عوانة وشعبة كما في هذا الحديث.

قال ابن معين: ثقة، وقال ابن المديني: ثقة يخلط عن المغيرة، وقال الفلاس: سيئ الحفظ، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق صالح الحديث، وقال في

= سبحانه وتعالى وقربه إليه، ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء - كما هو ظاهر - وليس فيها ذكر شيء مما يزعم المخالف.

(رابعاً): أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللهم فشفعه في»، وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ في، أي اقبل دعاءه في أن ترد علي بصري، والشفاعة لغة: الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة. [أخرجه البخاري (٦/٣٧١ رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (١/١٨٤ رقم ١٩٤/٣٢٧) من حديث أبي هريرة].

(خامساً): أن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه في الخوارق والإبراء من المعاهات...

قلت: ومن رام التوسع في حديث الضرير هذا فليرجع إلى ما كتبه المحدث الألباني في كتاب «التوسل أنواعه وأحكامه» (ص ٦٩ - ٩٣) فقد أجاد وأفاد.

(١) انظر: «الميزان» (٣/٣١٩ - ٣٢٠ رقم ٦٥٩٥).

«التقريب»<sup>(١)</sup>: صدوقٌ سيئُ الحفظ خصوصاً عن المغيرة، من كبار السابعة، مات في حدود الستين ومائة.

والظاهرُ من عباراتهم أن تخليطه عن المغيرة خاصةً، وهو ثبتٌ فيمن سواه. وبهذا يُجمع بين قولٍ من يضعفه وقولٍ من يوثقه، كيف ومن الموثقين له شيخا البخاري يحيى بن معين وعليُّ بن المديني وهما هما، والله أعلم. ورواه النسائي<sup>(٢)</sup> عن عثمان بن حنيفٍ، ولفظه أن رجلاً أعمى قال: يا رسولَ الله ادعُ الله أن يكشفَ لي عن بصري. قال: فانطلقَ فتوضأ ثم صلى ركعتين، ثم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي أَنْ يَكْشِفَ عَنِّي بَصْرِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، قال: فرجع وقد كشف الله بصره.

وقال أحمدُ رحمه الله تعالى في مسنده<sup>(٣)</sup>: حدثنا رَوْحٌ حدثنا شعبةٌ عن عميرِ بنِ يزيدِ الخطميِّ المدني قال: سمعتُ عِمارةَ بنَ خزيمةَ بنِ ثابتٍ يحدث عن عثمانَ بنِ حنيفٍ أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيَّ الله ادعُ الله أن يعافيني، فقال: «إِنْ شِئْتَ أَخْرَتَ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَخْرَتِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ»، قال: بل ادعُ الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَشَفِّعْهُ فِيَّ».

قلت: عميرُ بنُ يزيدِ الخطميُّ هذا هو أبو جعفرِ الذي فرَّق الترمذيُّ بينه وبين أبي جعفرِ المذكورِ في روايته، وقد قلنا الظاهرُ أنه هو الرازيُّ التيميُّ، وكلاهما

(١) رقم الترجمة (٨٠١٩).

(٢) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٠).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٢٦/١) وقال: على شرط البخاري وأقره الذهبي.

وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٣) (١٣٨/٤) بسند صحيح، وفي سنده (المديني) فقط.

وعند الطبراني في «الكبير» رقم (٨٣١١) (الخطمي المدني) وقد تقدم.

قلت: وهذا لا يضر الحديث شيئاً، وقد قدمنا أنه (الخطمي) فقط.

شيخ لشعبة، وكلاهما صدوق، فيحتمل أن كلاهما سمعه من عمارة، وسمعه شعبة من كليهما وحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا، فرواه عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الرازي التيمي، وسمعه روح منه عن الخطمي فحدث به كذلك، والله عز وجل أعلم.

والمقصود أن هذا الحديث إن جزمنا بصحته، فليس فيه لهم حجة ولا دليل على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة، فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبي ﷺ الدعاء له بكشف بصره، وهو حي حاضر قادر على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمن على ذلك ويقول: اللهم شفعه في، فسأل من النبي ﷺ الدعاء، وسأل قبول دعائه من الله عز وجل لعلمهم التام بالإيمان بالله عز وجل، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبهذا أمره النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى، فاجتمع الدعاء من الجهتين.

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم كثيراً ما كانوا يسألون من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالنصر وأن يستسقي لهم إذا أجدبوا<sup>(١)</sup>، وبتكثير الطعام<sup>(٢)</sup>، كما سأله منه عمر رضي الله عنه في غزوة تبوك<sup>(٣)</sup>، وقالت له أم أنس خويدمك أنس ادع الله تعالى له<sup>(٤)</sup>، وأمثال ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى، وكذلك في موقف القيامة يسأل الخلائق من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربهم في فصل القضاء واحداً بعد واحد، حتى تنتهي إليه ﷺ، فيذهب ويسجد تحت العرش ويحمد الله تعالى ويثني عليه إلى أن يقول له: «ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع»، وذلك إذا أذن الله عز وجل له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريره<sup>(٥)</sup>.

وقد قال ﷺ لعمر وهو ذاهب للعمرة: «لا تنسنا من دعائك»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨/٢) رقم (١٠١٥)، ومسلم (٦١٢/٢) رقم (٨٩٧) عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨/٥) رقم (٢٤٨٤) و(١٢٩/٦) رقم (٢٩٨٢)، ومسلم (١٣٥٤/٣) رقم (١٧٢٩) من حديث سلمة بن الأكوع.

(٣) أخرجه مسلم (٥٥/١) رقم (٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٧/١) رقم (٤٥٨) رقم (٦٦٠).

(٥) في الشفاعة، وهو حديث متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠ و٣٣٦١ و٤٧١٢)، ومسلم (١٨٤/١) رقم (١٩٤).

(٦) أخرجه أبو داود (١٦٩/٢) رقم (١٤٩٨)، والترمذي (٥٥٩/٥) رقم (٣٥٦٢)، وابن ماجه

(٩٦٦/٢) رقم (٢٨٩٤)، والبيهقي (٢٥١/٥).

وكذلك استسقى عمرُ رضي الله عنه بالعباس والصحابة متوافرون كما في صحيح البخاري<sup>(١)</sup>: «اللَّهُمَّ إنا كُنّا إذا أجدبنا نتوسّل إليك بنينا فتسقيننا، وإنا نتوسّل إليك بعَمّ نبيّنا فاسقنا». وكان من دعاء العباس يومئذ: «اللَّهُمَّ إنه لا ينزل بلاءٌ إلّا بذنب ولا يُكشف إلّا بتوبة، وقد توجّه بي القومُ إليك لمكاني من نبيّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» ذكره الزبيرُ بنُ بكار، وكان ذلك الجذبُ عامَ الرمادة.

كذلك كان معاويةُ لما استسقى بيزيد بنِ الأسودِ الجُرشيّ<sup>(٢)</sup>، فقال: «اللَّهُمَّ إنا نستشفع - أو نتوسّل - إليك بخيارنا، يا يزيدُ ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حتى سقوا»، فكان أفضلُ القرونِ يسألون الله عزّ وجلّ، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عزّ وجلّ لهم ولهم، وتوسّلهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائزٌ في كل زمانٍ ومكانٍ أن تسأل من عبد صالحٍ حاضرٍ عندك أن يدعو لك وتؤمن أنت على دعائه أو تسأل من مسافر الدعاء بظهر الغيب، ونحو ذلك، كما ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وآله ودرج عليه السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالى.

= قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: في سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو ضعيف.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(١) (٢/٤٩٤ رقم ١٠١٠) من حديث أنس.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/٣٨٠ - ٣٨١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/٤٤٤).

والحافظ ابن عساكر في «تاريخه» (١٨/١٥١/١) بسند صحيح قاله الألباني في «التوسّل» (ص ٤٢) وعزاه الحافظ العسقلاني في «الإصابة» (٣/٦٣٤) لأبي زرة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في «تاريخهما» بسند صحيح عن سليم بن عامر.

فهذا معاوية رضي الله عنه لا يتوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله، لما سبق بيانه، وإنما يتوسّل بهذا الرجل الصالح: يزيد بن الأسود رحمه الله تعالى، فيطلب منه أن يدعو الله تعالى، ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله تبارك وتعالى طلبه.

وحدث مثل هذا في ولاية الضحّاك بن قيس كما أخرجها ابن عساكر في «تاريخه» أيضاً بسند صحيح.

[«التوسّل أنواعه وأحكامه» (ص ٤٢ - ٤٣) للألباني].

ولو كان ذلك عندهم جائزاً أعني التوسل بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتي إلى النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يتوسل به في محله أينما كان؛ إذ لا فائدة زائدة في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكذلك عمرُ والصحابةُ معه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباس لو كان التوسل بالذوات لا بالدعاء، وكذا معاويةُ وأصحابه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيد بن الأسود، ولم يطلبوا منه الدعاء، ولما أمر النبي ﷺ عمرَ إذا وجد أويماً أن يطلب منه الاستغفار<sup>(١)</sup>، بل كان يكفيه أن يقول: اللهم بحق أويس القرني، ولم يُعرف هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا غيره من الأنبياء، ولا بأحد من أفاضلهم الأولياء بعد موته، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرق بين ذلك وبين مماتهم، وهذا في التوسل بأهل القبور عامٌ عند القبر وغيره، وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشدُّ وأغلظُ، لأنه ذريعةٌ مُفضية إلى عبادة المقبورِ نفسه، كما قدمنا عن قوم نوح من استدراج الشيطان لهم.

وكذلك فعلٌ بغالب هذه الأمة والعيادُ بالله، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يُصلى على القبور أو إليها، وغلظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدّة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريباً إن شاء الله تعالى.

### [الكلام على الزيارة الشركية]

(وإن دعا المقبورَ نفسه فقد أشرك بالله العظيم وجحد)  
 (لن يقبل الله تعالى منه صزفاً ولا عدلاً فيعفو عنه)  
 (إذ كل ذنب موشك الغفران إلا اتخاذاً التند للرحمن)

(وإن دعا) الزائرُ (المقبورَ نفسه) من دون الله عز وجل وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب خيرٍ أو دفع ضرٍّ أو شفاءٍ مريضٍ أو ردُّ غائبٍ أو نحو ذلك من قضاء الحوائج، (فقد أشرك) في فعله ذلك (بالله العظيم) المتعالي عن الأضداد والأنداد والكفو والولي والشفيع بدون إذنه (وجحد) حقَّ الله عز وجل على عباده وهو إفراؤه بالتوحيد، وعبادته وحده لا شريك له ونفَى ضدَّ ذلك عنه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٩٦٨ رقم ٢٥٤٢).

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٦ - ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحقاف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلُ مَا سَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْتَأْذِنُوا لَن لَسْتُمْ لَهُمْ أَعْدَاءُ فَذُقُوا الذُّبَابَ وَالتَّمْلُوتَ ﴿٧٣﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِمْ﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآيات وغيرها ما لا يحصى.

يخبر الله تعالى أن من دعا مع الله إلهاً آخر ولو لحظة فقد كفر، وإن مات على ذلك فلا فلاح له أبداً، ولو فعل ذلك نبيه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشف للضرر غيره ولا جالب للخير سواه، وأنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه، وأن من عبّد من دون الله يكون عدواً لعبده يوم القيامة وكافراً بعبادته إياه من دون الله تعالى، وأنهم كلهم عبادٌ مثل عابديهم، مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرّون على خلق ذبابٍ فما فوقه ولو اجتمعوا بأسرهم على ذلك، ولا يقدرّون على استنقاذ ما استلبه الذباب، فكيف يقدرّون على قضاء شيءٍ من حوائج عابديهم؟

بل قد أخبرنا عز وجل أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا له، وأخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير

وغيرهم أنهم لا يملكون كشفَ ضرٍّ من دعاهم، ولا تحويله من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلةَ إلى ربِّهم والقربَ ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فينبغي للعباد الاقتداءَ بهم في ذلك الابتغاءِ والرجاءِ والخوفِ من الله عزَّ وجلَّ، لا دعاؤهم دونه، تعالى الله عما يشركون.

(لن يقبلَ الله تعالى منه) أي من ذلك الداعي مع الله غيره، المتخذِ من دونه أولياء، (صِرْفاً) أي نافلة (ولا عدلاً) أي ولا فريضةً (فيعفو عنه) في ذلك، لأن الكافرَ عمله كلاً شيئاً، قال الله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف: 105]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: 23]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 18].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ [النور: 39] الآيات.

وقال تعالى لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

وقال لسيدهم وخاتمهم وأكرمهم على ربه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهُ قَاعِبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

(إذ) حرفٌ تعليل (كلُّ ذنبٍ) لقي العبدُ ربه به (موشك الغفران) أي يرجى ويؤمل أن يُغفرَ ويُعفى عنه (إلا اتخاذاً الندب للرحمن) فإن ذلك لا يُغفر ولا يخرج صاحبه من النار ولا يجد ريح الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً﴾ [النساء: 48]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء: 116]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَتْهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيءٍ﴾ [الحج: 31].

وقد قدمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية في الدلالة على ما وراءه، والله الحمد والمئة.



[ال] فَضْل: [السابع]

في بيان ما وقع فيه العامَّةُ اليوم

مما يفعلونه عند القبورِ

وما يرتكبونه من الشُّركِ الصَّريحِ

والغُلُوِّ المُفْرِطِ في الأموات



هذا الفصل هو المقصود بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارة إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيدٌ له، فإنما المقصود من ذكر ضلالِ الأممِ الأولى هو تحذيرُ الأحياءِ الموجودين لثلاثي يقعون فيما وقعوا فيه، ورَجْرُ من وقع منهم عما وقع فيه لثلاثي يحلُّ بهم ما حلَّ بهم من النكال، كما أن الله سبحانه وتعالى ما قصَّ علينا من أخبارِ الأممِ الأولى إلا لنتعظَّ بهم، ونعتبرَ بمصارعهم ولنعلمَ أسبابَ هلاكهم فنتقيهم ونعلمَ سبيلَ النجاةِ التي سلكها رسلُ الله وأوليأؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرة، فنسلكها ونقفوا أثرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَهْدِي لِّلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَوَّعَ عَلَی قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] الآية، وقال تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبَيَّنَّا لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمَثَالَ ۝٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ ﴿[إبراهيم: ٤٥ - ٤٦]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَهْدِي لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦].

وقال تعالى بعد أن قصَّ علينا ما قصَّ في سورة هود: ﴿ذَلِكَ مِن آيَاتِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١١٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عِزًّا تَنبِيْهُ ۝١١١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنَّا وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذْنَاهُ إِلَيْهِمْ شَدِيدٌ ۝١١٢﴾ [هود: الآيات].

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم»، وهو في الصحيح<sup>(١)</sup>، فإذا كان هذا الخطرُ على من دخل ديارهم فما ظنُّك بمن عمِلَ مثلَ عملهم وزيادةً، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) البخاري (٦/٣٧٨ - ٣٧٩ رقم ٣٣٨٠)، ومسلم (٤/٢٢٨٦ رقم ٢٩٨٠) من حديث عبد الله بن عمر.

[حكم من أوقد سراجاً على القبر أو بنى على الضريح مسجداً]

(ومن على القبر سراجاً أوقداً أو ابتنى على الضريح مسجداً)

(فإنه مجدّد جهاراً لسُنن اليهود والنصارى)

(ومن على القبر) متعلّق بأوقد (سراجاً) مفعولٌ (أوقد) بألف الإطلاق،

والمعنى ومن أوقد سراجاً على القبر (أو ابتنى) بمعنى بنا وزيدت التاء فيه لمعنى

الاتخاذ، (على الضريح) أي على القبر، واشتقاقه من الضرح الذي هو الشقُّ

(مسجداً) أو اتخذ القبر نفسه مسجداً ولو لم يبن عليه (فإنه) أي فاعلُ ذلك (مجدّد)

بفعله ذلك (جهاراً) أي تجديداً واضحاً مجاهرأ به الله ورسوله وأوليائه (لسنن) أي

لطرائق (اليهود والنصارى) في اتخاذهم قبورَ أنبيائهم مساجدَ ويعكفون عليها،

وأعياداً لهم ينتابونها، ويرتدّدون إليها، كيف وقد قال الرسول ﷺ للذين طلبوا منه

ذات أنواط: «الله أكبر، إنها السنن، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيلَ

لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]،

لَتَسْبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «لتسبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو

سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»،

أخرجاه<sup>(٢)</sup> من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقد وقع الأمر والله كما أخبر رضي الله عنه به، فالله

المستعان.

### [النهي عن رفع القبور والزيادة عليها]

(كم حذر المختار عن ذا ولعن فاعله كما روى أهل السنن)

(بل قد نهى عن ارتفاع القبر وأن يُزاد فيه فوق الشبر)

(وكلُّ قبرٍ مشرفٍ فقد أمز بأن يسوى هكذا صحَّ الخبر)

(كم) خبريةٌ للتكثير (حذر المختار) نبينا محمد ﷺ (عن ذا) الفعل من اتخاذ

(١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً من حديث أبي واقد الليثي.

(٢) البخاري (٣٠٠/١٣) رقم (٧٣٢٠)، ومسلم (٤/٢٠٥٤) رقم (٢٦٦٩).

القبور مساجد وأعياداً والبناء عليها وإيقاد السُّرُج عليها، كما في الصحيح<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصُّور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبدُ الصالحُ - أو الرجل الصالح - بنوا على قبره مسجداً وصُوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله».

وفيه<sup>(٢)</sup> عنها هي وعبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصَةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد» يحذُر ما صنعوا<sup>(٣)</sup>.  
وفيه<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد».

وعن أبي مَرْثِدِ العَنَوِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»، رواه الجماعةُ إلا البخاريُّ وابنُ ماجه<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري (١/٥٢٣ - ٥٢٤ رقم ٤٢٧)، ومسلم (١/٣٧٥ - ٣٧٦ رقم ٥٢٨).

(٢) البخاري (٨/١٤٠ رقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤)، ومسلم (١/٣٧٧ رقم ٥٣١).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١/٥٣٢ - ٥٣٣)، قوله: «يُحذُر ما صنعوا».

«جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوي، كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت فأجيب بذلك. وقد استشكل ذكر النصارى فيه لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي غيره وليس له قبر، والجواب: أنه كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم في قول، أو الجمع في قوله «أنبيائهم» بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيده قوله في رواية مسلم - (١٣/٥ - نووي) - من طريق جندب: «كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد».

ولهذا أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال: «إذا مات فيهم الرجل الصالح»، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال: «قبور أنبيائهم» أو المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداءً أو اتباعاً، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود» اهـ.

(٤) البخاري (١/٥٣٢ رقم ٤٣٧)، ومسلم (١/٣٧٦ رقم ٥٣٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢/٦٦٨ رقم ٩٧٢)، وأبو داود (٣/٥٥٤ رقم ٣٢٢٩)، والترمذي (٣/٣٦٧ رقم ١٠٥٠)، والنسائي (٢/٦٧ رقم ٧٦٠)، وأحمد رقم (١٧١٤٩ - الزين)، وصححه الحاكم (٣/٢٢٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»، رواه الجماعة إلا ابن ماجه <sup>(١)</sup>.

وعن جُنْدُب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبل أن يموتَ بخمس، وهو يقول: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، إني أنهاكم عن ذلك»، رواه مسلم <sup>(٢)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يُحصصَ القبرُ، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه، رواه أحمد <sup>(٣)</sup> ومسلم <sup>(٤)</sup> والثلاثة <sup>(٥)</sup> وصححه الترمذي ولفظه: نهى أن تُحصصَ القبورُ وأن يُكتبَ عليها وأن يبنى عليها وأن تُوطأ، وفي لفظ النسائي: نهى أن يُبنى على القبر أو يزادَ عليه أو يجصصَ أو يُكتبَ عليه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ، رواه أهلُ السنن <sup>(٦)</sup>.

وللترمذي <sup>(٧)</sup> وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسولُ الله ﷺ زَوَارَاتِ القبورِ.

- 
- (١) البخاري (١/٥٢٨ - ٥٢٩ رقم ٤٣٢)، ومسلم (١/٥٣٨ رقم ٧٧٧)، وأبو داود (٢/١٤٥ - ١٤٦ رقم ١٤٤٨)، والترمذي (٢/٣١٣ رقم ٤٥١)، والنسائي (٣/١٩٧ رقم ١٥٩٨)، وأحمد رقم (٤٦٥٣ - شاكر).
- (٢) في صحيحه (١/٣٧٧ - ٣٧٨ رقم ٥٣٢).
- (٣) في «المسند» (٣/٣٣٩).
- (٤) في صحيحه (٢/٦٦٧ رقم ٩٧٠).
- (٥) أبو داود (٣/٥٥٢ رقم ٣٢٢٥)، والترمذي (٣/٣٦٨ رقم ١٠٥٢)، والنسائي (٤/٨٦ رقم ٢٠٢٧).
- قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
- (٦) أبو داود (٣/٥٥٨ رقم ٣٢٣٦)، والترمذي (٢/١٣٦ رقم ٣٢٠)، وقال: حديث حسن، والنسائي (٤/٩٤ رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه (١/٥٠٢ رقم ١٥٧٥).
- وهو حديث حسن بشواهد ما عدا لفظ: «السرج»، انظر: الإرواء (٣/٢١٣)، والضعيفة رقم (٢٢٥).
- (٧) في «السنن» (٣/٣٧١ رقم ١٠٥٦) وقال: حديث حسن صحيح.
- قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/٥٠٢ رقم ١٥٧٦)، وأحمد (٢/٣٣٧).
- ورجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال =

ولابن ماجة<sup>(١)</sup> مثله من حديث حسان رضي الله عنه.

ولأحمد<sup>(٢)</sup> بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدرکہم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»، رواه أبو حاتم<sup>(٣)</sup> وابن حبان<sup>(٤)</sup> في صحيحه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبليغني حيث كنتم»، رواه أبو داود بإسناد حسنٍ ورواه ثقات<sup>(٥)</sup>.

= في «التقريب» رقم (٤٩١٠): «صدوق يخطئ».

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهد، والله أعلم.

(١) في «السنن» (٥٠٢/١) رقم (١٥٧٤).

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٤٥)، والحاكم (١/٣٧٤)، وأحمد (٣/٤٤٢)، وسكت عليه الحاكم والذهبي.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٥١٦) رقم (١٥٧٤/٥٦٥): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

قلت: فيه «عبد الرحمن بن بهمان» قال الحافظ في «التقريب» رقم (٣٨١٧): مقبول.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «المسند» (١/٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤)،

قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠٤١٣)، والبخاري رقم (٣٤٢٠، ٣٤٢١ - كشف)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٨٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/١٤٢) من طرق. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٢٧) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن». وأورده أيضاً في «المجمع» (٨/١٣) وقال: «رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٣) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٧٤).

(٤) (رقم ٣٤٠ - موارد)، وهو حديث حسن.

(٥) في «السنن» (٢/٥٣٤) رقم (٢٠٤٢).

قال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٩ - ٦٦٠) عقب هذا الحديث: «هذا إسناد حسن، فإن رواه كلهم ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وحسبك بابن معين موثقاً. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، وهو لين تعرف حفظه وتنكر. فإن هذه العبارات منهم تنزل حديثه من مرتبة الصحيح إلى مرتبة =

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فيدخل فيدعو فيها، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم»، رواه في المختارة<sup>(١)</sup>.

وقال سعيد بن منصور في سننه<sup>(٢)</sup>: حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني

= الحسن، إذ لا خلاف في عدالته وفقهه، وأن الغالب عليه الضبط، لكن قد يغلط أحياناً، ثم هذا الحديث مما يعرف من حفظه، ليس مما ينكر، لأنه سنة مدنية، وهو محتاج إليها في فقهه، ومثل هذا يضبطه الفقيه. وللحديث شواهد من غير طريقة، فإن هذا الحديث روي من جهات أخرى فما بقي منكراً. وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبي صلى الله عليه وآله بأسانيد معروفة اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهد.

(١) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٠١ - ٣٠٢).

وأشار الحافظ ابن حجر في «اللسان الميزان» (١٠٦/٦ - ١٠٧) إلى هذا الحديث عند ترجمة «جعفر بن إبراهيم» وخزّجه من أكثر من طريق.

وللحديث شاهد جيد يأتي تخريجه في التعليقة التالية مباشرة. كما أورده السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (٥٠١٦) وعزاه للضياء ورمز لصحته، بلفظ: «صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً، ولا تتخذوا بيتي عيداً، وصلوا عليّ وسلموا، فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم».

كما أخرجه «الجهضمي» في «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله» رقم (٢٠) بإسناد آخر، بلفظ: «لا تجعلوا قبوري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ وسلموا حيثما كنتم، فسيلغني سلامكم وصلاتكم».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهد.

(٢) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٠٢ - ٣٠٣).

قلت: وأخرجه «الجهضمي» في «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله» رقم (٣٠) مرسلًا. وأخرجه البزار في «مسنده» (١٤٧/٢ - ١٤٨ رقم ٥٠٩) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجعلوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ وسلموا فإنّ صلاتكم تبلغني».

\* قال البزار: «هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عليّ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. وقد روي بهذا الإسناد أحاديث صالحة فيها مناكير، فذكرنا هذا الحديث لأنه غير منكر: «لا تجعلوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً»، قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله من غير هذا الوجه اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لشواهد.



سهيل بن أبي صالح قال: رأيت الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عند القبر فنناداني وهو في بيت فاطمة عليها السلام يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء)<sup>(١)</sup>.

وروى مالك في الموطأ<sup>(٢)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً يُعبد، اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

(وقد نهى) النبي صلى الله عليه وسلم (عن ارتفاع القبر) بالبناء أو نحوه، كما تقدم من النهي عن تجسيصها والبناء عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها (وأن يزداد فيه فوق الشبر) كما في السنن<sup>(٣)</sup> عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُبنى على القبر أو يُزاد عليه أو يُجصص.

(وكل قبر مشرف) يعني مرتفع (فقد أمر) النبي صلى الله عليه وسلم (بأن يسوى) بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تُجاوز الشرع في ارتفاعها، (هكذا صح الخبر) وهو ما رواه مسلم<sup>(٤)</sup> عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم

(١) هذا من كلام الحسن بن الحسن.

(٢) في «الموطأ» (١/١٨٥ - ١٨٦ - تنوير الحوالك) مرسلًا.

قلت: وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤٠ - ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار مرسلًا بسند صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١/٤٠٦ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلًا.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٤٥) عن زيد بن أسلم مرسلًا بسند صحيح.

وأخرجه أحمد موصولاً (٢/٢٤٦)، والحميدي (٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٨٣) و(٧/٣١٧) عن أبي هريرة بسند حسن.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً.

(٤) في صحيحه (٢/٦٦٦ رقم ٩٦٨).

برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالهُ بنُ عبيد بقبره فسوّي ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وله<sup>(١)</sup> عن أبي الهياج الأَسدي، قال: قال لي عليُّ بنُ أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: «ألا تدعَ تِمثالاً إلا طمستَه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتَه».

### [تحذير النبي ﷺ الأمة عن إطرائه والغلو فيه]

(وحدّر الأمة عن إطرائه فغرّهم إبليسُ باستجرائه)  
(فخالفوه جَهرةً وارتكبوا ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا)  
(وحدّر) النبي ﷺ (الأمة عن إطرائه) أي الغلو فيه، كما في الصحيحين<sup>(٢)</sup>  
عن عمرَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسولُه».  
وعن ابن عباس<sup>(٣)</sup> أن رسولَ الله ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسولَ الله يا خيرنا وابنَ خيرنا وسيدنا وابنَ سيدنا، فقال: «يا أيها الناسُ، قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلَّ»، رواه النسائي<sup>(٤)</sup> بسند جيد.

(١) أي لمسلم في صحيحه (٢/٦٦٦ رقم ٩٦٩).

(٢) البخاري (١٢/١٤٤ - ١٤٥ رقم ٦٨٣٠) في حديث طويل، ومسلم رقم (١٦٩١) دون ذكر هذه الجملة.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/٢٦٨ رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٢/١٠٠٨ رقم ٣٠٢٩)، وابن حبان رقم (١٠١١ - موارد)، والبيهقي (٥/١٢٧)، والحاكم (١/٤٦٦).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وليس كذلك؛ فإن زيادة بن حصين لم يخرج له البخاري في صحيحه فهو على شرط مسلم فقط.  
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.  
(٤) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٨).

قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٢٤٩ و٣/٢٤١) وإسناده جيد.

وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ<sup>(١)</sup> قال: انطلقتُ في وفد بني عامرٍ إلى النبي ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيدُ الله تعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طَولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يَسْتَجْرِينَكُمُ الشَّيْطَانُ».

وهذا كُلُّهُ من حماية النبي ﷺ جناب التوحيد، وكما قال لمن قال: تعالوا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافقِ، قال: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

والله سبحانه وتعالى قد بيَّن ما يجب اعتقاده في حقِّ الرسلِ عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديقُ خبرهم، وامتنالُ أمرهم واجتنابُ نهيهم، واتباعهم على شريعتهم، ومحبتهم هم واتباعهم، وتوابعُ ذلك، وهذا هو الذي دَعَا إليه لم يدعِ أحدٌ منهم الربوبية، ولا دَعَا إلى عبادة أنفسهم، ولا ينبغي لهم ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوَظَّيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] الآيات.

وقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤/٤، ٢٥)، وأبو داود (١٥٤/٥ - ١٥٥ رقم ٤٨٠٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٨٧) بسند صحيح على شرطهما.

وهو حديث صحيح، صححه الألباني في تخريج «إصلاح المساجد» (ص ١٣٩ رقم ١٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت. قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث».

إِن أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَبِاللَّهِ  
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ ،  
 وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْفُقُونَهُ  
 بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا  
 لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ  
 نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ  
 الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا  
 أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾  
 [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]،  
 وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا  
 رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ  
 وَرِسَالَةً﴾ [الجن: ٢٠ - ٢٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنُجِّ  
 إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحزاف: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا  
 رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:  
 ١٤٤] الآيات.

وقد تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم مات النبي ﷺ وقال: أيتها الناس من كان يعبد  
 محمداً فإن محمداً قد مات ﷺ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إلى  
 آخر خطبته ﷺ (١).

وهذا باب واسع كثيرة النصوص فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي  
 متعلقاته ومكملاته.

(١) أخرجها البخاري في صحيحه (٧/١٩ - ٢٠ رقم ٣٦٦٧ رقم ٣٦٦٨) من حديث عائشة  
 رضي الله عنها.

## [اغترار الأمة بإبليس ومخالفتهم نهى الرسول وتحذيره]

(فغَرَّهم) أي أَكْثَرَ الأُمَّةِ بعد ما سمعوا الزواجرَ والنواهيَ (إبليسُ) لعنه الله وأعادنا منه (بأستجرائه) أي بأستهوائه إياهم، وأستدرأجه لهم، وإدخالهم في الهلكات شيئاً فشيئاً كما فعل بالأُمم السالفة قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهَوُونَ، إما بَعُلُوْا وإما بجفاء، لا يبالي ما أهلك العبدُ به، سواء قصره على الصراط المستقيم وهَوْنَ عليه أمره حتى لا يدخله ولا يسلكه، أو جاوزه به حتى يتبع سبيل الضلالِ ففترَّقَ به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسلَ من الكفار وعادوهم ونابدوهم بالمحاربة من أول مرة زَيْنَ لهم ذلك، وضرب لهم الأمثلةَ والمقاييسَ، وأنهم مثلهم بشرٌ يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد آباؤهم، ويتقصوا شيوخهم بذلك، وتكون لهم الكبرياء في الأرض، وغير ذلك.

والذين صدقوا الرسلَ واتبعوهم أتى الكثير من خلوفهم وزين لهم الغلوَ فيهم بالكذب والقول عليهم بالبهتان، ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل، وأتاهم بذلك في صورة محبتهم وموالاتهم حتى جعلهم مثله في البعد عن الله ورسوله، ولم يسلم من ذلك إلا عبادُ الله المخلصون الذين هداهم الله صراطه المستقيم، فلم يُفَصِّروا عنه ولم يستبدلوا به غيره، بل استمسكوا به واعتصموا: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

(فخالفوه) أي الذين استهواهم الشيطانُ خالفوا النصَّ من الكتاب والسنة (جهرة وارتكبوا، ما قد نهى عنه) من الغلو والإطراء وما لم يأذن به الله (ولم يجتنبوا) ذلك ولا شيئاً، فنهى عن الحلف بغير الله عز وجل وهؤلاء لا يحلفون إلا بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب، ولا يحلفون بالنذ فيكذبون.

ونهى أن تُفَرَّنَ مشيئة العبدِ بمشيئة الله تعالى، وهؤلاء يُثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدو والآصال، ويسألون منهم قضاء الحوائج دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاة منهم أن بعض الأولياء هو المتصرف في الكون والمدبّر له في كل حال.

ودعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده ودعائه وحده لا شريك له، فدعوا مع الله غيره، حتى دعوا الرسول الآتي بذلك نفسه مع الله عز وجل.

ونهى عن اتخاذ القبور مساجد وهؤلاء يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها، بل ولها من دون الله عز وجل، وكثير منهم يفضلون الصلاة فيها على مساجد الله عز وجل التي بُنيت لذلك.

ونهى أن تُجصص القبور أو يُبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القباب وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، وكم عبادة إليها دون الله صرفوها.

ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بال غضب وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتهم، وما بينهم وبين بنائهم عليها إلا موت أهلها، أو حُلْم يتمثل الشيطان فيه أو خيال أو سماع صوت فيسارعون إلى ذلك أسرع من مسارعة أهل الدين إلى الكتاب السنة.

ونهى عن إيقاد الشرج عليها، وهؤلاء يقفون الوقوف على تسريحها، ويجعلون عليها الشموع والقناديل ما لم يجعلوه في مساجد الله، وكأنما ندبهم الرسول ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنة التي عنى بها من فعل ذلك.

وقال ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»<sup>(١)</sup>، الحديث.

وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنونهم صالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور ويرون ارتكاب ذلك المنهي من أعظم القربات.

ونهى ﷺ عن اتخاذها أعياداً، وهؤلاء قد اتخذوها أعياداً ومعابداً، لا بل معبودات من دون الله عز وجل، ووقتوا لها المواقيت زماناً ومكاناً، وصتفوا فيها مناسك حج المشاهد، وحجوا إليها أكثر مما يُحج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أحل بشيء من مناسكها أعظم جرماً ممن أحل بشيء من مناسك الحج حتى إن من كان منهم قد حج عشرات مرات أو أكثر يبايع من شهد أحد المشاهد أن يعاوضه بجميع حججه بتلك الزيارة فيمتنع أشد الامتناع، ويخشعون عندها أكثر مما يُخشع عند شعائر الله.

(١) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء قد أطروا من هو دونه من أمته بكثير بل قد أطروا من لم يؤمن به ﷺ ساعةً من الدهر أعظم من إطرء النصارى ابنَ مريم، بل جعلوه هو الربَّ على سبيل الاستقلال.

وقال ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله»<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سرّاً وجهراً وهتفوا باسم غيرِ الله في السراء والضراء والشدة والرخاء، وأخلصوا لهم الدعاء من دون الله عزَّ وجلَّ وصرَّفوا إليهم جُلَّ العباداتِ من الصلاة والتُذْر والتُسكِ والطوافِ وغيرِ ذلك.

وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلانٌ فكيف بمن يقول يا فلانٌ ما لي سواك، ويقول: قد استغثت الله فلم يُغثني حتى استغثتُ فلاناً فأغاثني، وإنه ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفته شيء مما ينسبونه إلى وليه من الأكاذيب المختلفة والحكايات الملفقة، وترى أكثرَ مساجدِ الله المبنية للصلوات معطلةً حساً ومعنى، وفيها من الأزبال والكناسات والأوساخ ما لا يُعدُّ ولا يُحصى، فإذا أتيت قبابَ المقابر والمساجدِ المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطار والزبرقة والستور المنقشة المُعلمة المرصعة، والأبواب المفصصة المُحكَّمة، ولها من السُدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تُحصيهم الأقاليم، وعليها - من الأكسية والرايات والأعلام - ما لو قُسم لاستغنى به كثيرٌ من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها، والأموالِ المنجبية إليها من الثمار والنقود والأنعام، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم.

فأئي فاقرةً على الدين أصعبُ من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابثُ على الدين أعظمُ من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداءُ من هدم قواعدِ الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطانُ بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأئي منافٍ للتوحيد وأئي مناقضٍ له أقبحُ من هذا الشرك والتنديد، تالله ما قومُ نوح ولا عاد ولا ثمود ولا أصحاب الأيكة بأعظم شركاً ولا أشدَّ كفرأً من هؤلاء الملاحيد،

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

وليس أولئك بأحقّ منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيراً من أولئك ولا براءة لهم من ذلك الوعيد، ولكنّ الله يُمهّل ولا يُهمّل وما بطشه من الظالمين ببعيد، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

### [الغلو المفرط في الأموات وتعظيم قبورهم]

(فانظر إليهم قد غلّوا وزادوا ورفعوا بناءها وشادوا)

(بالشيد والأجر والأحجار لا سيما في هذه الأعصار)

(فانظر) أيها المؤمن (إليهم) وإلى أعمالهم (قد غلّوا) في أهل القبور الغلّو المفرط الذي نهاهم الله تعالى ورسوله ﷺ عنه (وزادوا) عما حدّهم عنه الرسل (ورفعوا بناءها) أي بناء القبور المنهي عن مجرّده قليله وكثيره (وشادوا) أي ضربوه (بالشيد) وهو الجصّ (والأجر) اللين المحرق (والأحجار) المنقشة المزخرفة (لا سيما) بزيادة (في هذه الأعصار) القريبة بعد ظهور دولة العبيديين<sup>(١)</sup> الذين قال فيهم أهل العلم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فاعتنوا ببناء القباب على القبور وزخرفتها وتشيدها وجعلها مشاهد، ونذبوا الناس إلى زيارتها وأتوا بذلك باسم محبة أهل البيت.

وكلّ من جاء بعدهم من الدول المبتدعة زاد فيها وأحدث أكثر مما أحدث من قبله حتى اتخذوها مساجد ومعابد إلى أن عبّدت من دون الله، وسألوا منها

(١) نسبة إلى عبيد الله المهدي - وأضفوا على أنفسهم لقب الفاطمية نسبة إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ وهي بريئة منهم ومن مفترياتهم. ولكنهم أرادوا ذلك تضليلاً على العامة، وسعياً وراء تحقيق مآربهم.

وعبيد الله المهدي هذا هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح، والد الخلفاء الباطنية العبيدية الفاطمية، افترى أنه من ولد جعفر الصادق، وكان بسلمية - وهي بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة - فبعث دعائه إلى اليمن والمغرب، واستولى على بلاد المغرب، وأنشأ فيها دولته، وامتدّت بضعاً وعشرين سنة، غير اسمه ونسبه وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة، توفي سنة (٣٢٢هـ) شهر ربيع الأول بالمهدية التي بناها. [انظر: «العبر في خبر من غبر» للذهبي (١٦/٢ - ١٧)].

وانظر: «الإسماعيلية المعاصرة» لمحمد بن أحمد الجوير (ص ٤٠ - ٤٢).



ما لا يقدر عليه إلا الله، وفعلوا بها ما يفعل أهل الأوثان بأوثانهم وزادوا كثيراً فضلّوا عن سواء السبيل، وأضلّوا من قدروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلا اسمه، ولا من الكتاب والسنة لديهم إلا لفظه ورسّمه، ولكن الأرض لا تخلو من مجدّد لمعالم الشريعة الحنيفية، ومنته على ما يُخلّ بها أو يناقضها من البدع الشيطانية، ولا تزال طائفة من هذه الأمة أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرة لا يضُرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ ذَكْرٌ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(وللقناديل عليها أوقدوا  
وكم لواء فوقها قد عقدوا)  
(ونصبوا الأعلام والرايات  
وافتنوا بالأعظم الرُفَاتِ)  
(بل نحروا في سوحها النحائر  
فعل أولي التسيب والبحائر)  
(والتمسوا الحاجات من موتاهم  
واتخذوا إلههم هواهم)  
(وللقناديل) من الشموع وغيرها (عليها) أي على القبور وفي قبابها (أوقدوا)  
تعرضاً للعة من رسول الله ﷺ لمن فعل ذلك؛ إذ يقول: «لعن الله زوّارات القبور  
والمتخذين عليها المساجد والسُرج»<sup>(١)</sup>.

فأوقفوا لتسريحها الوقوف الكثيرة وجعلوا عليها سَدَنَةً وخُدَاماً مُعَدِّين لإيقادها، وويل للسادن إن طفيّ مصباح قبر الشيخ (وكم لواء فوقها قد عقدوا) تعظيماً لها وتألهاً ورغبةً ورهبةً، (ونصبوا) عليها (الأعلام والرايات) لا سيما يوم عيدها لأنهم قد اتخذوا لكل قبر عيداً أي يوماً معتاداً يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها، كما أن الحجّ يومُ عرفة، مخالفةً منهم ومشاقّةً لله ورسوله؛ إذ يقول ﷺ: «لا تتخذوا قبوري عيداً»<sup>(٢)</sup>، فقد اتخذوا قبور من هو دونه أعياداً، ومن فاته يوم ذلك العيد المعتاد فقد فاته المشهد، وفاته خيرٌ كثير، وفي ذلك العيد تُنصب الزينة الباهرة وتُدقّ الطبول والأعواد، ويجتمع الرجال والنساء في ميدان واحد لابسين

(١) وهو حديث حسن بشواهد ما عدا لفظ «السُرج» وقد تقدم تخريجه قريباً .

(٢) وهو حديث صحيح بشواهد ما عدا لفظ «السُرج» وقد تقدم تخريجه قريباً .

زِينَتِهِمْ، قَدْ تَعَطَّرَ كُلٌّ مِنَ الْجَنَسِينَ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ وَلبسَ أَطْيَبَ مَا يَجِدُ، وَتُجْبِي  
 الْأَمْوَالَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَالنَّذُورِ وَغَيْرِهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا، مِنْ نَقُودٍ وَثَمَارٍ وَأَنْعَامٍ  
 وَخَرَاجَاتٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا لَا يُبْتَغَى بِهَا وَجْهٌ، وَلَمْ تُنْفَقْ فِي  
 مَرْضَاتِهِ بَلْ فِي مَسَاخِطِهِ (وَافْتَنُوا) فِي دِينِهِمْ (بِالْأَعْظَمِ الرَّفَاتِ) النَّخْرَةَ فَعَبَدُوهَا مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دَعَاءً وَتَوَكَّلًا وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَنَدْرًا وَنُسْكَأً وَغَيْرَ ذَلِكَ.

(بَلْ نَحَرُوا فِي سَوْحِهَا) أَي فِي أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ (النَّحَائِرِ) مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ  
 إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ أَوْ طَلَبُوا حَاجَةً مِنْ شِفَاءٍ مَرِيضٍ أَوْ رَدِّ غَائِبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَأَكْثَرُهُمْ  
 يَسْمُوهَا لِلْقَبْرِ مِنْ حِينِ تَوْلَدَ، وَيَرْتَبِيهَا لَهُ إِلَى أَنْ تَصْلُحَ لِلْقُرْبَةِ فِي عَرَفِهِمْ، وَلَا يَجُوزُ  
 عِنْدَهُمْ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا وَلَا خَضْيُهَا وَلَا وَجَاؤُهَا، لَا يَذْهَبُ شَيْءٌ مِنْ دِمَاحِهَا إِذْ  
 ذَلِكَ عِنْدَهُمْ نَقْصٌ فِيهَا وَبِخْسٌ، (فَعَلَّ أَوْلِيَا التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرِ) أَي كَفَعَلَ مُشْرِكِي  
 الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فِي تَسْيِيبِ السَّوَابِغِ وَتَبْحِيرِ الْبَحَائِرِ، وَجَعَلَ الْحَامِ كَمَا  
 قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ مَبْسُوطًا فِي مَوْضِعِهِ، غَيْرَ أَنَّ أَوْلِيَاكَ سَمَّوْهُمُ آلِهَةً وَشَفَعَاءَ وَسَمَّوْا  
 مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ بِهِمْ عِبَادَةً، وَهَؤُلَاءِ سَمَّوْهُمُ سَادَةً وَأَوْلِيَاءَ، وَسَمَّوْا دَعَاءَهُمْ إِيَّاهُمْ  
 تَبْرَكَأً وَتَوَسَّلًا، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ فِي فِعْلِهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ شِرْكَأً وَأَشَدُّ  
 لِأَنَّهُمْ يَشْرِكُونَ فِي الرِّخَاءِ وَفِي الشَّدَةِ، بَلْ هُمْ فِي الشَّدَةِ أَكْثَرُ شِرْكَأً وَأَشَدُّ تَعَلَّقًا بِهِمْ  
 مِنْ حَالَةِ الرِّخَاءِ، وَأَمَّا مُشْرِكُو الْجَاهِلِيَّةِ الْأَوْلَى فَيَشْرِكُونَ فِي الرِّخَاءِ وَيُخْلَصُونَ لِلَّهِ  
 فِي الشَّدَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ  
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وَغَيْرُهَا مِنْ  
 الْآيَاتِ.

(وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ) الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ مَوْتَاهُمْ) مَنْ  
 جَلَبَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ الشَّرَّ (وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ) وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ  
 بَلْ فِي جَمِيعِ مَعَاصِي اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَا هُوِيَ أَمْرًا أَتَاهُ، وَلَمْ يَأْتَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ  
 غَيْرِ بَابِ الْهَوَى وَلَمْ يَصْطَدَّ أَحَدًا بِغَيْرِ شَبْكِيَّتِهِ، لِأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي عَنِ الْحَقِّ، وَيُضِلُّ  
 عَنِ السَّبِيلِ أَتْبَاعَهُ، وَهُوَ سَبَبُ الشَّقَاوَةِ كَمَا أَنَّ التَّزَامَ الشَّرِيعَةَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا سَبَبُ  
 السَّعَادَةِ، فَهَمَا ضِدَانٌ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَكُونُ الْحَكْمُ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا؛ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ  
 تَدَلُّ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَأْمُرُ بِهَا، وَتَحْذَرُ مِنْ مَسَاخِطِ اللَّهِ وَتَنْهَى عَنْهَا، وَالْهَوَى بَصْدٌ

ذلك، ولهذا قال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»<sup>(١)</sup>، يعني لمخالفة أسبابها من الأعمال الصالحة للهوى، «وحفت النار بالشهوات»<sup>(٢)</sup> لموافقة أسبابها من المعاصي للهوى.

فطوبى لمن كان هواه تَبَعاً لما جاء به رسول الله محمد ﷺ، وويل لمن قَدَّمَ هواه على ذلك لقد هلك.

(قد صادهم إبليسُ في فخاخه بل بعضهم قد صار من أفراخه)  
(يدعو إلى عبادة الأوثانِ بالمال والنفسِ وباللسانِ)

(قد صادهم) من الاصطياد بل<sup>(٣)</sup> من مطاوع اصطاد، لأن التاء التي قلبت طاءً هي لمعنى الطلب، وأما حذفها فيدلُّ على وصول الطالبِ إلى مطلوبه، (إبليس في فخاخه) التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرها في صورة الطاعات، فأول ما زَيَّن لقوم نوح العكوف على صور صالحهم ليتذكروا عبادتهم الله تعالى فيقتفوا أثرهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا.

وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة، أول ما أشار عليهم ببناء القباب على القبور باسم محبة الأولياء ثم بالعكوف عليها وعبادة الله عز وجلَّ عندها تبركاً وتيمناً بتلك البقاع التي فضلت بهم إذ دُفِنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسهم دون الله عز وجلَّ، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئاً فشيئاً إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجلَّ، فصار الأمر كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القرى والأمصار، وفي كل زمنٍ تشيع وتزيّد وفي كل عصرٍ من الأعصار.

(بل بعضهم قد صار من أفراخه) المساعدين له الداعين إلى ما دعا إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (يدعو إلى عبادة الأوثان) من القبور وغيرها (بالمال والنفس واللسان)، فمن دعايتهم إلى ذلك أنهم يجمعون أنواعاً من المطالب

(١) و(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٧٤ رقم ٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/٢٣٠ رقم ٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة أيضاً بلفظ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».

(٣) الظاهر أن (بل) زائدة.

وَيُدْخِلُونَهَا الْقَبْرَ إِلَى الْقَبَةِ الْمَبْنِيَةِ عَلَيْهِ فِي سَرَادِيْبٍ مُعَدَّةٍ تَحْتَهَا، فَإِذَا أَتَى إِلَيْهِمُ الْجَاهِلُ الْمَفْتُونُ وَوَقَفَ عَلَى الْحَاجِبِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَطْلُوبٌ مَعِيْنٌ قَالَ لَهُ: أَدْخِلْ يَدَكَ فَمَا خَرَجَ فِيهَا فَهُوَ الْبَابُ الَّذِي تُرْزَقُ مِنْهُ لَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ خَرَجَ فِي يَدِهِ تَرَابٌ فَحَارِثٌ، وَإِنْ خَرَجَ قُطْرُنٌ فَحَائِكٌ، وَإِنْ خَرَجَ فَحْمٌ أَوْ نَحْوُهُ فَحَدَّادٌ أَوْ صَائِغٌ، وَإِنْ خَرَجَ آلَةٌ حِجَامَةٌ فَحَجَّامٌ، وَإِنْ خَرَجَ كَذَا فَهُوَ كَذَا، عَلَى قَوَاعِدِهِمْ يَعْرِفُونَهَا، وَمَخْرَقَةٌ لَهُمْ يَأْلَفُونَهَا.

وَإِنْ كَانَ لَهُ مَطْلُوبٌ مَعِيْنٌ قَالَ لَهُ: مَا تَرِيدُ مِنَ الشَّيْخِ؟ قَالَ: أُرِيدُ كَذَا، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَوْجَدُ فِيهَا أُدْخِلِ الْقَبْرَ، وَإِلَّا قَالَ: ارْجِعِ الْآنَ وَمَوْعِدُكَ الْوَقْتُ الْفُلَانِي فَإِنَّ الشَّيْخَ الْآنَ مَشْغُولٌ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْدَارِ مَعَ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّيْخِ، فَلَا يَكْتَرِرُ الْطَلْبَ أَدْبَاباً مَعَهُ، فَلَا يَأْتِي فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةَ إِلَّا وَقَدْ اسْتَعَدَّ لَهُ بِمَطْلُوبِهِ، فَإِذَا جَاءَ وَأَدْخَلَ يَدَهُ خَرَجَ فِيهَا ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ فَحِينَئِذٍ خَرَجَ يِنَادِي: شَيْءٌ لِلَّهِ يَا شَيْخَ فُلَانٍ، وَكَلِمَا وَجَدَ أَحَدًا أَرَاهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: هَذَا مِنْ كِرَامَاتِ الشَّيْخِ فُلَانٍ وَعَطَايَاهُ، فَيَجْمَعُونَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِهَذِهِ الْحَيْلِ وَالشَّعْوَذَةِ مَا لَا يُحْصَى، وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَحْتَالُوا لِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ فَحَسْبُ، بَلِ احْتَالُوا لَسَلْبِ دِينِهِمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَائِرَةِ الْكُفْرِ، وَلَيْسَ هَذَا خَاصّاً بِقُبُورِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ عُرِفُوا فِي الدُّنْيَا بِالْأَمَانَةِ وَالِدَيَانَةِ، بَلِ أَيُّ قَبْرِ تَمَثَّلَ فِيهِ الشَّيْطَانُ أَوْ حُكِيَتْ لَهُ حِكَايَةٌ أَوْ رُئِيَتْ لَهُ رُؤْيَا صَدَقًا كَانَتْ أَوْ كَذِبًا فَقَدْ اسْتَحَقَّ عِنْدَهُمْ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ الْقِيَابُ وَيُعَكَّفَ عِنْدَهُ وَيَنْذَرَ لَهُ وَيُذْبِحَ عَلَيْهِ وَيُسْتَشْفَى بِهِ الْمَرْضَى وَيُسْتَنْزَلَ بِهِ الْغَيْثُ، وَيَسْتَعَاثُ بِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَيَسْأَلُ مِنْهُ قِضَاءَ الْحَوَائِجِ، وَيَخَافُ وَيُرْجَى وَيَتَّخَذُ نِدَاءً مِنْ دُونِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِدُونَ وَالْمَلْحَدُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

رُكُوفُهُمْ صَبْحاً وَبِالْإِمْسَاءِ	اللَّهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتَ عَلَى الْقَبْرِ
جَمَعَ الرِّجَالَ مَعاً وَجَمَعَ نِسَاءِ	وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَوْ تَرَى أَعْيَادَهُمْ
بُنِيَتْ عَلَى الْمَوْتَى بِأَيِّ بِنَاءِ	وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتَ مَسَاجِدًا
بِالشَّيْءِ قَدْ ضُرِبَتْ مَعَ الْإِعْلَاءِ	قَدْ زُخِرَتْ بِحِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ
مِنْ أَنْفُسِ الْمَنْقُوشِ دُونَ مَرَاءِ	وَرَوْسُهَا قَدْ زِينَتْ بِأَهْلَةٍ
وَقَفُوا الشَّمُوعَ لَهَا بِأَيِّ أَدَاءِ	قَدْ أُسْرِجَتْ وَلَكُمْ عَلَى تَسْرِيجِهَا

كم سادِنِ قد وُكِّلوه بِشأنِها  
 ويلٌ له لو قد أُخْلِ ببعضِ ذا  
 ولكم عليها رايَةٌ قد نُشِرت  
 وكرائمُ الأنعام تُنحر سوحها  
 لم يُفردوا ربَّ السماء بدعوة  
 يدعونهم في كشفِ كلِّ مُلِمَّةٍ  
 ويعظّمونهمو بكلِّ عبادةٍ  
 وتراه بالرحمَنِ يحلفُ كاذباً  
 لكنه لا يستطيع الحلفَ بالمـ  
 زادوا على شركِ الذين إليهمو  
 إذ يُخْلِصون لدى الكروبِ وهؤلا  
 بل في الشدائدِ شركهم أضعافُ ما  
 فتراه يَنذِرُ في الرخاءِ ببذنةٍ  
 وجميعُ ما يأتيه في سزائه  
 تالله ما ظفر اللعينُ بمثلها  
 حتى إذا ما هتأوا لعدوهم  
 طمع العدوُّ بهم لنيلِ مراده  
 لما أساءوا الظنَّ بالوحيينِ لـ  
 لم يهتدوا بالنصِ قطُّ بل اقتفَو  
 نبذوا الكتابَ فلم يُقيموا نصّه  
 وعبادةُ الأوثانِ قد صارت لهم  
 وطرائقُ البِدعِ المُضِلَّةِ صيروا  
 يا ربُّ ثبُّتنا على دينِ الهدى  
 وارذِّ بتوفيقِ إليها من نأى  
 يا ربِّنا فاكشِفِ غطاءَ قلوبنا  
 واسلِّك بنا نهجَ النجاةِ ونجِّنا  
 واجعل كتابك يا كريمُ إمامنا

طيباً وتنظيفاً وشأنَ ضيائِ  
 ماذا يقاسي من ضروبِ بلاءِ  
 ألوانها سَلبت لقلبِ الرائي  
 منذورةٌ يُؤتى بها لوفاءِ  
 بل للقبورِ تجاوبوا ببناءِ  
 في الجهرِ قد هتفوا وفي الإخفاءِ  
 يا صاحِ في السراءِ والضراءِ  
 وصفاتِه العُليا وبالأسماءِ  
 قبورِ ذا إن لم يكن ببراءِ  
 بُعث الرسولُ بأصدقِ الأنبياءِ  
 ءِ فشركهم في شدةِ ورخاءِ  
 قد أشركوا في حالةِ السراءِ  
 وببذنتينِ لدى اشتدادِ بلاءِ  
 فله به الأضعافُ في الضراءِ  
 من بعضِ أهلِ الشرعةِ الغراءِ  
 سببِ الدخولِ وسَلَمِ الإغواءِ  
 منهم فغرَّ القومَ باستجداءِ  
 كُن أحسنوه بزُخرفِ الأعداءِ  
 آراءِ مَنْ قد كان عنها نائي  
 إذ كان ميلهمو إلى الأهواءِ  
 ديناً تعالَى اللُّهُ عن شركاءِ  
 سبلاً مكانَ المِلَّةِ السمحاءِ  
 وعلى سلوكِ طريقه البيضاءِ  
 ممن قد استهوى أولو الإغواءِ  
 بالنورِ أخرجنا من الظُّلماءِ  
 من حيرةٍ وضلالةٍ عمياءِ  
 ورسولك المِقْدَامَ للحنفاءِ

وانصُر على الأعداء حزَبِكَ إنهم  
راموا بنا السُّوأى بسوء مكايِدِ  
واردُد إلهي كيدهم في بيدهم  
أظهر على الأديان دينك جَهْرَةً  
واجعل لوجهك خُلصاً أعمالنا

خَبَطْتَهُمْ وَفَتَنَّا مِنَ الأعداءِ  
فأَقْصَمْنَاهُمْ يَا رَبُّ لِلأسْوَءِ  
وَأَبْذَنَاهُمْ بِنَيْدِ عَنِ البَيْدَاءِ  
وَشِعَارِهِ فَارْفَعْ بَدُونَ خَفَاءِ  
بِعِبَادَةِ وَوَلَايَةِ وَبِرَاءِ<sup>(١)</sup>

---

(١) هذه الأبيات من شعر المؤلف - رحمه الله - وقد ورد بعض منها في قصيدته الطويلة (همزية الإصلاح) التي مطلعها:  
حمداً بلا حد ولا إحصاء لله مولى الحمد والنعماء  
احتفظ بأصلها المخطوط بقلم ناظمها، أسأل الله أن يعين على نشرها قريباً. (أحمد بن حافظ الحكمي).

[ال] فَصْل: [الثامن]  
في بيان حَقِيقَةِ السُّحْرِ وحكم الساحر  
ونكرِ عَقُوبَةِ من صَدَّقَ كاهناً





أي ما عليه من العقوبة شرعاً، وأن منه أي من السحر علم التنجيم، وهو النظر في النجوم الآتي بيانه، وذكر عقوبة من صدق كاهناً بقلبه، ويعني عقوبته الوعيدية.

والبحث في هذا الفصل في أمور:

(الأول): هل السحر حقيقة وقوعه ووجوده أم لا؟

(الثاني): أنواعه.

(الثالث): حكم متعلمه إن عمل به أو لم يعمل.

(الرابع): عقوبته شرعاً ووعيداً.

### [بيان حقيقة السحر وتأثيره]

(والسحر حق وله تأثير لكن بما قدره القدير)

(أعني بذا التقدير ما قدره في الكون لا في الشريعة المطهرة)

هذا هو البحث الأول في حقيقته وتأثيره.

(والسحر حق) يعني متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجوداً حقيقة لم

ترد النواهي عنه في الشرع، والوعيد على فاعله، والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمراً وخبراً.

وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجوداً في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به

معجزات نبي الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم:

﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ - إلى قوله - ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٤

- ٣٧]، وقال تعالى عن السحرة: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا

بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال تعالى فيهم: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى

﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ

سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ [طه: ٦٦ - ٦٩].

يقال: إنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبلٌ وعصا، فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصي فرأها الناس حياتٍ عظاماً ضخاماً؛ وذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقوله: ﴿يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَمَّا تَسْمَعُ﴾ [طه: ٦٦]، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿١٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه].

يعني العصا ﴿لَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي السحرة، أي ما اختلقوا واثبتكوا من الزور والتخييل، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، وهو أن الله أمرهم على نبيته موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ﴾ [طه: ٦٩]، مكره وخداعه.

﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنْقَ﴾ [طه: ٦٩]. ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٧]، إلى آخر الآيات. وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]. وقالت قريش لنبينا محمد ﷺ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في غير موضع، بل ذكر الله عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسولهم؛ فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٦﴾ أَنْوَاصُوا بِهِ﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣] الآية.

وقال سبحانه في ذم اليهود: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ قَرِيبٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَهُمْ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسِ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ سِحْرِ النَّفِّثَاتِ فِي الْمَقَدِّ﴾ [الفرقان: ٦٨٤].

[٤]، والنفائاتُ هنّ السواحرُ يعقِذن وينفُثن. والمقصودُ أنه قد ثبت بهذه النصوصِ وغيرها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحرَ حقيقةٌ وجوده.

(وله تأثيرٌ) فمنه ما يُمرض، ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، ومنه ما يفرِّق بين المرءِ وزوجِه، (لكن) تأثيرُه ذلك إنما هو (بما قدره القدير) سبحانه وتعالى، أي بما قضاه وقدره وخلقه عندما يُلقِي الساحرُ ما ألقى، ولذا قلنا (أعني بذا التقدير) في قوله بما قدره القديرُ (ما قد قدره في الكون) وشاءه (لا) أنه أمرٌ به (في الشرعة) التي أرسل الله بها رسلَه وأنزل بها كتبه (المطهرة)، من ذلك وغيره، كما تقدم أن القضاء والأمرَ والحكمَ والإرادةَ كلُّ منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكونيُّ يشمل ما يرضاه الله ويُجبه شرعاً، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعيُّ يختصُّ بمرضاته سبحانه وتعالى ومَحابِه، ولهذا قال تعالى في الشرعي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

فأخبر تعالى أنه يريد بعباده اليسرَ ولا يريد بهم العسرَ، وأنه يرضى لهم الشكرَ ولا يرضى لهم الكفرَ، مع كون كلِّ من العسر واليسر والشكر والكفر واقعٌ بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه ومشينته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ﴾ [القمر: ٤٩].

والمقصودُ أن السحرَ ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضرراً، وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه وتكوينه، لأنه تعالى خالقُ الخير والشر، والسحرُ من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهو القضاء الكونيُّ القديري، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعاً.

وقد ثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سُحر رسولُ الله ﷺ حتى إنه ليُخيل إليه أنه يفعل الشيءَ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عزَّ وجلَّ ودعاه ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله قد

(١) البخاري رقم (٣٠٠٤، ٣٠٩٥، ٥٤٣٠، ٥٤٣٢، ٥٤٣٣، ٥٧١٦، ٦٠٢٨ - البيهقي)، ومسلم (٤/١٧١٩ رقم ٢١٨٩).

أفتاني فيما استفتيته فيه»، قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوبٌ. قال: ومن طبه؟ قال: لبيدُ بنُ الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: فيماذا؟ قال: في مُشط ومُشاطةٍ وجُفٍ طلعةٍ ذَكَرَ. قال: فأين؟ قال: في بثر ذي أُرْوَان<sup>(١)</sup>»، قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البثر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال: «والله لكان ماءها نُقاعةَ الحِثَاءِ، ولكأن نخلها رؤوسُ الشياطين». قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وشفاني وخَشِيتُ أن أثورَ على الناس منه شراً»، وأمر بها فدُفنت.

وفي رواية قال: ومن طبه؟ قال: لبيدُ بنُ الأعصم رجلٌ من بني زريق حليفٌ لليهودَ كان منافقاً، قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقةٍ، قال: وأين؟ قال: في جُفٍ طلعةٍ ذكر تحت راعوفةٍ في بثر ذروانٍ - وذكره - هذا لفظ البخاري<sup>(٢)</sup>.

المُشاطة ما يخرج من الشعر، والمُشط أسنانٌ ما يُمَشَطُ به، والمُشاقة من مشاقة الكتان، وجُفٍ طلعة غشاؤها، وهو الوعاء الذي يكون فيه الطلُعُ، تحت راعوفةٍ هو حجرٌ يُترك في البثر عند الحفر، ثابتٌ لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي، وقيل: حجرٌ على رأس البثر يستقي عليه المستقي، وقيل: حجرٌ بارزٌ من طيتها يقف عليه المستقي والناظرُ فيها، وقيل: في أسفل البثر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعه لصلابته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

### [ما نقله النووي عن المازري في إثبات السحر وحقيقته]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم<sup>(٣)</sup>: «قال المازري رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن

(١) في بثر ذي أروان: هكذا هو في جميع نسخ مسلم: ذي أروان. وكذا وقع في بعض روايات البخاري - (رقم ٥٤٣٣ - البغا) - وفي معظمها: ذروان، وكلاهما صحيح. والأول أجود وأصح. وادعى ابن قتيبة أنه الصواب، وهو قول الأصمعي. وهي بثر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٢) في صحيحه رقم (٥٤٣٢ - البغا).

(٣) في شرح مسلم (١٧٤/١٤ - ١٧٥).

له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يُتعلّم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يُكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرّح بإثباته وأنه أشياء دُفنت وأُخرجت، وهذا كله يُبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق مُحال، ولا يُستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملقق، أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم، ومنها مُسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مُضيرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة أو كلام مهلك أو مؤذ إلى التفرقة. قال: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يُحط من منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل.

فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يُبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها - وهو مما يعرض للبشر - فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبيّنة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته السحر فلم يأتيهن، ولم يتمكن من ذلك كم يعترى المسحور.

وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه

فمحمولٌ على التخيّل بالبصر لا كالخلل تطرّق إلى العقل، وليس في ذلك ما يُدخل لَبْساً على الرسالة، ولا طعنًا لأهل الضلالة والله أعلم» اهـ.

قلت: قولُ المازريّ خلافاً لمن أنكر ذلك، قال ابنُ هبيرة<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «أجمعوا على أن السحرَ له حقيقة، إلا أبا حنيفةً فإنه قال: لا حقيقة له عنده، ثم ذكر الاختلافَ في حكم الساحر».

وقال القُرطبي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: «وعندنا أن السحرَ حقٌّ وله حقيقةٌ يخلق الله عنده ما يشاء، خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويهٌ وتخييل» اهـ.

قلت: قد ثبت وتقرّر من هذا وغيره تحقّق السحرِ وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوالِ عامةِ الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم روايةً ودرايةً، فأما القتلُ به والأمراضُ والتفرقةُ بين المرءِ وزوجه وأخذُه بالأبصار فحقيقةٌ لا مكابرةٌ فيها، وأما قلبُ الأعيان: كقلب الجمادِ حيواناً وقلبِ الحيوانِ من شكلٍ إلى آخر، فليس بمُحال في قدرة الله عزّ وجلّ ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعلُ في الحقيقة وهو الفعّال لما يريد، فلا مانعٌ من أن يحول الله ذلك عند ما يُلقى الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاءً وفتنةً لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرِ فرعونَ في قصتهم مع موسى إنما هو التخييلُ والأخذُ بالأبصار حتى رأوا الحبالَ والعِصيَّ حياتٍ، فنؤمن بالخبر ونصدّقه ولا نتعدّاه ولا نبدل قولاً غيرَ الذي قيل لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم، وبالله التوفيق.

### [بيان حكم الساحر وأنه كافر]

واحكم على الساحر بالتكفير	وحده القتلُ بلا نكير)
(كما أتى في السنة المصروفة	مما رواه الترمذي وصححه)
(عن جندبٍ وهكذا في أثر	أمرٌ بقتلهم رُوي عن عمر)
(وصح عن حفصة عند مالك	ما فيه أقوى مرشدٍ للسالك)

(١) «الإفصاح» لابن هبيرة (٢/٢٢٦).

(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٤٦).

هذا هو الحكم الثاني، وهو حكم الساحر (واحكم على الساحر) تعلمه أو علمه، عمل به أو لم يعمل (بالتكفير) أي بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور: منها سب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُم لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم، أو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، كل ذلك نبذ ككفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية، كما قال الربيع بن أنس<sup>(١)</sup> وغيره: إن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سأله عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْ لَّدُنِّي سَاءَ الْوَعْدِ وَمَا يَأْتِي السَّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآيات.

(ومنها) قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢] تتقوله وتزوره ﴿عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْ لَّدُنِّي سَاءَ الْوَعْدِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي في ملكه وعهده، ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له العمل به عوضاً عما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر، وهو من عبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر، وقد سمى الله تعالى طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، سمى ذلك عبادة وأنه اتخاذ لهم أرباباً من دون الله، فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] آية.

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه حين سمع رسول الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟» قالوا:

(١) أثر مرسل مأخوذ عن أهل الكتاب أو عمن أخذ عن أهل الكتاب، وهو من الآثار التي لا يعتمد عليها. (تفسير ابن كثير ١/١٤٠).

بلى، قال: «فتلك عبادتكم إياهم»<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فإذا كان هذا في طاعة الأحرار والرهبان، فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي، فهل فوق هذا الشرك من كفر؟ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣، الحشر: ٢٣].

وعبادة الشيطان هي اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال ودعا إليه، كما قال عز وجل فيه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿الَّذِينَ أَعَاهَدَ لِيُنَاجِيَنِي بَيْنَ يَدَيْ عَادِمٍ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يس].

(ومنها) قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ شَيْئَمَنْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، برأ الله سبحانه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٨/٥ رقم ٣٠٩٥) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث «عبد السلام بن حرب» و«غطف بن أعين» ليس بمعروف في الحديث» اهـ. قلت: عبد السلام هذا ثقة حافظ له مناكير كما ذكره ابن حجر في «التقريب» (١/٥٠٥ رقم ١١٨٦).

وأما غطف هذا فضعفه ابن حجر في «التقريب» (٢/١٠٦ رقم ٢١)، والذهبي في «الميزان» (٣/٣٣٦)، ووثقه ابن حبان (٧/٣١١)، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/٥٥ رقم ٣١٥) ولم يتكلم فيه بشيء، وكذلك البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/١٠٦ رقم ٤٧١) مع إخرجه للحديث.

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/١٠٤/١١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/١٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٧٤) وزاد نسبه لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وللحديث شاهدان:

(الأول): من حديث حذيفة بن اليمان أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/١٠٩)، والبيهقي (١٠/١١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/١٠٤/١١٤).

وهو وإن كان موقوفاً فله حكم المرفوع كما هو مقرر في مصطلح الحديث. (الثاني): من حديث أبي العالية عند ابن جرير في «جامع البيان» (٦/١٠٤/١١٥)، وقد حسن الحديث الألباني في «غاية المرام» رقم (٦) وابن تيمية في «الإيمان» (ص ٦٤). وهو كما قالوا.



وتعالى نبيّه عليه السلام من الكفر، وهذا الكفرُ الذي برأه تعالى منه هو علمُ الساحرِ وعملُه، وإن كان بريئاً من الكفرِ كله معصوماً مما دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحرِ وأنه بريءٌ منه ولو فرض وجودُ عمله به لكفر، لأنه شركٌ، والشركُ أقبَحُ الذنوبِ وأعظمُ المحيطاتِ للأعمال، كما قال تعالى في جميع رسله سليمانَ وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وهذا معلومٌ من أصل القصة، فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحرَ عن الشياطين ونسبوه إلى سليمانَ عليه السلام، فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية؛ كما قال مجاهد<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى في هذه الآية: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال: كانت الشياطينُ تستمع الوحيَ فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمانُ عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما تُوفي سليمانُ وجدته الشياطينُ وعلمته الناسَ وهو السحر.

وقال سعيدُ بنُ جبير<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: كان سليمانُ عليه السلام يتبع ما في أيدي الشياطينِ من السحرِ فيأخذه منهم فيدفيه تحت كرسیه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطينُ أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلمُ الذي كان سليمانُ يستخر به الشياطينَ والرياحَ وغير ذلك؟ قالوا: نعم، قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسیه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به، فقال أهل الحجاز - يعني اليهودُ من أهل الحجاز - كان سليمانُ يعمل بهذا وهذا سحرًا، فأنزل الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ براءةً سليمانَ عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٧) وفي سننه أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي، وهو سيء الحفظ.

وأورده ابن كثير في تفسيره (١/١٤٠) مرسلًا وهو من الآثار التي لا يعتمد عليها.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٩) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، واتهمه بعضهم.

وأورده ابن كثير في تفسيره (١/١٤٠) مرسلًا.

وقال محمد بنُ إسحاق بن يسار<sup>(١)</sup>: عمَدَت الشياطينُ حين عَرَفَت موتَ سليمانَ بنِ داودَ عليهما السلامُ فكتبوا أصنافَ السحرِ، من كان يحب أن يبلِّغَ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصنافَ السحرِ جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمانَ، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتبَ آصفُ بنُ برخيا الصديقُ للملكِ سليمانَ بنِ داودَ من ذخائرِ كنوزِ العلم. ثم دفنوه تحت كرسِيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيلَ حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: والله ما كان ملكُ سليمانَ إلَّا بهذا، فأفسَّهوا السحرَ في الناس فتعلموه وعلموه، فليس هو في أحدٍ أكثرَ منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكرَ رسولُ الله ﷺ - فيما نزل عليه من الله سليمانَ بنَ داودَ وعدّه فيمن عدّ من المرسلين - قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعم أن ابنَ داودَ كان نبياً، والله ما كان إلَّا ساحراً.

وأُنزل اللهُ تعالى في ذلك: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَٰ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

وروى ابنُ أبي حاتم<sup>(٢)</sup> عن ابنِ عباسٍ ؓ قال: كان آصفُ كاتبَ سليمانَ، وكان يعلم الاسمَ الأعظمَ، وكان يكتب كلَّ شيءٍ بأمرِ سليمانَ ويدفنه تحت كرسِيه، فلما مات سليمانَ أخرجته الشياطينُ فكتبوا بين كلِّ سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمانَ يعمل به. قال: فأكفرَه جهالُ الناسِ وسبُّوه، ووقف علماءُ الناسِ، فلم يزل جهالُ الناسِ يسبُّونه حتى أنزل اللهُ على محمدٍ ﷺ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَٰ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/٤٤٦) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وأتهمه بعضهم.

وأورده ابن كثير في تفسيره (١/١٤٠) مرسلًا.

(٢) في تفسيره (١/٢٩٧ رقم ٩٨٨) في إسناده المنهال بن عمرو: صدوق ربما وهم وباقي رجاله ثقات.

والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (١/١٣٩) سنداً وممتناً. ولعل ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب.

وتفاسيرُ السلفِ وأثارُهم في هذه الآيةِ كثيرةٌ جداً، وما كان منها إسرائيلياً فهو من القسمِ المقبولِ لموافقته ظاهرَ الآيةِ في أن اليهودَ تعلموا السحرَ من الشياطينِ ورموا به نبيُّ الله سليمانَ، وأكفروه به وسبُّوه، وخاصموا به محمداً رسولَ الله ﷺ ونبدوا كتابَ الله وراءَ ظهورهم، فبينَ الله تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرأ نبيّه سليمانَ عليه السلام مما اتفقوه، وأقام الحجّةَ عليهم في بطلان ما انتحلوه، فللّه الحمد والمئة.

(ومنها) قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أكذب الله تعالى اليهودَ فيما نسبوه إلى نبيّه سليمانَ عليه السلام بقوله: ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهم إنما نسبوا السحرَ إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفرُ لأن السحرَ كفرٌ، ولهذا أثبت كفرَ الشياطينِ بتعليمهم الناسَ السحرَ، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذلك كلُّ من تعلم السحرَ أو علّمه أو عمِلَ به يكفرُ ككفرِ الشياطينِ الذين علّموه الناسَ؛ إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذُ الشيطانِ وخزيجه، عنه روى وبه تخرج وإياه اتبع، ولهذا قال تعالى في الملكين: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فبينَ تعالى أنه بمجرد تعلّمه يكفر سواء عمِلَ به وعلّمه أو لا.

وعن ابن عباس<sup>(١)</sup> قال: فإذا أتاهما الآتي مريدُ السحرِ نَهَياهُ أشدَّ النهي وقال له: إنما نحن فتنَةٌ فلا تكفر، وذلك أنهما علّما الخيرِ والشرِّ والكفرِ والإيمانِ، فعرفا أن السحرَ من الكفر، قال: فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكانَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٩/١ رقم ١٠١٧) وفيه أبو جعفر الرازي، وهو سيء الحفظ كما تقدم.

والأثر أورده ابن كثير في «تفسيره» (١٤٧/١) معلقاً عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس.

وزاد في آخره: «فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكانَ كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلم خرج منه النور، فنظر إليه ساطعاً في السماء فيقول: يا حسرتاه، يا ويله ماذا أصنع؟» اهـ.

وأورد ابن أبي حاتم هذه الزيادة في الأثر رقم (١٠٢٨).

كذا وكذا، فإذا أتى عاين الشيطانَ فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النورُ، فنظر إليه ساطعاً في السماء، فيقول: يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع.

وروى ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> عن الحسن البصريّ أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله تعالى أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتنّة فلا تكفر.

وقال قتادة<sup>(٢)</sup>: كان أخذ عليهما أن لا يعلمان أحداً حتى يقولوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاءً ابتلينا به ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وقال السدي<sup>(٣)</sup>: إذا أتاهما إنسان يريد السحرَ وعَظَاهُ وقال له: لا تكفر إنما نحن فتنّة، فإذا أبى قال له: ائت هذا الرمادَ فَبُلْ عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطح حتى يدخل السماءَ وذلك الإيمانُ، وأقبل شيءٌ أسودٌ كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكلُّ شيءٍ، وذلك غضبُ الله، فإذا أخبرهما بذلك علّماه السحرَ، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

وعن ابن جريج<sup>(٤)</sup> في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلا كافر، والفتنة هي المحنة والاختبار.

- 
- (١) في تفسيره (١/٣١٠ رقم ١٠١٨) بسند ضعيف.  
ولكن أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/٤٦١ ج) بسند رجاله ثقات عن الحسن وفتادة جزءاً من هذا الأثر.  
وأورد ابن كثير في تفسيره (١/١٤٧) الأثر معلقاً عن الحسن.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٣١٠ رقم ١٠١٩) بسند فيه أبو جعفر سيء الحفظ. لكن تابعه معمر عن فتادة عند ابن جرير في «جامع البيان» (١/٤٦٢) دون قوله: «أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر»، فيكون إسناده حسناً لغيره.  
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/١٤٧ - ١٤٨) عن فتادة بدون سند، بل عزاه لابن أبي حاتم.
- (٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/٤٦١ ج).  
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/١٤٨) معلقاً عن السدي.
- (٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/٤٦٢ ج)، وأورده ابن كثير في تفسيره (١/١٤٨).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَبَنَعَانُونَ مَا يَصُورُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا لِمَن اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يُطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلافاً، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة؛ ثم قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَاتَّقُوا﴾ السحر وسائر الذنوب ﴿لَمْ تُوْبَهُ مِن عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفي الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتقى، وإنما قال تعالى ذلك لمن كفر وفجر، وعمل بالسحر، وأتبعه وخاصم به رسوله، ورمى به نبيه، ونبد الكتاب وراء ظهره، وهذا ظاهر لا غبار عليه، والله أعلم.

وقد صرح بذلك أئمة السلف من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القدر، الذي يصير به كافراً، والصحيح أن الساحر المتعلم من الشياطين كله كفر قليله وكثيره؛ كما هو ظاهر القرآن.

### [الكلام على أن حدَّ الساحر القتل]

(وحده) أي حدَّ الساحر (القتل) ضربه بالسيف (بلا نكير) بل هو ثابت بالكتاب من عموم النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم (كما أتى) ثابتاً (في السنة المصراحة) الثابتة عن النبي ﷺ (مما رواه الترمذي) محمد بن عيسى بن سوسة - بمهملتين - ابن موسى بن الضحاك السلمي، أبو عيسى الترمذي<sup>(١)</sup> الحافظ الضريز أحد الأعلام وصاحب الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم من جامعه وغيره، وعنه محمد بن إسماعيل السمرقندي وحماد بن شكر، وأبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي راوي الجامع، والهيثم بن كليب وخلق من أهل سمرقند ونسَف وتلك الديار<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٢/٦٣٣ رقم ٦٥٨).

(٢) انظر الكلام على سنن الإمام الترمذي في «الفصل المبين على عقد الجواهر الثمين» وهو =

وقال ابن حبان: كان ممن جمع وصنّف، قال أبو العباس المستغفري: مات سنة تسع وسبعين ومائتين - مرفوعاً - (وصححه) موقوفاً (عن جندب) هو ابن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي، أو العلقمي<sup>(١)</sup>، له ثلاثة وأربعون حديثاً اتفقا على سبعة وانفرد مسلم بخمسة.

روى عنه الحسن وابن سيرين وأبو منجّلز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في حدّ الساحر: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حدّ الساحر ضربته بالسيف»<sup>(٢)</sup>، هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع: هو ثقة ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيح عن جندب موقوفاً، والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي، إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم ترّ عليه قتلاً، ويعني بقوله: ما يبلغ الكفر، أي ما كان فيه اعتقاد التصرف لغير الله، وصرف العبادة له كما يفعله عباد هياكل النجوم من أهل بابل وغيرهم، والله أعلم.

(وهكذا في أثر، أمر بقتلهم) يعني السحرة (روى عن عمر) ابن الخطاب بن

- = شرح للأربعين العجلونية تأليف: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ص ١٨٥ - ١٩١).  
وانظر: «فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي». تأليف الحافظ تقي الدين أبي القاسم عبيد بن محمد الإسعدي، حققه وعلق عليه: السيد صبحي السامرائي.  
(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» رقم (٨٠٤)، و«الإصابة» رقم (١٢٢٦)، و«الاستيعاب» رقم (٣٤٤)، و«خلاصة تهذيب الكمال» (١/١٧٣)، و«الوافي بالوفيات» (١١/١٩٣).  
(٢) وهو حديث ضعيف.  
أخرجه الترمذي في «السنن» (٤/٦٠ رقم ١٤٦٠)، والدارقطني (٣/١١٤ رقم ١١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/١٣٦)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٣٦٠).  
قلت: في سننه إسماعيل بن مسلم المكي: قال عنه أحمد وغيره، منكر الحديث.  
وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.  
انظر «التاريخ الكبير» للبخاري (١/٣٧٢)، و«المجروحين» (١/١٢٠)، و«الميزان» (١/٢٤٨).

تُفيل بن عبد العزى العدوي أبي حفص المدني<sup>(١)</sup>، أحد فقهاء الصحابة، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأول من سُمي أمير المؤمنين، له خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً اتفقا على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وعنه أبناؤه عبد الله وعاصم وعبيد الله، وعلقمة بن أبي وقاص وغيرهم، شهد بدرًا والمشاهد والمواقف، وولي أمر الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه وفتح في أيامه عدة أمصار، أسلم بعد أربعين رجلاً.

عن ابن عمر<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، لما دُفن قال ابن مسعود<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه: (ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم). استشهد في آخر سنة ثلاثٍ وعشرين، ودفن في أول سنة أربعٍ وعشرين في الحجرة النبوية وهو ابن ثلاثٍ وستين وصلى عليه صهيب، ومنأقبه جمّة قد أفردت في مجلدات.

وهذا الأثر المشار إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل الشيباني<sup>(٤)</sup> ومحمد بن إدريس الشافعي<sup>(٥)</sup> رحمهما الله تعالى قالوا: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواجر.

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» (٤/١٣٧ - ١٦٨ رقم ٣٨٣٠)، و«الإصابة» رقم (٥٧٥٢)، و«الاستيعاب» رقم (١٨٩٩).

(٢) وهو حديث صحيح.

أخرجه الترمذي (٥/٦١٧ رقم ٣٦٨٢، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

وفي الباب: عن الفضل بن عباس، وأبي ذر، وأبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/١٧٩ رقم ٨٨٠٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٦٩) رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(٤) في «المسند» (١/١٩٠ - ١٩١).

(٥) في «ترتيب المسند» (٢/٨٩ رقم ٢٩٠).

قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٠٤٣)، وأبو عبيد في «الأموال» رقم (٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/١٣٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٧٤٨)، وعبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٢) وسنده صحيح.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(وصح) نقلاً (عن حفصة) بنتِ عمرِ بنِ الخطابِ العدويةِ أمِ المؤمنين رضي الله عنها (عند مالك) بنِ أنسِ بنِ مالكِ بنِ أبي عامرِ بنِ عمرو بنِ الحارثِ الأصبحي أبي عبد الله المدني، أحدِ الأعلامِ في الإسلام وإمامِ دارِ الهجرة<sup>(١)</sup>، ولد سنة ثلاث وتسعين وحُملَ به ثلاثَ سنين، ووفي سنة تسعِ وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى ورضي عنه.

(ما) أي الذي (فيه أقوى) دليل (مرشدٍ للسالك) وهو ما رواه في «موطئه»<sup>(٢)</sup> في «باب ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن زُرارة أنه بلغه أن حفصةَ زوجَ النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت، قال مالك: الساحرُ الذي يعمل السحرَ، ولم يعمل ذلك له غيره، وهو مثلُ الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فأرى أن يُقتل ذلك إذا عمِل ذلك هو نفسه» اهـ.

قال ابنُ كثيرٍ<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: وقد رُوي من طرقٍ متعددة أن الوليدَ بنَ عُقبة كان عنده ساحرٌ يلعب بين يديه، فكان يضرب رأسَ الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله يُحيي الموتى! ورآه رجلٌ من صالح المهاجرين فلما كان الغدُ جاء مشتملاً على سيفه، وذهب يلعب لِعَبه ذلك، فاخترط الرجلُ سيفه فضرب عُتقَ الساحر وقال: إن كان صادقاً فليُحيي نفسه، وتلا قوله تعالى:

(١) انظر ترجمته في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٧٥/٢ - ٧٩)، و«وفيات الأعيان» (١٣٥/٤ - ١٣٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٢٠٧/١ - ٢١٣)، و«طبقات القراء» (٣٥/٢)، و«طبقات الشيرازي» (٥٣)، و«الحلية» (١٣٦/٦).

(٢) (٨٧١/٢ رقم ٤٦) بسند منقطع رجاله ثقات، فمحمد بن عبد الرحمن لم يدرك حفصة. قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٦/٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٧٥٧)، وعبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٣).

(٣) في تفسيره (١٤٩/١).

وأورد بعضها البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢٢/٢) في ترجمة جندب بن كعب من طريق عبد الواحد وهو ابن زياد، عن عاصم وهو ابن سليمان الأحول، عن أبي عثمان، وهذا سند صحيح.

وأخرجها بطولها البيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٦/٨) بسند حسن.



﴿أَفْتَاتُوكَ السِّحْرَ وَأَتَتْهُ تَبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه، والله أعلم.

وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبلٍ حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيدٍ حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجلٌ يلعب فجاء جُنْدُبٌ مشتملاً على سيفه فقتله، قال: أراه كان ساحراً<sup>(١)</sup>.

وحمل الشافعي رحمه الله تعالى قصة عمرٍ وحفصة على سحر يكون شركاً<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

### [ما قرره أبو المظفر بن هبيرة فيمن يتعلم السحر ويستعمله]

وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: فصل. وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه ليقبِّه أو ليتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقداً جوازَه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطينَ تفعل له ما يشاء فهو كافرٌ.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا تعلم السحر قلنا له صِف لنا سحرَكَ، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهلُ بابلٍ من التقرب إلى الكواكب

- 
- (١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١٤٩/١) مسنداً.  
قلت: في السند سقط: فيحیی بن سعید وهو القطان لم يسمع من أبي إسحاق وهو السبيعي إنما يروي عنه بواسطة زهير بن معاوية أو غيره.
- (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١٤٩/١).
- (٣) في تفسيره (١٥٢/١)، وانظر الإفصاح عن معاني الصحاح (٢٢٦/٢ - ٢٢٧).
- (٤) هو يحيى بن محمد بن هبيرة، ويكنى أبا المظفر، ويلقب بعون الدين، ونبعت بالوزير العالم العادل. ولد في ربيع الثاني سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية بني أوقر، وهي قرية قريبة من بغداد، مات أبوه وهو صغير ولم يخلف له شيئاً، فلم يمنعه فقره عن طلب العلم ومتابعتة، فدخل بغداد شاباً وحفظ القرآن الكريم وخطمه بالقراءات والروايات، وكان ابن هبيرة عبداً لله تقياً. توفي سنة (٥٦٠هـ).
- انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٢٥١/٣ - ٢٨٩)، «شذرات الذهب» (١٩١/٤ - ١٩٧)، «المنهج» الأحمدي في أصحاب الإمام أحمد (٢٨٦/٢ - ٣١٤).

السبعة، وأنها تفعل ما يلتبس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

قال ابن هُبيرة: وهل يُقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا، فأما إن قُتل بسحره إنسان فإنه يُقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يُقتل حتى يتكرر منه ذلك، أو يُقرّ بذلك في حق شخص معين، وإذا فإنه يُقتل حداً عندهم، إلا الشافعي فإنه قال يُقتل والحالة هذه قصاصاً.

قال: وهل إذا تاب الساحرُ تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه: لا تقبل، وقال الشافعي وأحمد في الرواية: تقبل.

وأما ساحرُ أهل الكتاب، فعند أبي حنيفة أنه يُقتل كما يقتل الساحرُ إذا كان مسلماً، وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يُقتل، يُعفى لقصة لبيد بن الأعصم.

واختلفوا في المسلمة الساحرة، فعند أبي حنيفة أنها لا تُقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجلِ والله أعلم. وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا أبو بكر المَروزي قال: قرأ على أبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - عمر بن هارون<sup>(١)</sup> أخبرنا يونس عن الزهري قال: يقتل ساحرُ المسلمين ولا يقتل ساحرُ المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها<sup>(٢)</sup>.

وقد نقل القرطبي<sup>(٣)</sup> عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال في الذمي: يُقتل إن قُتل سحره، وحكى ابن خُوَيْرٍ مِندَاد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر أحداً: الأولى: أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قُتل.

والثانية: أنه يُقتل وإن أسلم.

وأما الساحر المسلم، فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) عمر بن هارون هو البلخي قال فيه يحيى بن معين: كذاب خبيث، (الميزان ٣/٢٢٨).

(٢) متفق عليه من حديث أنس.

(٣) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٤٩).

لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تُقبل توبته لأنه كالزندق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائباً قبلناه، فإن قُتل بسحره قُتل، قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطئ عليه الدية<sup>(١)</sup>.

### [من أنواع السحر علم التنجيم]

(هذا ومن أنواعه وشعبه علمُ النجوم فادر هذا وانتبه)

هذا هو البحث الرابع وهو (بيان أنواعه)، فمنها علمُ التنجيم، وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدةُ النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتاً لأجلها وصوّروا فيها تماثيلَ سمّوها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسكاً وشرائعَ يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباساً خاصاً وجليّة خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصة، لكل نجم منها جنسٌ زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها، وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحدياً لهم مبيناً سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام] إلى آخر الآيات.

(ومنها) ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد، ويجعل لكل حرفٍ منها قدراً من العدد معلوماً، ويُجري على ذلك أسماء الأدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده، وي طرح منه طرحاً خاصاً ويثبت إثباتاً خاصاً، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثيرٌ منهم يغير الاسم لأجل ذلك، ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم. وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر

(١) تفسير ابن كثير (١/١٥٢ - ١٥٣).

وهذا الأنثى، وهذا يكون غنياً وهذا يكون فقيراً، وهذا يكون شريفاً وهذا وضيعاً، وهذا مُحِبباً وهذا مبغضاً، كأنه هو الكاتبُ ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله لا يدرية المَلَكُ الذي يكتبُ ذلك حتى يسأل رَبَّهُ أذكرُ أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ ما الرزقُ وما الأجلُ؟ فيقول له: فيكتب، وهذا الكاذبُ المفترى يدعي علمَ ما استأثر الله بعلمه، ويدعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيبَ اختلقها، وهذا من أعظم الشركِ في الربوبية، ومن صدقه به واعتقده فيه كفرٌ والعيادُ بالله.

(ومنها) النظرُ في حركات الأفلاكِ ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها، معتقدين أن لكل نجمٍ منها تأثيراتٍ في كل حركاته منفرداً، وله تأثيراتٌ أُخرُ عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورُخصها، وهبوبِ الرياحِ وسكونها، ووقوعِ الكوائنِ والحوادثِ، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقاً. ومن هذا القسم الاستسقاءُ بالأنواء، وسيأتي الحديثُ فيه عند ذكره في المتن إن شاء الله، وبه الثقة.

(ومنها) النظرُ في منازل القمرِ الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيراتِ في اقتران القمرِ بكل منها ومفارقته، وأن في تلك سعوداً أو نحوساً، وتالياً وتفريقاً وغير ذلك، وكلُّ هذه الأنواع اعتقادٌ صدقها مُحادةٌ لله ورسوله، وتكذيبٌ بشرعه وتنزيله، واتباعٌ لزخارف الشيطانِ، ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجمُ مخلوقٌ من المخلوقات مريبٌ مسخَّرٌ مدبَّرٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، مسبوقٌ بالعدمِ المَخْضِ مُتَعَقِّبٌ به، ليس له تأثيرٌ في حركةِ في الكونِ ولا سكونِ، لا في نفسه ولا في غيره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْيَلُّ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدًا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَن يَلَّ اللَّهُ الْيَلَّ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يسر].

وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَإِلْتَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَاتٍ الَّا عَنَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَدَاؤُكُمْ وَأَصِيبُ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِيفَ الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعْنَاهُ سَهَابٌ نَّاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصفات].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥]، وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى في ذهابها وفنائها وعودها إلى العدم كما أوجدت بعد العدم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجِجَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة].

وروى ابنُ أبي حاتم<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى عن قتادة الإمام في التفسير وغيره. قال رحمه الله تعالى: إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال، جعلها زينةً للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظّه، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناساً جهلةً بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة: مَنْ أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن وُلد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمرُ والأسودُ والقصيرُ والطويلُ والحسنُ والدميم، وما علم هذا النجمُ وهذه الدابةُ وهذا الطيرُ بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا كلامٌ جليلٌ متينٌ صحيحٌ، وأصله في صحيح البخاري تعليقاً<sup>(٢)</sup>.

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) في الباب (٣) في النجوم (٦/ ٢٩٥).

وقال أبو داود<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى في كتاب الطب من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبَةَ ومُسَدَّدُ المَعْنِي، قالوا: حدثنا يحيى بن عبيد الله بن الأَخْسِسِ عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد»، وذكر حديثَ التَّوءِ<sup>(٢)</sup>.

وروى عبدُ بنُ حميدٍ<sup>(٣)</sup> عن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي التصديقَ بالنجوم، والتكذيبَ بالقدر، وخيف الأئمة». وروى ابنُ عساکر<sup>(٤)</sup> وحسنه عن أبي مخجنٍ مرفوعاً: «أخاف على أمتي ثلاثاً: خيفَ الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر».

(١) في السنن (٤/٢٦٦ - ٢٢٧ رقم ٣٩٠٥).

قلت: وأخرجه أحمد (١/٢٢٧، ٣١١)، وابن ماجه (٢/١٢٢٨ رقم ٣٧٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/١٣٨ - ١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١١/١٣٥ - ١٣٦ رقم ١١٢٧٨) بسند جيد رجاله كلهم ثقات.

وصححه النووي في «الرياض» رقم (١٦٧٩)، والعراقي في «المغني» (٤/١١٧)، والألباني في «الصحيحه» رقم (٧٩٣).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي أخرج الحديث أبو داود في سننه (٤/٢٢٧ - ٢٢٨ رقم ٣٩٠٦).

قلت: وأخرجه البخاري (٢/٥٢٢ رقم ١٠٣٨)، ومسلم (١/٨٣ رقم ٧١/١٢٥).

(٣) لم أجده عنده عن رجاء بن حيوة.

وقد أخرج الطبراني في «الكبير» (٨/٣٤٨ رقم ٨١١٣) من حديث أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: «إن أخوف ما أتخوفه على أمتي آخر الزمان ثلاثاً: إيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر، وخيف السلطان». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٠٣): «رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا».

قلت: وعبد الرحمن بن سابط كان كثير الإرسال، ولم يسمع من أبي أمامة شيئاً كما قال يحيى بن معين. وميمون بن زيد لئنه أبو حاتم الرازي.

وخلاصة القول أن هذا الإسناد ضعيف.

(٤) في «تاريخه» (١٦/٣٠٨) بسنده عن حسين بن أبي زيد الدباج، حدثنا علي بن يزيد الصدائي، حدثنا أبو سعد البقال، عن أبي محجن مرفوعاً.

قلت: وأخرجه من الطريق نفسه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٤٨٢) وسنده ضعيف.

وروى أبو يعلى<sup>(١)</sup> وابن عدي<sup>(٢)</sup> عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم».

وروى الطبراني<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «ربّ معلّم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة».

ورواه حميد بن زنجويه<sup>(٤)</sup> عنه بلفظ: «ربّ ناظر في النجوم ومتعلّم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق».

ومن أنواع السحر زجر الطير والخط بالأرض، قال أبو داود<sup>(٥)</sup>: حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عوف حدثنا حيان - قال غير مسدد: حيان بن العلاء - حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «العيافة والطيرة والطرق من العجبت»، ورواه أحمد في مسنده<sup>(٦)</sup>.

= علي بن يزيد الصدائي فيه لين كما في «التقريب» رقم (٤٨١٦).  
وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان، ضعيف مدلس، ولم يصرح بالسماع وبقية رجاله ثقات.

(١) في «المسند» رقم (٤١٣٥).

(٢) في «الكامل» (٤/١٣٥٠).

عن شهاب بن خراش عن يزيد الرقاشي، عن أنس مرفوعاً.

قال ابن عدي: «ولشهاب أحاديث ليس بكثيرة، وفي بعض رواياته ما ينكر عليه، ولا أعرف للمتقدمين فيه كلاماً فأذكره» اهـ.

قلت: بل وثقه جمع من الأئمة، وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٨٢٥): «صدوق يخطئ». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٠٣): «رواه أبو يعلى مقتصرأ على اثنتين من الخمس، وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف».

وخلاصة القول أن حديث أنس حسن لغيره.

(٣) في الكبير (١١/٤١) رقم (١٠٩٨٠).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١١٧): فيه خالد بن يزيد العمري كذاب.

وخلاصة القول أن الحديث موضوع.

(٤) عزاه المناوي في «فيض القدير» (٤/١٧) رقم (٤٤٠٨) إليه وهو كسابقه.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/٢٦) رقم (١٩٨٠٥)، والبيهقي (٨/١٣٩) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٥) في «السنن» (٤/٢٢٨) رقم (٣٩٠٧).

(٦) (٣/٤٧٧) و(٥/٦٠).

والجِبْتُ هو السحرُ قاله عمر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه، وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد<sup>(٢)</sup> والحسن وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس وغيره<sup>(٣)</sup> أيضاً الجِبْتُ الشيطانُ، ولا ينافي الأول لأن السحرَ من عمل الشيطان، وعنه<sup>(٣)</sup> أيضاً الجِبْتُ الشُّرْكُ، وعنه<sup>(٤)</sup> الجِبْتُ الأصنامُ، وعنه<sup>(٥)</sup>

= قلت: وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٩٥٠٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/٣٥)، والنسائي في «التفسير» رقم (١٢٨)، والدولابي في «الكنى» (٨٦/١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/٣١٢ - ٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨ رقم ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/١٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٢٥٦)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/١٥٨)، والخطيب في «التاريخ» (١٠/٤٢٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٧/٤٧٥ - ٤٧٦)، وابن حبان في «الإحسان» رقم (٦١٣١) من طرق... وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي، فقال بعضهم: حيان، لم ينسبه. وقال بعضهم: حيان أبي العلاء. وقال بعضهم حيان بن عمير. وقال آخر: حيان بن مخارق.

قلت: فالاضطراب في اسمه مشعر بعدم الضبط الموجب لضعف الحديث.  
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

\* العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها.

\* الطَّيْرَة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء، وأصله فيما يقال: التَّطِيرُ بالطير والظباء وغيرهما.

\* الطَّرْق: الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهّن.

\* الجِبْتُ: كل ما عُبد من دون الله.

(١) أثر عمر أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤٦٢ رقم ٩٧٦٦ - شاكراً). وفيه «حسان بن فائد» قال أبو حاتم: «شيخ». وقال البخاري يعدّ في الكوفيين. وذكره ابن حبان في «ثقات التابعين».

قلت: يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات.

انظر: «الجرح والتعديل» (١/٢٣٣)، والبخاري في «الكبير» (٢/٢٨١).

وهذا الأثر ساقه ابن كثير بتمامه في تفسيره (١/٥٢٤ - ٥٢٥).

(٢) أثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤٦٢ رقم ٩٧٦٨) ورقم (٩٧٧٠) ورقم (٩٧٧١).

(٣) أورد ذلك ابن كثير في «تفسيره» (١/٥٢٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤٦١ رقم ٩٧٦٥) بسند ضعيف، لأنه مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/٤٦٤ رقم ٩٧٨٢) وهو منقطع، علي بن أبي



الْجِبْتُ حَيْثُ بُنْ أُخْطَبَ، وَعَنْ الشَّعْبِيِّ (١) الْجِبْتُ كَاهِنٌ.

وعن مجاهد (٢) الْجِبْتُ كَعْبُ بَنِ الْأَشْرَفِ، وَلَا مَنَافَاةً أَيْضاً فَإِنَّ السَّحَرَ مِنَ الشَّرِكِ الَّذِي يَشْمَلُهُ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ، وَحَيْثُ بِنِ الْأَشْرَفِ وَكَعْبُ بَنِ الْأَشْرَفِ مِمَّنْ خَاصِمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالسَّحَرِ، وَالكَاهِنُ عَامِلٌ بِالسَّحَرِ، وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ (٣): الْجِبْتُ بِالْكَسْرِ الصَّنَمُ وَالكَاهِنُ وَالسَّاحِرُ وَالسَّحْرُ، وَالَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، وَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ومن أنواعه الْعَقْدُ وَالنَّفْثُ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الشَّرِّ الَّتِي كُنْتَ فِي الْأَمَقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ عَائِشَةَ (٤) فِي قِصَّةِ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ، وَقَدْ ثَبِتَ فِي حَدِيثِ نَزُولِ الْمَعْوِذَتَيْنِ وَرُؤْيَا جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ بِهِمَا أَنَّهُ كَانَ كَلِمًا قَرَأَ آيَةَ أَنْحَلَتْ عُقْدَةً.

وقال النَّسَائِيُّ (٥) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ تَحْرِيمِ الدَّمِ مِنْ سَنَنِهِ: «الْحُكْمُ فِي

= طلحة لم يسمع من ابن عباس. وشيخ الطبري «المنثى» لم توجد له ترجمة.

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (٥٢٥/١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤٦٥/٨ رقم ٩٧٨٥).

(٣) الصحاح (٢٤٥/١).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في «السنن» (١١٢/٧ رقم ٤٠٧٩) بسند ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف، وعن عنة الحسن.

وخلاصة القول أن الحديث «ضعيف» لكن جملة: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه»، ثبتت في حديث الترمذي (٤٠٣/٤ رقم ٢٠٧٢)، والحاكم (٢١٦/٤)، وأحمد (٣٠١/٤، ٣١١) عن عبد الله بن عكيم.

قال الترمذي: وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ وكان في زمن النبي ﷺ يقول: «كتب إلينا رسول الله ﷺ».

وقال الألباني في «غاية المرام» (ص ١٨٢): «قلت: وابن أبي ليلى سيء الحفظ، وكأنه لذلك سكت عليه الحاكم والذهبي، وأشار المنذري في «الترغيب» (١٥٧/٤) إلى إعلاله بابن أبي ليلى.

لكن الحديث حسن عندي؛ فإن له شاهداً عن الحسن البصري مرسلأً أخرجه ابن وهب في «الجامع» (ص ١١٣): أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن يقول: فذكره مرفوعاً.

السَّحْرَةَ» أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ مَيْسِرَةَ الْمَنْقَرِيُّ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وَكَلَّ إِلَيْهِ».

وقد أطلق السحر على ما فيه التخيل في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً»، يعني لتضمُّنه التخيل فيخيل الباطل ونحوها كما يدلُّ عليه أصلُ القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال ﷺ: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن حكمت له من حق أخيه بشيء، فإنما هو قطعة من النار».

أو كما قال، وهو في الصحيح<sup>(٢)</sup>، وأما البيان بالحق لئصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل.

= وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد رواه بعض الضعفاء عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد مضى برقم (٢٨٦) اهـ.

وخلاصة القول أن حديث عبد الله بن عكيم حسن، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٠١/٩ رقم ٥١٤٦) و(١٠/٢٣٧ رقم ٥٧٦٧)، والترمذي (٤/٣٧٦ رقم ٢٠٢٨)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٢/١٦، ٥٩، ٦٢، ٩٤) من حديث عبد الله بن عمر.

\* وأخرجه مسلم (٢/٥٩٤ رقم ٨٦٩/٤٧)، وأحمد (٤/٢٦٣) من حديث عمار.

\* وأخرجه أحمد (١/٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢)، وأبو داود (٥/٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ٥٠١١)، وابن حبان رقم (٢٠٠٩ - موارد)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٨٧٢) من حديث ابن عباس بلفظ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنْ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمًا».

وفي سننه سماك بن حرب بن أوس الذهلي، صدوق، روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بأخره، فكان ربما يلقن. قاله ابن حجر في «التقريب» (١/٣٣٢)، وبقية رجاله رجال الصحيح.

قلت: ولشطره الأول شواهد في الصحيح كما تقدم.

وخلاصة القول أن حديث ابن عباس صحيح بشواهده.

(٢) البخاري (١٣/١٥٧ رقم ٧١٦٩)، ومسلم (٣/١٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ١٧١٣).

وقد سُمي ﷺ ما يعمل عملَ السحر سحراً، وإن لم يكن سحراً؛ كقوله ﷺ: «ألا أنبئكم ما العضة، هي النميمة، القالة بين الناس»، روه مسلم<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسُمي النميمة سحراً لأنها تعمل عملَ السحر في التفرقة بين المرء وزوجيه وغيرهما من المتحابين، بل هي أعظم في الوشاية لأنها تُثير العداوة بين الأخوين، وتسعر الحرب بين المتسالمين كما هو معروفٌ مشاهدٌ لا يُنكر.

وقد جاء الوعيدُ للفتن في الآيات<sup>(٢)</sup> والأحاديث<sup>(٣)</sup> كثيراً جداً، ومع هذا فالخداعُ للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهادِ وأنفعه وأشدّه نكايَةً فيهم، كما فعله نعيمُ بنُ مسعود الغطفاني رضي الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب<sup>(٤)</sup> بإذن رسول الله ﷺ حتى فرّق بين قريش وبين يهود بني قريظة، ونقض الله بذلك ما أبرموه، والله الحمدُ والمئة.

### [حكم حل السحر بالطرق المشروعة والممنوعة]

وَحَلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصّاً يُشْرَعُ      أَمَا بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَيُمنَعُ (وَحَلُّهُ) يعني حلُّ السحر عن المسحور (ب) الرُقى والتعاويذ والأدعية من (الوحي) الكتابِ والسنة (نصاً) أي بالنص (يشرع) كما رقى جبريلُ النبي ﷺ

(١) في صحيحه (٤/٢٠١٢ رقم ٢٦٠٦).

(٢) منها: «هُمَّازُ مِثَاءِ بَنِيمٍ» [القلم: ١١].

ومنها: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» [الهمزة: ١].

(٣) أخرج البخاري (١٠/٤٧٢ رقم ٦٠٥٦)، ومسلم (١/١٠١ رقم ١٠٥) من حديث حذيفة مرفوعاً بلفظ: «لا يدخل الجنة فتات».

(٤) أخرج خبر نعيم بن مسعود، ابن إسحاق معلقاً - كما في السيرة النبوية (٣/٣١٩ - ٣٢٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/٣٦٨ - ٣٦٩ رقم ٩٧٣٧) مرسلأً عن ابن المسيب.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٥٧٨ - ٥٧٩)، والواقدي في «المغازي» (٢/٤٨٠ - ٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٤٤٥ - ٤٤٦) من طريق ابن إسحاق.

وخلاصة القول أن الخبر ضعيف، والله أعلم.

بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديث الرُقى المتقدمة في بابها التي أمر بها الشارح ﷺ وندب إليها، ومن أعظمها فاتحة الكتاب<sup>(١)</sup> وآية الكرسي<sup>(٢)</sup> والمعوذتان<sup>(٣)</sup> وآخر سورة الحشر<sup>(٤)</sup>، فإن ضمَّ إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ من الشياطين مطلقاً، والآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فغلبوا هنالك وأنقلبوا صغرين ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف]، وقوله عز وجل: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

(١) تقدم تخريج الحديث في الرقى.

(٢) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان عندما وكَّله رسول الله ﷺ على مال الصدقة.

أخرجه البخاري رقم (٢٣١١ و ٣٢٧٥ و ٥٠١٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٨ و ٩٥٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٩٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/١٠٧ - ١٠٨).

\* وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أخرجه الترمذي (١٥٨/٥ رقم ٢٨٨٠). وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/٧٦٦). قلت: وهو حديث حسن والله أعلم.

\* وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/٦٣ - ٦٥ رقم ٧٨٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/١٠٨ - ١٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٩٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٦٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/٧٦٥) وغيرهم من طرق.

\* وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/٥١، ١٠١، ١٦١ - ١٦٢)، وأبي نعيم في «دلائل النبوة» (٢/٧٦٧).

\* وحديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/٢٦٣ - ٢٦٤).

(٣) تقدم تخريج الحديث.

(٤) أخرج الترمذي (٥/١٨٢ رقم ٢٩٢٢)، وأحمد في «المسند» (٥/٢٦).

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُضْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ».

وهو حديث ضعيف.

[يونس: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَجِيرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، ونحوها كان ذلك حسناً، ومثل ذلك الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثير منها في باب الرقى.

وكحديث: «ربنا الله الذي في السماء، تبارك اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، [فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين]، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»، رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

وكحديث عثمان بن أبي العاص<sup>(٢)</sup> أنه قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: «امسح بييمينك سبع مراتٍ وقل: أعوذُ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شرِّ ما أجد»، قال: ففعلتُ، فأذهب الله ما كان بي فلم أزل أمرُ به أهلي وغيرهم، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وكتبُ السنة من الأمتها وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن الله عز وجل، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

(أما) حلُّ السحر عن المسحور (بسحر مثله فيحرم)، فإنه معاونةٌ للساحر وإقرارٌ له على عمله، وتقربٌ إلى الشيطان بأنواع القرب ليُبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن<sup>(٣)</sup>: (لا يحلُّ السحر إلا ساحر).

(١) في «السنن» (٢١٨/٤ رقم ٣٨٩٢) من حديث أبي الدرداء، وفي سننه زيادة بن محمد، وقد ضعفه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤٤٦/٢): منكر الحديث، وقد تفرّد بهذا الحديث كما قال الذهبي.

ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٤٤/١).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

\* وما بين المعكوفتين من سنن أبي داود.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٨/٤ رقم ٢٢٠٢)، والترمذي (٤٠٨/٤ رقم ٢٠٨٠).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد» عن الحسن البصري.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٢٣٣/١٠): «أخرجه الطبري في «التهذيب» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحراً أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح.

ولما قيل للنبي ﷺ لو تَنَشَّرْتَ، فقال: «أما أنا فقد شفاني الله وعافاني،  
وخشيت أن أثيرَ على الناسِ شراً»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو داود<sup>(٢)</sup> في كتاب الطبِّ من سننه «باب في النُّشْرة»<sup>(٣)</sup>، حدثنا  
أحمدُ بنُ حنبلٍ حدثنا عبد الرزاق حدثنا عَقِيلُ بنُ مَعْقِلٍ قال: سمعتُ وَهْبَ بنَ مَنْبِهٍ  
يحدث عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن النُّشْرة فقال: «هو  
من عمل الشيطان».

ولهذا ترى كثيراً من السحرة الفَجْرةِ في الأزمان التي لا سيفَ فيها يردُّعُهم  
يتعمد سحرَ الناسِ ممن يُحبه أو يبغضه لِيَضْطَرَّهُ بذلك إلى سؤاله حلَّهُ ليتوصلَ  
بذلك إلى أموالِ الناسِ بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينهم، نسأل الله تعالى  
العافية.

### [تصديق الكاهن كفر]

[ومن يصدِّق كاهناً فقد كفر بما أتى به الرسولُ المعتبرُ]

(ومن يصدق كاهناً) يعتقد بقلبه صدقه فيما ادعاه من علم المغيبات التي  
استأثر الله تعالى بعلمها (فقد كفر) أي بلغ درجة الكفر بتصديقه الكاهن (بما أتى به  
الرسول) محمدٌ ﷺ عن الله عزَّ وجلَّ من الكتاب والسنة وبما أتى به غيره ﷺ من  
الرسول عليهم السلام.

ولنُسِّقَ الكلامَ أولاً في تعريف الكاهن من هو، ثم في بيان كذبه وكفره، ثم  
في كفر من صدَّقه بما قال، والله المستعان.

= قال الحافظ: قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر، قال:  
فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضرب ولم ينه عما ينفخ» اهـ.

- (١) وهو جزء من حديث عائشة، وقد تقدم تخريجه.
- (٢) في «السنن» (٢٠١/٤ رقم ٣٨٦٨) بسند حسن.
- قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٢٩٤/٣) وهو حديث صحيح.
- (٣) النُّشْرة بالضم: ضربٌ من الرُّقِيَّةِ والعلاج، يُعالج به مَنْ كان يُظَنُّ أنَّ به مَسًّا من الجِنِّ،  
سميت نُشْرةً لأنه يُنْشَرُ بها عنه ما خامرته من الداء، أي يكشف ويُزَال، «النهاية» لابن  
الأثير (٥٤/٥).

فنقول: الكاهنُ في الأصل هو من يأتيه الرُّئي من الشياطين المُستترِفة السَّمعُ تنزل عليهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿٢١١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢١٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا ﴿٢١٣﴾ [الشعراء]، وهذه الآيات متعلقة بما قبلها وهي قوله عز وجل لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهنٌ، وقالوا في القرآن كِهانةً، وأنه مما يلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرزاً رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿وَلَهُمْ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ ﴿٢١٥﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢١٦﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢١٧﴾ [الشعراء]، إلى أن قال: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿٢١٨﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء].

فأثبت تعالى أن القرآنَ كلامه وتنزيله، وأن جبريلَ عليه السلام رسولٌ منه مُبلِّغُ كلامه إلى الرسولِ البشريِّ محمد ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون عليه، فقال: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء]، وقرّر انتفاء ذلك بثلاثة أمور:

الأول: بُعْدُ الشياطينِ وأعمالهم عن القرآن، وبعده وبعده مقاصده منهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ [الشعراء: ٢١١]، لأن الشياطينَ مقاصدُها الفسادُ والكفرُ والمعاصي والبغْيُ والعُتُوُّ والتمردُ وغير ذلك من القبائح، والقرآنُ آتٍ بصلاح الدنيا والآخرة، أمرٌ بأصول الإيمانِ وشرائعه مقررٌ لها، مرعَّبٌ فيها زاجرٌ عن الكفر والمعاصي، ذامٌ لها متوعِدٌ عليها أمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكر، ما من خيرٍ آجلٍ ولا عاجلٍ، إلا وفيه الدلالةُ عليه والدعوةُ إليه والبيانُ له، وما من شرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ إلا وفيه النهيُ عنه والتحذيرُ منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟

الثاني: عجزهم عنه، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١]، أي لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلامُ ربِّ العالمين ليس يشبه كلامَ شيءٍ من المخلوقين، وليس في وسعهم الإتيانُ به ولا بسورةٍ من مثله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

الثالث: عزلهم عن السَّمعِ وطردهم عن مقاعده التي كانوا يقعدون من السماء قبل نزول القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، فبيّن

تعالى - مع كونه لا ينبغي لهم - أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسهم ولا نقلاً عن غيرهم من الملائكة، نفى عنهم الأول بعدم الاستطاعة، والثاني بعزلهم عن السَّمْع وطردهم منه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَزَقْنَاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ① وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ② إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ③﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكَبِ ④ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ⑤ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑥ دُخُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ⑦ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑧﴾ [الصفات].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى عن مؤمني الجن رضي الله عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ① وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ② وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ③﴾ [الجن].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظَ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشُّهْبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهْبُ. قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانظُرُوا مَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ. فَانظَرُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفْرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ وَهُوَ صلى الله عليه وسلم بَنَخْلٍ عَامِدًا إِلَى سَوْقِ عُكَاظَ وَهُوَ يَصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الْرُشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ [الجن]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ③﴾ [الجن: ١].

وهذا الحديث بطوله وطريقه في الصحيحين<sup>(١)</sup> وغيرهما، ثم قال تعالى في

(١) البخاري (٨/٦٦٩ رقم ٤٩٢١)، ومسلم (١/٣٣١ رقم ٤٤٩).



جواب الكفار مييناً لهم أولياء الشياطين الذين تنزل عليهم، فقال تعالى: ﴿هَلْ أُتَيْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١] الآيات.

وفي صحيح البخاري<sup>(١)</sup> قالت عائشة رضي الله عنها: سألت ناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنِّي فيقرؤها في أذن وليه كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة».

وله<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا: الحق وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرقها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقبها إلى من تحته، ثم يلقبها الآخر إلى من تحته، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أو ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا كذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»، ولمسلم<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس نحوه.

وللبخاري<sup>(٤)</sup> عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان الغمام - بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرؤها في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة».

وقد بين الله تعالى كذب الكاهن بقوله: ﴿أَفَأَلِكِ أُنثِيرُ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، فسماه أفاكاً وذلك مبالغة في وصفه بالكذب، وسماه أنثيراً وذلك مبالغة في وصفه بالفجور، وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]، أي أكثر ما يقولونه الكذب

(١) البخاري (١٠/٢١٦ رقم ٥٧٦٢).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/١٧٥٠ رقم ٢٢٢٨).

(٢) أي البخاري (٨/٥٣٧ رقم ٤٨٠٠).

(٣) في صحيحه (٤/١٧٥٠ رقم ٢٢٢٩).

(٤) في صحيحه (٦/٣٣٨ رقم ٣٢٨٨).

فلا يفهم منه أن فيهم صادقاً، يفسره قول النبي ﷺ: «فيكذب معها مائة كذبة»، فلا يكون صدقاً إلا الكلمة التي سُمعت من السماء.

### [أسباب كفر الكاهن]

وأما كفر الكاهن فمن وجوه، منها: كونه ولياً للشيطان، فلم يوح إليه الشيطانُ إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيًّا بِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، والشيطان لا يتولى إلا الكفارَ ويتولونه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَّاؤُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهذا وجهٌ ثانٍ.

والثالث: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي نور الإيمان والهدى ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، وهذا وجهٌ رابع.

والخامس: تسميته طاغوتاً في قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، نزلت في المتحاكمين في كاهنٍ جُهينة<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿وَقَدْ أُرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، أي بالطاغوت، وهذا وجهٌ سادسٌ.

والسابع: أن من هداه الله للإيمان من الكهّان كسوادِ بنِ قاربٍ ﷺ لم يأتِه رثيه بعد أن دخل في الإسلام، فدلّ أنه لم ينزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتولّيه إياه، حتى إنه ﷺ كان يغضب إذا سُئل عنه حتى قال له عمرُ ﷺ: ما كنا فيه من عبادةِ الأوثانِ أعظم.

الثامن وهو أعظمها: تشبُّهه بالله عز وجل في صفاته ومنازعتُه له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه فلا سميّ له ولا مُضاهي ولا مشارك: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/١٥٣/٥) وهو مرسل صحيح الإسناد.

[الأنعام: ٥٩]، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾  
 [النمل: ٦٥]، ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣١﴾ إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ  
 يَسْأَلُكَ مِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٣٢﴾﴾ [الجن: ]، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:  
 ٤١]، ﴿أَعِنْدَهُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ [النجم: ٣٥]، ولسان حال الكاهن وقاله يقول نعم.

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التأكيد بالكتاب وبما أرسل الله به رسله.

العاشر: النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول، فكيف به هو نفسه فيما ادعاه، فقد روى الأربعة<sup>(١)</sup> والحاكم<sup>(٢)</sup> وقال صحيح على شرطهما

(١) أبو داود (٢٢٥/٤ رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (٢٤٢/١ - ٢٤٣ رقم ١٣٥)، وابن ماجه (٢٠٩/١ رقم ٦٣٩)، والنسائي في «عشرة النساء» رقم (١٣١).

قلت: وأخرجه الدارمي (٢٥٩/١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٨/٧)، وأحمد في «المسند» (٤٠٨/٢، ٤٧٦)، وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به.

قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة.

وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (١٧/٣) عقب الحديث: «هذا حديث لا يتابع عليه، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين» اهـ.

وقال ابن عدي في «الكامل» (٦٣٧/٢): «وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلا السير» اهـ.

قلت: عللوا الحديث بأمرين:

الأول: ضعف حكيم بن الأثرم.

والثاني: الانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة.

فالجواب عن الأول: أن حكيم وثقه ابن المدني، وأبو داود، وابن حبان، وقال النسائي: «لا بأس به»، وقال الذهبي: «صدوق».

انظر: «تهذيب التهذيب» (٤٧٥/١ - ٤٧٦)، و«الكاشف» (١٨٦/١).

أما الجواب عن الثاني: فأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد، قد توفي سنة (٩٧هـ)، وأبو هريرة توفي سنة (٥٨ أو ٥٩هـ)، والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور إن كان ثقة غير مدلس، وأبو تميمة كذلك.

وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد. انظر: «الإرواء» (٦٩/٧ - ٧٠).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) في «المستدرک» (٨/١).

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم».

وعن عمران بن حصين <sup>(١)</sup> رضي الله عنه: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم».

وللمسلم <sup>(٢)</sup> عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، فهذا حكم من سأله مطلقاً، والأول حكم من سأله وصدقه بما قال.

### [الكاهن كل من ادعى معرفة المغيبات]

ثم اعلم أن الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عامٌ في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره، كالرّمال الذي يخطُّ بالأرض أو غيرها، والمنجم الذي قدمنا ذكره، أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة، كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها، أو المستقبل كمجيء المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك ممّا استأثر الله عزّ وجلّ بعلمه فلا يعلمه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ إلاّ من طريق الوحي؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾

(١) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (٤٤٦٧) من حديث عمران بن حصين وقال: «رواه البزار - رقم (٣٠٤٤) - كشف) - بإسناد جيد» اهـ.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٧/٥) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة» اهـ.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦٢/١٨) رقم (٣٥٥).

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٥ - ١٠٤) وقال: «رواه الطبراني وفيه إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم، وضعفه عمرو بن علي، وبقيه رجاله ثقات» اهـ.

\* وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٢٦٢)، والبزار رقم (٣٠٤٣) - كشف) من حديث ابن عباس.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٧/٥) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

(٢) في صحيحه (١٧٥١/٤) رقم (٢٢٣٠).

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مِنْ أَرْضِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ [الجن: ٢٦]، ملائكة يحفظونه من مسترقي السمع وغيرهم: ﴿يَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَبْطَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، فمن ذا الذي يدعي علم ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر؛ كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُنزِلْتُ بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

وقال لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرَثُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنْبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩] الآية، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: الآيات].

ولم يعلم الرسول ﷺ مكان راحلته حتى أعلمه الله بذلك<sup>(١)</sup>، وقال في سؤال الجبر إياه فأجابته ﷺ وصدقه الجبر، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به» وهي في مسلم<sup>(٢)</sup>. وفيه قول عائشة<sup>(٣)</sup> ﷺ لمسروق رحمه الله تعالى: ومن زعم أن رسول الله ﷺ يُخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ولم يكن ﷺ يعلم شيئاً من الرسالة حتى أتاه الله عز وجل به؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (٤٤٣) من حديث عروة، وفي سننه ابن لهيعة. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/٥٩ - ٦٠) من حديث عروة وحديث موسى ابن عقة.

(٢) في صحيح مسلم (١/٢٥٢) رقم (٣١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٥٩) رقم (١٧٧).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا كَلَّوْهُمُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، نسأل الله العظيم من فضله العظيم.

[ال] فَضْل [التاسع]

يجمعُ معنى حديثِ جبريلَ في تعليمنا الدينَ  
وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلامُ والإيمانُ  
والإحسانُ وبيانُ كلِّ منها





## [تمهيد]

اعلم أنّ هذا الفصل مهمّ جداً، جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية، وهو معنى حديث جبريل في سؤاله النبي ﷺ وجوابه إياه، وهو حديث عظيم الشأن، جليل كبير جامع نافع، سمى النبي ﷺ ما احتوى عليه «الدين» فقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(١)</sup>، وهو حديث مشهور في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وأبو ذر، وعبد الله بن عباس، وأبو عامر الأشعري، وغيرهم، ﷺ.

وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التي فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### حديث جبريل - الحديث به عن عمر

فأما حديث عمر بن الخطاب ﷺ فأخرجه مسلم في أول جامع<sup>(٢)</sup>: حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر. ح. وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه: حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفّق لنا عبد الله بن عمر ﷺ داخل المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أخذنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتفقرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني

(١) جزء من حديث الفصل الذي سيأتي برواياته وتماهه.

(٢) (١/٣٦ - ٣٨ رقم ٨/١).

بريء منهم وأنهم بُرَاءٌ مني، والذي يحلف به عبدُ الله بن عمرَ لو أن لأحدهم مثلُ  
أحدٍ ذهباً فأنفقه في سبيلِ الله ما قبله الله منه حتى يؤمنَ بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم  
ذاتَ يومٍ إذ طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثيابِ شديدٌ سوادِ الشعرِ، لا يرى عليه  
أثرَ السفرِ ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسندَ رُكبتيه إلى رُكبتيه  
ووضعَ كَفَّيه على فَخِذيه وقال: يا محمدُ أخبرني عن الإسلام، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:  
«الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ اللهِ وتقيمَ الصلاةَ وتؤتيَ الزكاةَ  
وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً»، قال: صدقتَ. فعجبنا له  
يسأله ويصدقُه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه  
ورسوله واليومِ الآخرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خيره وشره». قال: صدقتَ، فأخبرني عن  
الإحسان، قال: «أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال:  
فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل»، قال: فأخبرني  
عن أماراتها، قال: «أن تلدَ الأمةُ ربَّتها، وأن ترى الحفاةَ العُراءَ العالةَ رعاءَ الشاءِ  
يتطاولون في البنيان». قال: ثم انطلق فلبثتُ ملياً ثم قال لي: «يا عمرُ أتدري من  
السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلمُ. قال: «فإنه جبريلُ أتاكم يعلمُكم دينكم».

حدثني محمدُ بنُ عبيدِ العُبريِّ وأبو كاملِ الجَحْدريِّ وأحمدُ بنُ عبدةَ قالوا:  
حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ عن مطرِ الوزاقِ عن عبدِ الله بنِ بريدةَ عن يحيى بنِ يعمرَ قال:  
لما تكلمَ معبدٌ بما تكلمَ به في شأنِ القدرِ أنكرنا ذلك. قال: فحججتُ أنا  
وحُميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجَميرِيِّ حَجَّةً. وساقوا الحديثَ بمعنى حديثِ كَهَمَسِ  
وإسناده. وفيه بعضُ زيادةٍ ونقصانٍ أحرفٍ<sup>(١)</sup>.

وحدثني محمدُ بنُ حاتمِ حدثنا يحيى بنُ سعيدِ القطانِ حدثنا عثمانُ بنُ غياثٍ  
حدثنا عبدُ الله بنُ بريدةَ عن يحيى بنِ يعمرَ وحُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ قالوا: لقينا  
عبدَ الله بنَ عمرَ رضي الله عنه فذكرنا القدرَ وما يقولون فيه، فاقترضَ الحديثَ كنحو حديثهم  
عن عمرَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه شيءٌ من زيادةٍ وقد نقصَ منه شيئاً<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٨/١) رقم (٨/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٨/١) رقم (٨/٣).

وحدثني حجاجُ بنُ الشاعرِ حدثنا يونسُ بنُ محمدٍ حدثنا المعتمرُ عن أبيه عن يحيى بن يعمرَ عن ابن عمرَ عن عمرَ عن النبي ﷺ بنحو حديثهم<sup>(١)</sup>.

هذه طرُقُه في مسلم بكمالها، ولم يخرجُه البخاريُّ رحمه الله تعالى.

ورواه أبو داود<sup>(٢)</sup> من حديثِ كَهْمَسٍ فقال في كتاب السنّة من سنّنه: حدثنا عبيدُ الله بنُ معاذٍ حدثنا أبي حدثنا كَهْمَسٌ عن ابن بريدةَ فذكره، وفيه: لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا نعرِفُه. وفيه: فلبثتُ ثلاثاً.

ومن حديثِ عثمانَ بنِ غياثٍ فقال: حدثنا مسدّدٌ حدثنا يحيى عن عثمانَ بنِ غياثٍ قال: حدثني عبدُ الله بنُ بريدةَ. وفيه: فذكر نحوه، وزاد: قال: وسأله رجلٌ من مُزَيِّنَةٍ أو جُهَيِّنَةٍ فقال: يا رسولَ الله فيمَ نعمل، أفي شيءٍ قد خلا أو مضى، أو شيءٍ يُستأنفُ الآن؟ قال: «في شيءٍ قد خلا ومضى». فقال الرجلُ أو بعضُ القوم: ففيمَ العملُ؟ قال: «إن أهلَ الجنّةِ يُيسرونَ لعملِ أهلِ الجنّةِ، وإن أهلَ النارِ يُيسرونَ لعملِ أهلِ النارِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن حديثِ سليمانَ بنِ بريدةَ عن ابنِ يَعْمَرَ بهذا الحديثِ يزيد وينقص: قال: فما الإسلامُ؟ قال: «إقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وحجُّ البيتِ وصومُ رمضانَ والاعتسَالُ من الجنابة»<sup>(٤)</sup>.

ورواه النسائي<sup>(٥)</sup> في كتاب الإيمانِ وشرائعِهِ من مُجتبِي سنّته فقال: بابُ نعتِ الإيمانِ، أخبرنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ قال: حدثنا النضرُ بنُ شميلٍ قال: أنبأنا كَهْمَسُ بنُ الحسنِ - فذكر حديثَ عمرَ بنِ الخطابِ - كلفظ مسلم - ولم يذكر حميداً، ولم يذكر كلامَ يحيى ابنِ يَعْمَرَ ولا كلامَ ابنِ عمرَ قبله.

ورواه الترمذي<sup>(٦)</sup> في أبواب الإيمانِ فقال: بابُ ما وصفَ جبريلُ للنبي ﷺ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٨/١) رقم (٨/٤).

(٢) في «السنن» (٦٩/٥ - ٧٣ رقم ٤٦٩٥)، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (٧٣/٥) رقم ٤٦٩٦)، وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٧٤/٥) رقم ٤٦٩٧) وهو حديث صحيح.

(٥) في «السنن» (٩٧/٨) رقم ٤٩٩٠)، وهو حديث صحيح.

(٦) في «السنن» (٦/٥ - ٧ رقم ٢٦١٠)، قال: هذا حديث حسن صحيح.

الإيمانَ والإسلامَ: حدثنا أبو عمارِ الحسينُ بنُ حُرَيْثِ الخُزَاعِيّ أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ عَنْ كَهْمَسِ بْنِ الْحَسَنِ، فَذَكَرَ بِمَعْنَى لَفْظِ مُسْلِمٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَالْزُقَ رَكْبَتِيهِ بِرَكْبَتِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِيمَانُ؟» ثُمَّ قَالَ: «فَمَا الْإِسْلَامُ؟» ثُمَّ قَالَ: «فَمَا الْإِحْسَانُ؟» وَفِيهِ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ: «صَدَقْتُ»، قَالَ: فَتَعَجَّبْنَا مِنْهُ يَسْأَلُهُ وَيَصَدِّقُهُ. قَالَ: «فَمَتَى السَّاعَةُ؟» وَقَالَ: فَمَا أَمَارَتُهَا. وَفِي آخِرِهِ: فَلَقِينِي النَّبِيَّ ﷺ بِثَلَاثٍ فَقَالَ: «يَا عَمْرُ هَلْ تَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ ذَاكَ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يَعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». وَفِي نَسْخَةِ: «مَعَالِمِ دِينِكُمْ».

حدثنا أحمدُ بنُ محمدٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا كَهْمَسُ بْنُ الْحَسَنِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ<sup>(١)</sup>.

حدثنا محمدُ بنُ المثنى أَخْبَرَنَا معاذُ بنُ هشامٍ عَنْ كَهْمَسِ بْنِ الْحَسَنِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ<sup>(٢)</sup>، وَفِي الْبَابِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ<sup>(٤)</sup>، وَأَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٥)</sup>، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ نَحْوُ هَذَا.

وقد رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ ابْنِ عَمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالصَّحِيحُ هُوَ عَنْ ابْنِ عَمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

ورواه ابنُ ماجه<sup>(٦)</sup> في باب الإيمان: حدثنا عليُّ بنُ محمدٍ حدثنا وكيعٌ عن كهمسِ بنِ الحسنِ فذكره كلفظِ الترمذي، غيرَ أنه لم يذكر حُميداً ولا نفسَ القصةِ ولا كلامَ ابنِ عمرَ قبلَ الحديثِ، وفيه: قال وكيعٌ في قوله: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا»، يعني تلد العجمُ العربَ.

(١) في «السنن الترمذي» (٧/٥).

(٢) في «سنن الترمذي» (٧/٥).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم - كما في «تحفة الأحوذى» (٣٥٠/٧).

(٤) أخرجه البزار رقم (٢٢)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» وإسناده حسن كذا في «الفتح» (١١٦/١).

(٥) أخرجه البخاري (١١٤/١ رقم ٥٠) و(٥١٣/٨ رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (٣٩/١ - ٤٠ رقم ٩ و١٠).

(٦) في «السنن» (٢٤/١ - ٢٥ رقم ٦٣)، وهو حديث صحيح.

ورواه عبد الله ابن الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة. ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن...

الحديث.

والحاصل أن راويه عن عمر ابنه عبد الله، وعنه يحيى بن يعمر وحميد الجُميري، وعن يحيى بن يعمر عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان بن طرخان.

وعن عبد الله بن بريدة كهمس ومطر الزواق وعثمان بن غياث، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبري والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون، ثم اشتهر عن كل من هؤلاء، والله أعلم.

### الحديث به عن ابن عمر

وأما حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فهو الذي أشار إليه الترمذي وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> من طرق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما إنا نساfer في الآفاق فنلقى قوماً يقولون لا قدر، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد الله بن عمر منهم بريء وأنهم منه برء (ثلاثاً)، ثم إنه أنشأ يحدث: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فذكر من هيئته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدنه فدنا، فقال: أدنه فدنا، فقال: أدنه فدنا حتى كاد ركبته تَمَسَّان ركبته، فقال: يا رسول الله أخبرني ما الإيمان أو عن الإيمان، قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر»، قال سفيان: أراه قال: «خيرِه وشرِه»، قال: «فما الإسلام؟ قال: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وغسل من الجنابة، كل ذلك قال: صدقت صدقت، قال القوم: ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا كأنه يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: «يا رسول الله أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله أو تعبده

(١) في «المسند» (٥١/١ - ٥٢) بإسناد صحيح.

(٢) في «المسند» (٥٢/١ - ٥٣) بإسناد صحيح.

كأنك تراه، فإلا تراه فإنه يراك»، كل ذلك نقول ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: «صدقت صدقت»، قال: «أخبرني عن الساعة»، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل»، قال: فقال: «صدقت»، قال ذلك مراراً، ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، ثم ولى.

قال سفيان: فبلغني أن رسول الله ﷺ قال: التمسوه، فلم يجده. قال: «هذا جبريلُ جاءكم يعلمكم دينكم»، ما أتانا في صورة إلا عرفته غير هذه الصورة، وإسناده: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر الخ.

وفي رواية<sup>(١)</sup> قال: قلت لابن عمر إن عندنا رجلاً يزعمون أن الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أنني منهم بريء وأنهم منّا بُراء. ثم قال: جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد ما الإسلام؟» فقال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم. قال: صدقت. قال: فما الإحسان؟ قال: تخشى الله كأنك تراه فإن لا تك تراه فإنه يراك، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مُحسن؟ قال: نعم، قال: صدقت، قال: فما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث من بعد الموت والجنة والنار والقدر كله. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم، قال: صدقت».

زاد في رواية<sup>(٢)</sup>: وكان جبريلُ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية، وسند هذه

(١) لأحمد في «المسند» رقم (٥٨٥٦) بإسناد صحيح. وقال أحمد شاكر: «علي بن زيد، هو ابن جدعان».

والحديث من مراسيل الصحابة، فإن ابن عمر إنما رواه «عن أبيه عمر وقد سبق في «مسنده» بنحوه مطولاً (١٨٤ و ٣٦٧ و ٣٦٨)، وقد سبق في «مسند عمر» أيضاً (٣٧٤ و ٣٧٥) معناه مطولاً، ولكنه جعله من حديث ابن عمر، أنه هو الذي شهد سؤالات جبريل.

وقد رجحنا هناك أنه من حديث عمر، وأن جعله من حديث ابن عمر وهم. وقد مضى معناه كذلك من حديث ابن عباس (٢٩٢٦م)، قوله: «فإن لا تك تراه»، في نسخة بهامش م «تكن» اهـ.

(٢) لأحمد في «المسند» رقم (٥٨٥٧) بإسناد صحيح، وقال أحمد شاكر:

الرواية: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد عن يحيى بن يعمر، قلت لابن عمر... إلخ.

وفي أخرى<sup>(١)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما أن جبريل قال للنبي ﷺ: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال له جبريل عليه السلام: صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال: فقال النبي ﷺ: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم».

وسند هذه الرواية: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا كهسب عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر إلخ.

ورواية<sup>(٢)</sup> عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري قال: لقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابن عمر منكم بريء وأنتم منه برءاء (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي ﷺ جاءه رجل يمشي حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض، فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما يعرف هذا وما هذا بصاحب سفر. ثم قال: يا رسول الله أتيتك؟ قال: نعم. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذي، وساق الحديث بنحو ما تقدم في الصحيح والسنن، وزاد في آخره سؤال الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم في رواية أبي داود.

### الحديث به عن أبي هريرة

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال البخاري<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد

= «إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي: تابعي ثقة، روى عن ابن عمر، وابن الزبير، ولكنه روى هنا عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهم.

انظر: «التاريخ الكبير» (٣٨٩/١)، والحديث مطول ما قبله...» اهـ.

(١) لأحمد في «المسند» رقم (١٩١) بإسناد صحيح. وقال أحمد شاكر:

«وهو مختصر (١٨٤) ولكنه جعله هنا من حديث ابن عمر، ولعله سهو من الناسخين، فإن رواية كهسب قد أشرنا هناك إلى أنها في مسلم، وهي هناك من حديث ابن عمر عن أبيه» اهـ.

(٢) لأحمد في «المسند» رقم (١٨٤) بإسناد صحيح.

(٣) في صحيحه (١١٤/١) رقم (٥٠).

قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال: «ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تناول رعاة الإبل البهيم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى.

ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم أدير فقال: «رُدوه فلم يروا شيئاً»، فقال: «هذا جبريلُ جاء يعلم الناسَ دينهم».

قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان. وترجم عليه<sup>(١)</sup>: باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له. ثم قال: «جاء جبريلُ يعلمكم دينكم»، فجعل ذلك كله ديناً.

وأخرجه في تفسير سورة لقمان<sup>(٢)</sup>، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

حدثني إسحاق عن جرير عن أبي حيان... الحديث.

وفيه: إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال: «يا رسولَ الله ما الإيمان؟» وفيه: قال: «يا رسولَ الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربَّتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحُفأةُ العرأةُ رؤوسَ الناسِ فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ثم انصرف الرجل فقال: «ردوا علي»، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريلُ جاء ليُعلم الناسَ دينهم.

(١) في صحيحه (١/١١٤ رقم الباب ٣٧).

(٢) وأخرجه البخاري في صحيحه (٨/٥١٣ رقم ٤٧٧٧).



ورواه مسلم<sup>(١)</sup> فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعاً عن ابنِ عليّة قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان... الحديث، وزاد: «وإذا تطاول رعاة البُهَم في البنيان فذاك من أشراتها في خمس لا يعلمهن إلا الله»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثم أدبر... إلخ.

وقال<sup>(٢)</sup> حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمي بهذا الإسناد مثله، غير أن في روايته: «إذا ولدت الأمة بعلمها» يعني السراري.

وقال<sup>(٣)</sup>: حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن الفقعاق عن أبي زُرعة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوني». فهابوه أن يسألوه، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال: «يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: لا تُشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان. قال: صدقت. قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله. قال: صدقت. قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت. قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراتها: إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراتها، وإذا رأيت الحفافة العرأة الصمّ البكم ملوك الأرض فذاك من أشراتها، وإذا رأيت رعاء البُهَم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراتها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ: «رُدُّوه علي»، فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا».

(١) في صحيحه (٣٩/١) رقم (٩/٥).

(٢) أي مسلم في صحيحه (٣٩/١) رقم (٩/٦).

(٣) أي مسلم في صحيحه (٣٩/١) رقم (٩/٧).

وأشار إليه الترمذي<sup>(١)</sup> في باب حديث ابن عمر عن عمر. ورواه ابن ماجه<sup>(٢)</sup> بإسناد مسلم، ولفظه إلى آخر الآية. ورواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبي زُرعة بن عمر بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه الخ، وفيه: «وإذا كانت العرأة الحفأة الجفأة».

### الحديث به عنه وعن أبي ذر

وأما حديثه مع أبي ذر رضي الله عنه فقال النسائي في كتاب الإيمان من مجتبى سنينه<sup>(٤)</sup>: صفة الإيمان والإسلام.

أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبي فروة عن أبي زُرعة عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه، وإنا لجلوس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يمسسها دنس حتى سلم في طرف البساط فقال: «السلام عليك يا محمد»، فردّ عليه السلام قال: «أدنو يا محمد؟» قال: «أذنّة»، فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له اذن حتى وضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد أخبرني ما الإسلام، قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان، قال: إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم، قال: صدقت، فلما سمعنا قول الرجل «صدقت» أنكرنا، قال: يا محمد أخبرني ما الإيمان، قال: الإيمان بالله وملائكته وكتبه والنبيين وتؤمن بالقدر، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: صدقت، قال: يا محمد أخبرني ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت، قال: يا محمد أخبرني متى الساعة، قال: فنكس فلم يُجبه

(١) في «السنن» (٦/٥ - ٨ رقم ٢٦١٠).

(٢) في «السنن» (١/٢٥ رقم ٦٤) وهو حديث صحيح.

(٣) في «المسند» (٤٢٦/٢) بإسناد صحيح.

(٤) (١٠١/٨ رقم ٤٩٩١) وهو حديث صحيح.

شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً. ورفع رأسه فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها علامات تُعرف بها: إذا رأيت الرعاء البُهَمَ يتناولون في البنيان، ورأيت الحفافة العُراة ملوك الأرض، ورأيت الأمة تلد ربها في خمس لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم قال: «لا والذي بعث محمداً بالحق هادياً وبشيراً ما كنت بأعلم به من رجلٍ منكم، وإنه لجبريلُ نزل في صورة دحية الكلبي ﷺ».

وقال أبو داود في باب القدر من كتاب السنة من سننه<sup>(١)</sup>: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبة حدثنا جريرٌ عن فروة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي ذرٍّ وأبي هريرة قالوا: كان رسولُ الله ﷺ... الحديث.

وفيه: فبينما له دكاناً من طين فجلس عليه وكنا نجلس بجنبتيه، وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجلٌ فذكر هيئته حتى سلم من طرف السَّماط فقال: «السلام عليك يا محمد»، قال: فرد عليه النبي ﷺ.

فحاصلُ طرقِ حديثِ أبي هريرة وحده، ومع أبي ذرٍّ ﷺ أبو زرعة عن أبي هريرة وعنه أبو حيان وأبو فروة وعُمارة بنُ القعقعا، وعن أبي حيان إسماعيلُ بنُ إبراهيم بنِ عُلَيَّة وجريزٌ ومحمدُ بنُ بشر، وعن إسماعيلِ مسدّد وأبو بكر بنُ أبي شيبة وزهيرُ بنُ حربٍ وأحمدُ بنُ حنبلٍ، وعن جريرِ إسحاقٍ وزهيرُ بنُ حربٍ ومحمدُ بنُ قدامة وعثمانُ بنُ أبي شيبة، وعن محمدِ بنِ بشرٍ محمدُ بنُ نُمير، وعن كل من عُمارة وأبي قُروة وجريزٍ، والله أعلم.

### الحديثُ به عن ابن عباس

وأما حديثُ ابن عباسٍ فقال الإمامُ أحمدُ<sup>(٢)</sup>: حدثنا أبو النَّضْرِ حدثنا

(١) (٧٤/٥ رقم ٤٦٩٨) وهو حديث صحيح.

(٢) في «المسند» (٣١٨/١ - ٣١٩) بسند حسن.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٧٠/٤ - ٢٧١) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وفيه شهر بن حوشب، وهو ثقة، وفيه كلام، وبقيّة رجاله ثقات» اهـ.

عبد الحميد حدثنا شهرٌ حدثني عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فجاء جبريل عليه السلام فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله حدثني ما الإسلام؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تُسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله». قال: إذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: «إذا فعلت ذلك فقد أسلمت». قال: يا رسول الله فحدثني ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین، وتؤمن بالموت وبالحياء بعد الموت، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره». قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «إذا فعلت ذلك فقد آمنت». قال: يا رسول الله حدثني ما الإحسان؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه، فإنك إن لم تره فإنه براك». قال: يا رسول الله فحدثني متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الرِّيحَ وَبَعَثَ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].»

ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك»، قال: أجل يا رسول الله فحدثني. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الأمة ولدت ربّتها أو ربّها، ورأيت أصحاب الشاء تناولوا بالبنيان، ورأيت الحفّاء الجياع العالة كانوا رؤوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراطها». قال: يا رسول الله، ومن أصحاب الشاء والحفّاء الجياع العالة؟ قال: العرب»، وحسنه الحافظ العسقلاني<sup>(١)</sup>.

### الحديث به عن أبي عامر

وأما حديث أبي عامر فقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> أيضاً: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال: حدثنا عبد الله بن أبي حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاءه

(١) في «الفتح» (١/١١٦).

(٢) في «المسند» (٤/١٢٩) بسند حسن، وفيه شهر بن حوشب، وقد تقدم الكلام عليه آنفاً.

جبريل عليه السلام في غير صورته يحسبه رجلاً من المسلمين فسلم عليه فردّ عليه السلام، ثم وضع جبريل يده على ركبتي النبي ﷺ، فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب.

وفيه: فلما ولى - أي السائل - فلما لم نر طريقه بعد قال، أي النبي ﷺ: «سبحان الله - ثلاثاً - هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»، وحسنه الحافظ أيضاً<sup>(١)</sup>، وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالى.

وأما الأحاديث التي قبله فقد خرّجها غير من ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأئمة لشهرتها، وفي الباب عن جماعة من الصحابة غير من ذكر، منهم طلحة بن عبيد الله<sup>(٢)</sup> وأنس بن مالك<sup>(٣)</sup> وجبريل بن عبد الله البجلي<sup>(٤)</sup>، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر من النصوص في كل مسألة من مسائله عند ذكرها في المتن، فنقول وبالله التوفيق.

## الإيمان قولٌ وعملٌ

(اعلم بأن الدينَ قولٌ وعملٌ فاحفظه وافهم ما عليه إذا اشتغل)

(اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) - الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، ورضيه لأهل سمواته وأرضه، وأمر أن لا يُعبَد إلا به، ولا يقبل من أحد سواه، ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه، ولا أحسن ديناً ممن التزمه واتبعه - هو (قولٌ) أي بالقلب واللسان (وعملٌ) أي بالقلب واللسان والجوارح، فهذه أربعة أشياء جامعةٌ لأمر دين الإسلام:

(١) في «الفتح» (١١٦/١).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم - كما في «تحفة الأحوذى» (٣٥٠/٧).

(٣) أخرجه البزار (٢٠/١) - ٢١ رقم ٢٢ - (كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٠/١) وقال: «رواه البزار وفيه الضحاك بن نبراس، قال البزار: ليس به بأس، وضعفه الجمهور» اهـ.

ومع ذلك حسن الحافظ إسناده في «الفتح» (١١٦/١).

(٤) أخرجه أبو عوانة في صحيحه.

وفي إسناده خالد بن يزيد العمري ولا يصلح للصحيح.

كما في «الفتح» (١١٦/١).

(الأول): قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، صدقوا ثم لم يشكوا.

وفي حديث الدرجات العلى: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة»<sup>(٢)</sup>، الحديث.

وفي الحديث الآخر: «فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى في المكذبين: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ١٠]، وقال تعالى في المرتابين الشاكين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقال فيهم: ﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُنَكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠/٦) رقم (٣٢٥٦)، ومسلم (٢١٧٧/٤) رقم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢/١٣) رقم (٧٤١٠)، ومسلم (١٧٧/١ - ١٧٨) رقم (١٩١) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٣/١٣ - ٤٧٤) رقم (٧٥١٠)، ومسلم (١٨٢/١ - ١٨٤) رقم (١٩٣) من حديث أنس.

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴿المائدة: ٤١﴾، وقال تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، أي في قولهم نشهد، أي كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بالسنتهم تقيّةً وِنفاقاً ومخادعةً.

(الثاني): قولُ اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمهما.

قال الله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿وَإِذَا يُنَادِي عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ [القصص: ٥٣]، ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»<sup>(١)</sup>، وما في معناه مما سنذكر ومما لا نذكر.

(الثالث): عمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْمَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل]، ﴿إِنَّمَا تَطْعَمُهُمْ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الإنسان: ٩]، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لِمِ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿قُلْ إِنْ

(١) وهو حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

كُنْتُمْ تَجُوبُونَ اللَّهَ فَأَتَيْتُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴿[آل عمران: ٣١]، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ  
الْإِيمَانَ وَرَزَقَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾  
[الحجرات: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].  
﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].  
﴿فَالْهُكْرُ إِلَى اللَّهِ وَجِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيَسِّرَ الْمُخَيَّبِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا  
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا  
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت  
هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو  
امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك  
معي فيه غيري تركته وشركه»<sup>(٢)</sup>. وقد تقدم جملة من نصوص الإخلاص في  
الكلام على لا إله إلا الله، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر، وما ينافي  
كمالَه من الشرك الأصغر.

وقال ﷺ: «أحبوا الله من كل قلوبكم»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيهم وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله  
أحب إليه مما سواهما»<sup>(٤)</sup> الحديث.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس  
أجمعين»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٩/١ رقم ١)، ومسلم (٣/١٥١٥ رقم ١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (١/٦٠ رقم ١٦)، ومسلم (١/٦٦ رقم ٤٣) من حديث أنس.

(٥) أخرجه البخاري (١/٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/٦٧ رقم ٤٤) من حديث أنس.



وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَحُبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يَقْرُبُنِي إِلَى حُبِّكَ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ حُبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ»<sup>(٣)</sup>، وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن له هوى غير ما جاء به الرسول ﷺ. وقد تقدمت النصوص في التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب.

(الرابع): عمل اللسان والجوارح، فعمل اللسان ما لا يؤدي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدي إلا بها، مثل القيام والركوع والسجود والمسح في مرضاة الله كنقل الخطأ إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شُعْب الإيْمَان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَأْتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥٢٢ رقم ٣٤٩٠)، والحاكم (٢/٤٣٣) من حديث أبي الدرداء.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

وتعقبه الذهبي بقوله: «بل عبد الله هذا قال أحمد: أحاديثه موضوعة».

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٢٤)، والبيزار (٢/٣٢٩ - ٣٣٠ رقم ١٨٠٠) من حديث عبيد بن رفاعة عن أبيه.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٢١) وقال: «رواه أحمد والبيزار واقتصر على عبيد بن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح. وقال: اللهم قاتل كفرة أهل الكتاب، ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

(٣) تقدم تخريجه.



بالغاً وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهماً واضحاً ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبيين لك أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة:

كفر جهل وتكذيب.

وكفر جحود.

وكفر عناد واستكبار.

وكفر نفاق.

فأحدهما يُخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها - قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح - أو ينتفي بعضها، فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة].

وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]، وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمِنَ ذَلِكَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَهُ لَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨ - ٢٠].

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حِيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً، ومُحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة - أنهم إنما عنوا التصديق الإذعائي المستلزم للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق، فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود، وإنما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقذ بل جحد آيات الله ظلماً وعلواً فأين هذا من التصديق، من قال الله تعالى فيه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] الآيات، وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]، من تصديق من قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والله الموفق.

(كفاك ما قد قاله الرسولُ إذ جاءه يسأله جبريلُ)

(على مراتبٍ ثلاثٍ فضلةً جاءت على جميعه مشتملة)

(الإسلام والإيمان والإحسان والكلُ مبنيٌّ على أركانِ)

كفاك أيها الطالبُ الحقُّ (ما قد قاله الرسول) محمدٌ ﷺ (إذ) حينَ (جاءه يسأله) عن مراتبِ الدينِ وشرائعه (جبريلُ) عليه السلام كما في الأحاديث السابقة عن جماعة من الصحابة (على مراتب ثلاثٍ فضلةً) في تلك الأجوبة الصريحة (جاءت) أي الثلاثُ المراتب (على جميعه) أي على جميع الدين (مشتملة)،

(١) أخرجه البخاري (١٢٦/١ رقم ٥٢)، ومسلم (٣/١٢١٩ - ١٢٢١ رقم ١٠٧) من حديث النعمان بن بشير.

ولهذا سمي النبي ﷺ تلك امورًا: «الدين» فقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(١)</sup>.

### [مرتبة الإسلام]

(الإسلام) بالخفض، بدل مفصل من مُجمل مراتب، ويقال له بدل بعض من كل، وما بعده معطوفان عليه، هذه هي المرتبة الأولى في حديث عمر وما وافق لفظه. والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلاطلاقه حالتان:

(الحالة الأولى): أن يُطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْسِلَةِ كَأَفْئَةٍ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في كافة شرائعه، ونحو ذلك من الآيات.

وكقوله ﷺ لما سأله معاوية بن حيدة: ما الإسلام؟ قال: «أن تقول أسلمت وجهي لله وتخلّيت»<sup>(٢)</sup>، الحديث.

وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك»، قال: فأبي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»، قال: وما الإيمان؟ قال: «تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت»<sup>(٣)</sup>، فجعل رضي الله عنه الإيمان من الإسلام وهو أفضله.

(١) تقدم تخريجه وبيان طرقه في هذا الباب المخصص له.

(٢) وهو حديث حسن.

أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٥، ٥)، والنسائي (٤/٥ - ٥ رقم ٢٤٣٦) و(٨٢/٥ - ٨٣ رقم ٢٥٦٩) وسنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٢٧/١١ رقم ٢٠١٠٧) ومن طريقه أخرجه أحمد في «المسند» (١١٤/٤) بسند صحيح.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٥٩) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» بنحوه، ورجاله ثقات» اهـ.

وقوله ﷺ: «إذا أسلم العبدُ فحسُنَ إسلامُهُ كتبَ اللهُ له كلَّ حسنةٍ كان أزلَّفَهَا، ومُحيت عنه كلَّ سيئةٍ كان أزلَّفَهَا»<sup>(١)</sup>، الحديث.

فإن الانقياد ظاهراً بدون إيمانٍ لا يكون حُسُنَ إسلامٍ بل هو النفاق، فكيف تكتب له حسناتٌ أو تُمحي عنه سيئاتٌ؟ ونحو ذلك من الأحاديث.

(الحالة الثانية): أن يُطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسَلْنَا لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية.

وقوله ﷺ لما قال له سعيد بن جبير: ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً.

(١) وهو حديث صحيح.

أخرجه النسائي (١٠٥/٨ - ١٠٦ رقم ٤٩٩٨)، وعلقه البخاري في صحيحه (٩٨/١) رقم (٤١) من حديث أبي سعيد الخدري.

قال الحافظ في «الفتح»: «هكذا ذكره معلقاً، ولم يوصله في موضع آخر من هذا الكتاب، وقد وصله أبو ذرّ الهروي في روايته للصحيح فقال عقبه: أخبرنا النضروي وهو العباس بن الفضل قال: حدثنا الحسن بن إدريس، قال: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم عن مالك به.

وكذا وصله النسائي من رواية الوليد بن مسلم، حدثنا مالك، فذكره أتمّ مما هنا كما سيأتي.

وكذا وصله الحسن بن سفيان من طريق عبد الله بن نافع، والبخاري من طريق إسحاق الفروي، والإسماعيلي من طريق عبد الله بن وهب.

والبيهقي في «الشعب» (٥٨/١) رقم (٢٤) من طريق إسماعيل بن أبي أويس كلهم عن مالك.

وأخرجه الدارقطني من طرق أخرى عن مالك، وذكر أن معن بن عيسى رواه عن مالك فقال: «عن أبي هريرة» بدل «أبي سعيد» وروايته شاذة.

ورواه سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلاً.

ورويته في «الخلعيات» - هي عشرون جزءاً في الحديث، تخريج القاضي أبي الحسين علي بن حسن الخلعي الموصلي المتوفى سنة (٤٤٨هـ) - وقد حفظ مالك الوصل فيه وهو أتقن لحديث أهل المدينة من غيره.

وقال الخطيب: هو حديث ثابت.

وذكر البخاري أن مالكاً تفرد بوصله اهـ.

فقال ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»<sup>(١)</sup>، يعني أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة.

وفي رواية النسائي<sup>(٢)</sup>: «لا تقل مؤمنٌ وقل مسلمٌ»، وكحديث عمرَ هذا، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

### [مرتبة الإيمان]

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية في الحديث المذكور، والإيمان لغة التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] يقول بمُصدق، وأما في الشريعة فلاطلاقه حالتان:

(الحالة الأولى): أن يُطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطناً وظاهراً في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٧٩/١ رقم ٢٧)، ومسلم (١٣٢/١ رقم ١٥٠).

(٢) في «السنن» (١٠٣/٨ - ١٠٤ رقم ٤٩٩٢) وهو حديث صحيح.

(٣) وهو حديث صحيح.

أخرجه النسائي (٢٣٤/٥ رقم ٢٩٥٨)، والدارمي (٣٣٢/١ - ٣٣٣) و(٢/٢٣٧)، وأحمد (٢/٢٩٩)، والحاكم (٢/٣٣١).

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: ورجاله ثقات رجال الشيخين غير المُحرَّر بن أبي هريرة، وقد أورده ابن حبان في «الثقات» (٥/٤٦٠) وقال: «روى عنه الشعبي وأهل الكوفة» اهـ.

قلت: وروى عنه غيرهم من الكبار كالزهري وعطاء وعكرمة، فهو ثقة. فقول الحافظ في «التقريب» رقم (٦٥٠٠): «مقبول» غير مقبول.

وعليه، فالإسناد صحيح، والله أعلم.

إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ [الأنفال].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِإِيمَانِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ نَسَجَافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة].

وفسّرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَالَّذِينَ كَانُوا يُوقِنُونَ أَنَّهُمْ يُفْقَهُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [البقرة].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقَهُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَطِيبِ الْعَلِيظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَقَمُّوْنَ أَجْرَ الْعَمَلِ الْبَارِئِ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُنَّ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [الأعراف].

وفي قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ



حَفِظُونَهُ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنْ أَسْفَحَ  
رَأْيَهُ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ  
عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفُرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا  
يَخْلُدُونَ ⑩ ﴿المؤمنون﴾.

وفي قوله عز وجل: ﴿طَسَّ تِلْكَ مَآبِئُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ تُبَيِّنُ ① هُدًى وَبُشْرَىٰ  
لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③﴾ [النمل]،  
وغيرها من الآيات.

وقد فسر الله تعالى «الإيمان» بذلك كله في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ  
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ  
وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وروى ابنُ أبي حاتم<sup>(١)</sup> أن أبا ذر سأل النبي ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه  
رسولُ الله ﷺ: ﴿لَيْسَ الْإِبرُ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إلى  
آخر الآية.

ثم سأله أيضاً، فتلاها عليه، ثم سأله فقال: «إِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً أَحَبَّهَا قَلْبُكَ،  
وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً أَبْغَضَهَا قَلْبُكَ»<sup>(٢)</sup>، رواه المسعودي بنحوه.

(١) في تفسيره (٢٨٧/١) رقم (١٥٣٩) بسند منقطع.  
وأورده ابن كثير في تفسيره (٢١٣/١) وقال عقبه: «وهذا منقطع فإن مجاهداً لم يدرك أبا  
ذر، فإنه مات قديماً» اهـ.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٢١٣/١): «قال المسعودي: حدثنا القاسم بن عبد الرحمن  
قال: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: ما الإيمان؟ فقرأ عليه هذه الآية:  
﴿لَيْسَ الْإِبرُ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، حتى فرغ منها، فقال الرجل: ليس عن  
البر سألتك، فقال أبو ذر: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عما سألتني عليه فقرأ  
عليه هذه الآية، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى، فقال له رسول الله ﷺ وأشار  
بيده: «المؤمن إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل سيئة أحرزته وخاف عقابها»،  
رواه ابن مردويه، وهذا أيضاً منقطع والله أعلم» اهـ.

وفسره النبي ﷺ بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين<sup>(١)</sup> وغيرهما، فقال: «أمركم بالإيمان بالله وحده»، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس».

وقد جعل ﷺ قيام رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وكذا أداء الأمانة، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز، وغير ذلك.

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup>: «الإيمان بضع وسبعون شعبة<sup>(٣)</sup>، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وهذه الشعب المذكورة في القرآن والسنة في مواضع متفرقة، (منها) ما هو من قول القلب وعمله، (ومنها) ما هو من قول اللسان، (ومنها) ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله، وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيماناً في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية.

وروى سعيد بن منصور<sup>(٤)</sup> عن عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن

(١) البخاري (٨/٨٤ - ٨٥ رقم ٤٣٦٨)، ومسلم (١/٤٦ رقم ١٧).

(٢) البخاري (١/٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/٦٣ رقم ٣٥).

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٦٧٦)، والترمذي رقم (٢٦١٧)، والنسائي (٨/١١٠)، وابن ماجه رقم (٥٧)، وأحمد في «المسند» (٢/٤٤٥) كلهم من حديث أبي هريرة. (٣) الشعب بضم الشين هي القطعة. والمراد منها في الحديث: الخصلة أو الجزء، أي إن الإيمان ذو خصال متعددة. وقد لخصها الحافظ ابن حجر وأوردتها في «الفتح» (١/٥٢ - ٥٣). وقد صنف العلماء في تعيين هذه الشعب كتباً كثيرة.

(منها): «المنهاج» لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني الحلبي المتوفى سنة (٤٠٣هـ).

ثم هذا حذوه وزاد عليه ورثه الإمام أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة (٤٥٨هـ).

ثم اختصره أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن القزويني، المتوفى سنة (٦٩٩هـ).

(٤) في «سننه» (٢/٥٤٤ رقم ١٨٠) بسند رجاله ثقات، إلا أن فيه الأعمش مدلس ولم يصرح بالسماع هنا.

مسعودٍ فذكرنا أصحابَ محمدٍ ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدُ الله: إن أمرَ محمدٍ ﷺ كان بيناً لمن رآه، والذي لا إلهَ غيره ما آمنَ أحدٌ قطُ إيماناً أفضلَ من إيمانٍ بالغيب، ثم قرأ: ﴿الْمَرْ ۝۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ - إلى قوله - الْمُفْلِحُونَ ﴿البقرة: ١ - ٥﴾، والآيات والأحاديثُ في هذا الباب يطول ذكرُها، وإنما أشرنا إلى طرفٍ منها يدلُّ على ما وراءه، وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلفُ الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إن الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وإن الأعمالَ كُلَّها داخلَةٌ في مسمى الإيمان.

وحكى الشافعي<sup>(١)</sup> على ذلك إجماعُ الصحابة والتابعين ومَن بعدهم ممن أدركهم. وأنكر السلف على من أخرج الأعمالَ عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً مُحدثاً ممن سُمِّي لنا سعيدُ بنُ جبير، وميمونُ بنُ مُهران، وقتادة، وأيوبُ السُّخْتياني، والنَّخعي، والزُّهري، وإبراهيمُ، ويحيى بنُ أبي كثير، والثوري، والأوزاعي، وعمرُ بنُ عبد العزيز وغيرهم.

قال الثوري: هو رأيٌ مُحدثٌ، أدركنا الناسَ على غيره. وقال الأوزاعي: كان من مضي من السلف لا يفرقون بين العملِ والإيمان<sup>(٢)</sup>.

وكتبَ عمرُ بنُ عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعدُ، فإن الإيمانَ فرائضٌ وشرائعٌ فمن استكملها استكملَ الإيمانَ، ومن لم يستكملها لم يستكملَ الإيمانَ<sup>(٣)</sup>.

= وللحديث شاهد عند سعيد بن منصور رقم (١٨١) فهو به حسن لغيره. قلت: وأخرج حديث عبد الله بن مسعود ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٣٤ - ٣٥ رقم ٦٦)، والحاكم في «المستدرک» (٢/٢٦٠).

وأحمد بن منيع كما في «المطالب العالیة» (٣/٦٩ رقم ٢٨٩٩)، وابن منده في «الإيمان» (٢/٣٧١ رقم ٢٠٩).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) قال ابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص ١٩٤ رقم ٢٢٣): «وقد نقل الطبري عن الإمام الشافعي أنه حكى الإجماع على ذلك، كما حكاه غيره من الأئمة».

(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً (١/٤٥).

ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/٤٩)، وفي «الإيمان» رقم (١٣٥) بسند صحيح.

وهذا المعنى هو الذي أراد البخاري إثباته في كتاب الإيمان<sup>(١)</sup>، وعليه بَوَّبَ أبوابه كلها فقال: «بَابُ أُمُورِ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup> و«بَابُ الصَّلَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup> و«بَابُ الزَّكَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٤)</sup>، و«بَابُ الْجِهَادِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٥)</sup> و«بَابُ حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٦)</sup> و«بَابُ الْحَيَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٧)</sup> و«بَابُ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٨)</sup> و«بَابُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٩)</sup> و«بَابُ صَوْمِ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١٠)</sup> و«بَابُ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١١)</sup> و«بَابُ آدَاءِ الْخُمْسِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١٢)</sup> وسائر أبوابه.

وكذلك صنع النسائي في المجتبى<sup>(١٣)</sup>، وبوَّبَ التِّرْمِذِيُّ<sup>(١٤)</sup> على حديث وفد عبد القيس «باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان».

وكلام أئمة الحديث وتراجمهم في كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الردُّ على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الرواندي<sup>(١٥)</sup> ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود

(١) (٤٥/١) رقم الكتاب (٢).

(٢) (٥٠/١) رقم الباب (٣).

(٣) (٩٥/١) رقم الباب (٣٠).

(٤) (١٠٦/١) رقم الباب (٣٤).

(٥) (٩٢/١) رقم الباب (٢٦).

(٦) (٥٨/١) رقم الباب (٨).

(٧) (٧٤/١) رقم الباب (١٦).

(٨) (٩١/١) رقم الباب (٢٥).

(٩) (٩٢/١) رقم الباب (٢٧).

(١٠) (٩٢/١) رقم الباب (٢٨).

(١١) (١٠٨/١) رقم الباب (٣٥).

(١٢) (١٢٩/١) رقم الباب (٤٠).

(١٣) (٩٣/٨ - ١٢٦) رقم الأبواب من ١ - (٣٣).

(١٤) في «السنن» (٨/٥ - ٩) رقم (٢٦١١)، ورقم الباب (٥).

(١٥) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق العالم - الملحد المشهور - من أهل مرو الروذ سكن بغداد، وكان من الفضلاء في عصره، ومن متكلمي المعتزلة، ثم فارقه وصار ملحداً زنديقاً، له نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب، وكان يلزم أهل الإلحاد، فإذا عوتب في ذلك، قال: إنما =

الذين أقرّوا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم.

وقال جهّم بن صَفْوَانَ وأتباعه: هو المعرفةُ بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجه الأرضِ كافرٌ بالكلية إذ لا يجهل الخالق سبحانه أحدٌ. وما أحسنَ ما قاله العلامةُ ابنُ القيمِ رحمه الله في نونيته الكافية الشافية<sup>(١)</sup>:

قالوا: وإقرارُ العبادِ بأنه والناسُ في الإيمانِ شيءٌ واحدٌ فاسألَ أبا جهلٍ وشيعتهِ ومنَ وسلَ اليهودَ وكلَّ أئلفَ مشركٍ واسألَ ثمودَ وعادَ بل سل قبلهم واسألَ أبا الجنِّ اللعينَ أتعرِفَ الـ واسألَ شرارَ الخلقِ أقبحَ أمةٍ واسألَ كذاكَ إمامَ كلِّ معطلٍ هل كان فيهم منكرٌ للخالق فليبشروا ما فيهمو من كافر وقالت المُرَجَّةُ<sup>(٢)</sup> والكراميةُ<sup>(٣)</sup>: الإيمانُ هو الإقرارُ باللسانِ دونَ عقْدِ القلبِ،

- = أريد أن أعرف مذهبهم، ثم إنه كاشف وناظر. وذكر الطبري أنه كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال، وقيل: إنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم، واختلف في زمان وفاته؛ قال ابن خلكان: سنة (٢٤٥هـ) وعمره أربعون سنة. وقال ابن النجار: سنة (٢٩٨هـ)، وفي «كشف الظنون»: سنة (٤٠١هـ). [التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول] لصديق حسن خان (ص ٣٠٣).
- (١) انظر: «شرح القصيدة النونية» المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس (١/٢٨ - ٣٠).
- (٢) المُرَجَّةُ: من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور، وقد احتلت مكاناً واسعاً في أذهان الناس، وفي إهتمام العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم. [انظر «فرق معاصرة للعواجي» (٢/٧٤٣ - ٧٩٢)].
- (٣) تقدم التعريف بها.

فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقَمَ عَلَيْهِ قَبْرَهُ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - إلى قوله - وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿[التوبة: ٨٤ - ٨٥]، وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط، وكذبهم الله عز وجل في دعواهم في غير موضع من القرآن. وقال آخرون: التصديق بالجنان والإقرار باللسان. وهذا القول مُخْرِجٌ لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل، وهو ظاهرُ البطلان.

وذهب الخوارج<sup>(١)</sup> والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعةُ بأسرها فرضاً كانت أو نفلاً، وهذا القولُ مصادمٌ لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان. وكلما يقول<sup>(٢)</sup> له السائل في فريضة: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تَطَّوَعَ شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

وذهب الجبائي<sup>(٤)</sup> وأكثر المعتزلة البضرية إلى أنه الطاعاتُ المفروضةُ من الأفعال والتروكِ دون النوافل. وهذا أيضاً يُدخلُ المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وقال الباقر منهم: العملُ والنطقُ والاعتقادُ. والفرقُ بين هذا وبين قول السلفِ الصالح أن السلفَ لم يجعلوا كلَّ الأعمال شرطاً في الصحة، بل جعلوا

(١) الخوارج: فرقة خرجت على علي رضي الله عنه، ويلقب الخوارج بالحرورية والنواصب والمارقة والشرارة والبغاة، وهم الذين يكفرون أصحاب الكبار، ويقولون أنهم مخلدون في النار، ووجوب الخروج على أئمة الجور، وهم يكفرون عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١٣٢/٢)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ١٥٠)، و«المقالات» (٨٦/١)، و«فرق معاصرة» للعواجي (٦٣/١ - ١٢٣).

(٢) كذا في الأصل والأولى: (قال).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٦/١ رقم ٤٦)، ومسلم (٤٠/١ - ٤١ رقم ١١).

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة «الجبائية»، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له «تفسير» حافل مطول، ردّ عليه الأشعري. ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة.

[«الأعلام للزركلي» (٢٥٦/٦)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/٢٥٥) - ٢٥٦].

كثيراً منها شرطاً في الكمال كما قال عمرُ بنُ عبد العزيز<sup>(١)</sup> فيها: من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. والمعتزلة جعلوها كلها شرطاً في الصحة، والله أعلم.

(والحالة الثانية) أن يُطلق الإيمان مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريلَ هذا وما في معناه، وكما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النساء: ٥٧] في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبي ﷺ في دعاء الجنابة: «اللَّهُمَّ من أحييته منا فأخيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»<sup>(٢)</sup>، وذلك أن الأعمالَ بالجوارح، وإنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت، فلا يبقى غيرُ قول القلبِ وعمله.

وكحديث أنسٍ عند أحمد<sup>(٣)</sup> عن النبي ﷺ قال: «الإسلامُ علانيةٌ، والإيمانُ في القلب».

والحاصلُ أنه إذا أُفرد كلٌّ من الإسلام والإيمان بالذكر، فلا فرق بينهما حينئذ، بل كلٌّ منهما على انفراده يشمل الدينَ كلَّهُ، وإن فُرق بين الاسمين كان الفرقُ بينهما بما في هذا الحديثِ الجليل، والمجموعُ مع الإحسانِ هو الدين كما سمى النبي ﷺ ذلك كلَّهُ ديناً، وبهذا يحصلُ الجمعُ بين هذا الحديثِ وبين الأحاديثِ التي فيها تفسيرُ الإيمانِ بالإسلام، والإسلامِ بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهلُ العلم.

(١) تقدم تخريج الأثر قريباً.

(٢) وهو حديث صحيح.

أخرجه أحمد (٣٦٨/٢)، والترمذي (٣٤٣/٣ رقم ١٠٢٤)، وأبو داود (٥٣٩/٣) رقم (٣٢٠١)، وابن ماجه (٤٨٠/١) رقم (١٤٩٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٨٠)، وابن حبان رقم (٧٥٦ - موارد)، والحاكم (٣٥٨/١) من طرق. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٣) في «المسند» (١٣٤/٣ - ١٣٥).

قلت: وأخرجه البزار رقم (٢٠ - كشف)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٠١/٥ - ٣٠٢) رقم (٢٩٢٣/١٦٨) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٢/١) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى بتمامه، والبزار مختصراً، ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان، وأبو داود الطيالسي، وأبو حاتم، وابن معين، وضعفه آخرون» اهـ. وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

قال ابنُ رجبٍ<sup>(١)</sup> رحمه الله: «وأما وجهُ الجمعِ بين هذه التُّصوص وبين حديثِ سؤالِ جبريلَ عليه السَّلام عن الإسلامِ والإيمانِ، وتفريقِ النبيِّ ﷺ بينهما وإدخاله الأعمالَ في مُسمَى الإسلامِ دون الإيمانِ فإنه يتضح بتقرير أصلِ، وهو أن مِنَ الأسماءِ ما يكونُ شاملاً لمسمّياتٍ متعدّدة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرِن ذلك الاسمُ بغيره صار دالاً على بعض تلك المسمّياتِ، والاسمُ المقروءُ به دالاً على باقيها، وهذا كاسمِ الفقيرِ والمسكينِ، فإذا أُفرد أحدهما دخل فيه كلُّ مَنْ هو محتاجٌ، فإذا قُرِن أحدهما بالآخر دلَّ أحدُ الاسمين على بعض أنواعِ ذوي الحاجاتِ والآخرُ على باقيها، فهكذا اسمُ الإسلامِ والإيمانِ إذا أُفرد أحدهما دخل فيه الآخرُ، ودلَّ بانفراده على ما يدلُّ عليه الآخرُ بانفراده، فإذا قُرِن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفراده ودلَّ الآخرُ على الباقي».

قال: «وقد صرَّح بهذا المعنى جماعةٌ من الأئمةِ، قال أبو بكرٍ الإسماعيليُّ<sup>(٢)</sup> في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثيرٌ من أهلِ السنة والجماعةِ إن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والإسلامُ فعلٌ ما فرض الله تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كلُّ اسمٍ على حدِّته مضموماً إلى الآخرِ، فقليلُ المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردَيْن أريد بأحدهما معنى لم يُرد به الآخرُ. وإذا ذُكر أحدُ الاسمين شمل الكلَّ وعمَّهم. وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابيُّ في كتابه (معالم السنن)<sup>(٣)</sup> وتبعه عليه جماعةٌ من العلماءِ من بعده».

قلت: كلامُ الخطابيِّ الذي أشار إليه ابنُ رجبٍ ذكره النوويُّ في شرح مسلم<sup>(٤)</sup>، قال: قال الإمامُ أبو سليمانَ أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ إبراهيمِ الخطابيِّ البُستيُّ

(١) في كتابه: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» (١/١٠٥ - ١٠٦).

(٢) هو الإمام الحافظ، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي، كان شيخ المحدثين في عصره، له عدة مصنفات منها: «المستخرج على الصحيحين»، توفي سنة (٣٧١هـ).

[انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٦/٢٩٢)].

(٣) (٥/٧١ - مع السنن).

(٤) في (١/١٤٤ - ١٤٥).



الفقيه الأديب الشافعي المحقق رحمه الله تعالى في كتابه (معالم السنن): ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل. واحتج بالآية يعني قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، واحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ فَا وَحَدَّنَا فِيهَا عَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الذاريات].

قال الخطابي: وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم، وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف كتاباً يبلغ عدد أوراقه المئتين.

قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً.

وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها، وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستمسماً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر.

قلت: ما رواه الخطابي عن الزهري أنه قال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، هذا عندي فيه نظر فإنه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى، والزهري إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا، وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف، فإن صح النقل عنه ففي الكلام تصحيف وإسقاط لعل الصواب فيه هكذا: الإسلام الكلمة والإيمان والعمل، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان، وهذا متعين لموافقة قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

والزهري من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعي عنهم رحمهم الله تعالى، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين

كله، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فإنه لا يستقيم إلا على هذا ولا يستقيم على معنى الأول لإهمال الاعتقاد فيه الموجود في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية.

وأما قوله: وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئاً واحداً إلا عند الانفراد وعدم الاقتران، لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام.

وإن أراد أهل البدع فإطلاق التسوية بينهما والاتحاد في كل حال من الأحوال هو رأي المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآيتي الذاريات، وهو احتجاج ضعيف جداً، لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال، والله أعلم.

وقال الخطابي<sup>(١)</sup> رحمه الله أيضاً في قول النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»<sup>(٢)</sup>: في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكُلِّها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها، ويدل عليه قوله ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»<sup>(٣)</sup>. وفيه إثبات التفاضل في الإيمان، وتباين المؤمنين في درجاته<sup>(٤)</sup>، انتهى.

وما أحسن ما قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي<sup>(٥)</sup> الشافعي رحمه الله تعالى في تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا الحديث عند قوله عز وجل:

(١) في «معالم السنن» (٥٦/٥ - مع السنن).

(٢) أخرجه البخاري (٥١/١ رقم ٩)، ومسلم (٦٣/١ رقم ٣٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) وهو جزء من الحديث السابق.

(٤) في شرح مسلم للنووي (١٤٥/١).

(٥) في «معالم التنزيل» (٦٢/١).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] الآيات. قال: فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيلاً لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»، انتهى.

وقال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: «هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله».

ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فُسِّر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات، ولهذا فُسِّر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس<sup>(٢)</sup> بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء مطلقاً يقع على الكل منه، ولا يُستعمل في الناقص ظاهراً إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»<sup>(٣)</sup>، واسم الإسلام

(١) في كتابه «صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط» (ص ١٣١ - ١٣٣)، وذكره النووي في شرحه لمسلم (١/١٤٧ - ١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٢٩ رقم ٥٣)، ومسلم (١/٤٦ رقم ١٧/٢٣) من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٥/١١٩ رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (١/٧٦ رقم ٥٧) من حديث أبي هريرة.

يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام. قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً.

قال: وهذا تحقيق وافٍ بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلّط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم، انتهى.

وقال ابن رجب الحنبلي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى في الكلام على هذا الحديث: «وقد تقدّم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسمّاها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة.

فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى، والنصح له ولعباده، وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد، وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجلّ القلوب من ذكر الله عزّ وجلّ، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكّل على الله عزّ وجلّ، وخوف الله سرّاً وعلانية، والرّضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واختيار تلبّ النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، والحبّ في الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها، والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران، ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم».

ثم ساق من النصوص في ذلك جملةً وافيةً، قال: «الرّضا بربوبية الله تعالى

(١) في كتابه «جامع العلوم والحكم» (١/١١٦، ١١٨ - ١١٩).

تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له، والرضا بالإسلام ديناً يتضمن اختياره على سائر الأديان، والرضا بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم والانسراح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، انتهى.

ونصوصُ الكتابِ والسنةِ، وأقوالِ أئمةِ الدينِ - سلفاً وخلفاً - في هذا البابِ يطولُ ذكرُها.

ثم اعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن التزام الدين الذي تكون به النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وبه يفوز العبدُ بالجنة ويُزحزحُ عن النار إنما هو ما كان على الحقيقة في كل ما ذكر في حديث جبريل وما في معناه من الآيات والأحاديث.

وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أُجريت عليه أحكام المسلمين في الدنيا ووُكِّلت سريرته إلى الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، .

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وغيرها من الآيات.

وقال رسولُ الله ﷺ لأسماءَ في قتله الجهنِّي بعد أن قال لا إله إلا الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلتُ: يا رسولَ الله إنما قالها خوفاً من السلاح؟ قال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلمَ أقالها أم لا؟» الحديثُ بطوله في الصحيحين<sup>(١)</sup>، من طرقٍ بالفاظ، وفي بعضها<sup>(٢)</sup>: فقال: يا رسولَ الله استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة».

(١) البخاري (٥١٧/٧ رقم ٤٢٦٩) و(١٢/١٩١ - ١٩٢ رقم ٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦/١ - ٩٧ رقم ٩٦).

(٢) مسلم (٩٧/١ - ٩٨ رقم ٩٧).

ولما أن استأذنه عمرُ رضي الله عنه في قتل الرجل الذي انتقد عليه حكمه رضي الله عنه في قسمة الذُهَيْبَةَ، قال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي»<sup>(١)</sup>، وقال له خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه فيه: يا رسولَ الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لعله أن يكون يصلي». قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إني لم أُؤمَر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم». الحديث في الصحيحين<sup>(٢)</sup> أيضاً من طرق بألفاظ.

وفي صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلُّوا صلَّاتنا واستقبلوا قبَلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ».

وفي رواية عن أنس نفسه وله حكمُ المرفوع<sup>(٤)</sup> - بل قد رفعه النسائي<sup>(٥)</sup> كما سيأتي -: «من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبَلتنا وصلَّى صلَّاتنا وأكلَ ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم».

ورواه أبو داود<sup>(٦)</sup> في الجهاد بلفظ: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبَلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلُّوا صلَّاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرَّمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين».

وفي رواية<sup>(٧)</sup>: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ المشركين» بمعناه، ورواه النسائي<sup>(٨)</sup> في

(١) البخاري (٦٤٨/٨ رقم ٤٩٠٥)، ومسلم (١٩٩٨/٤ - ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٤).

(٢) البخاري رقم (٤٠٩٤ - البغا)، ومسلم (٧٤١/٢ - ٧٤٢ رقم ١٠٦٤).

(٣) (٤٩٧/١ رقم ٣٩٢).

(٤) البخاري (٤٩٧/١ رقم ٣٩٣) موقوفاً.

(٥) في «السنن» (٧٥/٧ رقم ٣٩٦٦) و(٧٦/٧ رقم ٣٩٦٧) وهو حديث صحيح، و(٨/١٠٩ رقم ٥٠٠٣)، وهو حديث صحيح.

(٦) في «السنن» (١٠١/٣ رقم ٢٦٤١) وهو حديث صحيح.

(٧) أخرجه أبو داود (٣/١٠٢ رقم ٢٦٤٢) وهو حديث صحيح.

(٨) في «السنن» (٧٥/٧ - ٧٦ رقم ٣٩٦٦) وهو حديث صحيح.

تحريم الدم، ولفظه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم».

وفيه <sup>(١)</sup> قول ميمون بن سياه لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ما يُحرّم دم المسلم وماله؟ فقال: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلمٌ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين.

ورفعه <sup>(٢)</sup> في كتاب الإيمان عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم»، ورواه الترمذي أيضاً <sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة <sup>(٤)</sup> وعبد الله بن عمر <sup>(٥)</sup> ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عزّ وجلّ».

وفي موطأ مالك <sup>(٦)</sup> ومسنّد أحمد <sup>(٧)</sup> بسند جيد: عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار: «أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس فسارّه

(١) أي سنن النسائي (٧/٧٦ رقم ٣٩٦٨) موقوفاً.

(٢) أي النسائي في «السنن» (٨/١٠٩ رقم ٥٠٠٣) وهو حديث صحيح.

(٣) في «السنن» (٥/٤ رقم ٢٦٠٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

قلت: وأخرجه البخاري مرفوعاً (١/٤٩٦ رقم ٣٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٣/٢٦٢ رقم ١٣٩٩)، ومسلم (١/٥٢ رقم ٢١).

(٥) أخرجه البخاري (١/٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/٥٣ رقم ٢٢).

(٦) (١/١٧١ رقم ٨٤).

وقال الزرقاني في شرحه للموطأ (١/٣٥٠): «أرسله جميع رواة الموطأ إلا روح بن عبادة فرواه عن مالك موصولاً فقال: عن رجل من الأنصار، ورواه الليث وابن أخي الزهري عن الزهري، مثل رواية روح عن مالك سواء، ورواه صالح بن كيسان وأبو أويس عن الزهري عن عطاء عن عبيد الله عن عبد الله بن عدي الأنصاري فسمى الرجل المبهم، ذكره ابن عبد البر وأسند هذه الطرق كلها» اهـ.

(٧) في «المسنّد» (٥/٤٣٣) بسند صحيح.

يستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسولُ الله ﷺ فقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟»، فقال الأنصاريُّ: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال رسول الله ﷺ: «أليس يشهد أن محمداً رسولُ الله؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «أليس يصلي؟»، قال: بلى يا رسول الله ولا صلاة له. فقال رسول الله ﷺ: «أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم».

وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية.

وأمر الله رسوله ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسماهم وعلاماتهم، ولم يقتل النبي ﷺ أحداً منهم، وأجرى عليهم في الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك ويقيم الحدود عليهم، غير أنه نُهي عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم، والله أعلم.

### [مرتبة الإحسان]

(والإحسان) هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين في هذا الحديث. والإحسان لغة إجادَةُ العملِ وإتقانه وإخلاصه. وفي الشريعة هو ما فسره النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تك تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>، وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه والنصوص فيه عند ذكره في آخر هذا الفصل.

والمقصود أنه ﷺ فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأقوال والأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسينُ الظاهرِ والباطنِ، ومجموع ذلك هو الدين، والكل من هذه المراتب (مبني على أركان) لا قوام له إلا بقيامها، وستكلم على كل منها إجمالاً وتفصيلاً، ونُحيل ما قُدم بيانه منها على موضعه إن شاء الله.

(١) سيأتي تخريجه قريباً.



## أركان الإسلام الخمسة، وهي على قسمين قولية، وعملية]

(فقد أتى: الإسلام «مبني على  
أولها الركن الأساس الأعظم  
ركن الشهادتين فاثبت واعتصم  
وثانياً إقامة الصلاة  
والرابع الصيام فاسمغ وأتبغ  
خمس» فحقق وادر ما قد نُقلا)  
وهو الصراط المستقيم الأقوم)  
بالعروة الوثقى التي لا تنفصم)  
وثالثاً تادية الزكاة)  
والخامس الحج على من يستطع)

وهذه أركان المرتبة الأولى مرتبة الإسلام، وهي على قسمين: قولية وعملية.  
فالقولية الشهادتان، والعملية الباقي. وهي ثلاثة أقسام: بدنية وهي الصلاة  
والصوم، ومالية وهي الزكاة، وبدنية مالية وهو الحج.

وقول القلب وعمله شرط في ذلك كله كما تقدم. والنصوص في هذه الأمور  
الخمسية كثيرة جداً، وهي على نوعين: قسم شامل لجميعها، وقسم يخص كل  
خصلة منها.

فلنبداً بالقسم الأول ما تيسر منه على حدته، والقسم الثاني مع حل ألفاظ  
المتن إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك حديث جبريل<sup>(١)</sup> السابق ذكره عن الجم الغفير من الصحابة  
والتابعين فمن بعدهم.

ومنها حديث وفد عبد القيس<sup>(٢)</sup> وقد تقدم أيضاً.

ومنها حديث ابن عمر<sup>(٣)</sup> في الصحيحين<sup>(٣)</sup> وغيرهما قال: سمعت  
رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»، فقال له رجل:  
والجهد في سبيل الله؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن. هكذا حدثنا رسول الله ﷺ.

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.

(٣) البخاري (٤٩/١ رقم ٨)، ومسلم (٤٥/١ رقم ١٦).

ومنها حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه عند أحمد<sup>(١)</sup> وغيره قال: قال رسول الله ﷺ:  
 «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام  
 الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»، وإسناده صحيح.

ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ  
 عن شيء، فكان يُعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن  
 نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك  
 تزعم أن الله تعالى أرسلك، قال ﷺ: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال:  
 «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل  
 فيها ما جعل؟ قال: «الله»، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه  
 الجبال أله أرسلك؟ قال ﷺ: نعم.

قال: فزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال ﷺ:  
 «صدق». قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك  
 أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال ﷺ: «نعم صدق». قال: فبالذي  
 أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال ﷺ: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت  
 من استطاع إليه سبيلاً، قال ﷺ: «صدق»، قال: ثم ولّى فقال: والذي بعثك  
 بالحق نبياً لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «لئن صدق  
 ليدخلن الجنة»، رواه الجماعة<sup>(٢)</sup> وهذا لفظ أحمد.

(١) في «المسند» (٣٦٣/٤) و (٣٦٤/٤).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٦٣)، وفي «الصغير» (٨/٢) بسند صحيح.  
 وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٦٨) ورقم (٢٣٦٤) وأبو يعلى في «المسند» (١٣/  
 ٤٩٠ رقم ٧٥٠٣/٢) بسند ضعيف.  
 وأورده الهيثمي في «المجمع» (٤٧/١): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»  
 و «الصغير»، وإسناد أحمد صحيح اهـ.  
 ويشهد له من حديث ابن عمر المتقدم.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) البخاري (١٤٨/١ - ١٤٩ رقم ٦٣) ومسلم (٤١/١ - ٤٢ رقم ١٢) وأبو داود (٣٢٦/١)  
 رقم (٤٨٦) والنسائي (١٢٢/٤ - ١٢٣ رقم ٢٠٩٢) وابن ماجه (٤٤٩/١) رقم (١٤٠٢)  
 وأحمد في المسند (١٦٨/٣).

وفي رواية<sup>(١)</sup> قال: «آمنتُ بما جئتُ به، وأنا رسولُ مَنْ ورائي من قومي»، قال: «وأنا ضمامُ بنُ ثعلبةَ أخو بني سعدِ بنِ بكرٍ».

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> وغيرهما عن طلحةَ بنِ عبيدِ الله: «أن أعرابياً جاء إلى رسولِ الله ﷺ نائراً الرأسِ فقال: يا رسولَ الله أخبرني ماذا فرضَ اللهُ عليَّ من الصلاة؟ فقال: «الصلواتِ الخمسَ، إلا أن تطوَّعَ شيئاً»، فقال: أخبرني ما فرضَ اللهُ عليَّ من الصيام، فقال: «شهرَ رمضانَ، إلا أن تطوَّعَ شيئاً»، فقال: أخبرني بما فرضَ اللهُ عليَّ من الزكاة، قال: فأخبره رسولُ الله ﷺ بشرائعِ الإسلام. قال: والذي أكرمك لا أتطوَّعُ شيئاً ولا أنقص مما فرضَ اللهُ عليَّ شيئاً. فقال رسولُ الله ﷺ: «أفلح إن صدق. أو دخل الجنة إن صدق»، هذا لفظُ البخاري في كتاب الصوم.

وله<sup>(٣)</sup> عن أبي أيوبَ رضي الله عنه: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: ماله ماله». وقال النبي ﷺ: «أرَبُ ماله، تعبدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصلُّ الرحمَ»، ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> وغيره.

ولهما<sup>(٥)</sup> عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: ذلني على عمل إذا عملته دخلتُ الجنة، قال: تعبدُ اللهَ لا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبةَ، وتؤدي الزكاةَ المفروضةَ، وتصومُ رمضانَ». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظرَ إلى رجل من أهل الجنة فلينظرَ إلى هذا».

وفي حديث ابنِ المُتفقِ رضي الله عنه في وفادته على رسولِ الله ﷺ قال: «قلتُ ثنتانِ أسألكَ عنهما: ما يُنجيني من النار، وما يدخلني الجنة؟ قال: فنظر رسولُ الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسه ثم أقبل عليَّ بوجهه قال: «لئن كنتَ أوجزتُ في المسألة

(١) عند البخاري (١٤٨/١) رقم (٦٣).

(٢) البخاري (١٠٢/٤) رقم (١٨٩١)، ومسلم (٤٠/١ - ٤١) رقم (١١).

(٣) أي للبخاري: (٢٦١/٣) رقم (١٣٩٦).

(٤) في صحيحه (٤٢/١ - ٤٣) رقم (١٣).

(٥) البخاري (٢٦١/٣) رقم (١٣٩٧)، ومسلم (٤٤/١) رقم (١٤).

لقد أعظمت وأطولت، فاعقل عني إذا: اعبد الله لا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة المكتوبة، وأد الزكاة المفروضة، وضم رمضان، وما تحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم، وما تكره أن يأتي إليك الناس فذر الناس منه»، رواه أحمد<sup>(١)</sup>.

وفي رواية<sup>(٢)</sup>: «لئن كنت قصرت في الخطبة لقد أبلغت في المسألة، اتق الله لا تشرك بالله شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان».

ولعل ابن المنتفق هذا هو الرجل المبهم في رواية أبي أيوب المتقدمة في الصحيح، فإن في مسلم أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ أو بزمامها، وفي آخرها قول النبي ﷺ: «دع الناقة» بعد أن علمه. وابن المنتفق قال: فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ: «خل سبيل الراحلة».

وفي الرواية الأخرى: «خل طريق الركاب»، فيشبه أن يكون هو صاحب القصة، وقد حفظ الصوم والحج زيادة على ما في حديث أبي أيوب، ورجاله رجال الصحيح<sup>(٣)</sup>، وهو السائل أعلم بجواب النبي ﷺ وأوعى له وأحفظ له وأضبط من غيره، والله أعلم.

وعن رباعي بن حراش عن رجل من بني عامر رضي الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: أليج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرجني إليه فإنه لا يحسن الاستئذان، فقولي له فليقل: السلام عليكم، أَدْخُل؟ قال: فسمعتُه يقول ذلك فقلت: السلام عليكم أَدْخُل؟ قال: فأذن لي، أو قال: فدخلت فقلت: بَمِ أْتَيْتَنَا بِهِ، قال: «لم آتكم إلا بخير، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له. قال شعبة: وأحسبه قال: وحده لا شريك له، وأن تدعوا اللات والعزى، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحبوا البيت، وأن تأخذوا من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم».

(١) في المسند (٣٨٣/٦) بسند حسن.

المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الشكري ثقة حديثه عند مسلم. وأبوه ليس بالمشهور، وإنما انفرد ابنه بالرواية عنه.

(٢) لأحمد في المسند (٣٨٣/٣ - ٣٨٤) بسند حسن وهو كسابقه.

(٣) انظر كلام الحافظ ابن حجر في: «فتح الباري» (٣/٢٦٣ - ٢٦٤) عن هذه المسألة.

قال فقال: فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه؟ قال: «قد علمني الله عز وجل خيراً، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. رواه أحمد<sup>(١)</sup> ورجاله ثقات أئمة، وروى أبو داود<sup>(٢)</sup> طرفاً منه.

وعن السدوسي بن الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبأيه، فاشترط عليّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤديّ الزكاة، وأن أحجّ حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله. فقلت: يا رسول الله، أما اثنان فوالله ما أطيعهما: الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أن من وليّ الدبر فقد باء بغضب من الله؛ فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة، فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذود، هن رسل أهلي وحمولتهم. قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال: «فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذأ؟»، قال: قلت: يا رسول الله أنا أبأبعك، قال: فبايعت عليهن كلهن<sup>(٣)</sup>.

وعن زياد بن نعيم الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع فرضهن الله في الإسلام، فمن جاء بثلاث لم يُغنين عنه شيئاً حتى يأتي بهن جميعاً: الصلاة، والزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت». رواه أحمد مرسل<sup>(٤)</sup> في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لا يخفى.

(١) في المسند (٣٦٨/٥ - ٣٦٩) وإسناده صحيح.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢/١ - ٤٣) وقال: «عند أبي داود طرف منه، وقد رواه أحمد ورجاله كلهم ثقات أئمة» اهـ.

قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٠٨٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦٦١) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣١٦) بسند صحيح.

(٢) في السنن (٣٦٩/٥) رقم (٥١٧٧) وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٤/٢) رقم (١٢٣٣) وفي «الأوسط» رقم (١١٢٦) وأحمد في «المسند» (٢٢٤/٥).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢/١) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»... ورجال أحمد موثقون».

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٧٩/٢ - ٨٠) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٤) في «المسند» (٢٠٠/٤ - ٢٠١) بإسناد حسن. لأجل ابن لهيعة.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كأن هذا راكب إياكم يريد». قال: فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «من أين أقبلت؟»، قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال: «فأين تريد؟». قال: أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فقد أصبته»، قال: يا رسول الله علمني ما الإيمان؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت». قال: قد أقررت، قال: ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جردان فهو يهوى بعيره وهو الرجل فوق على هامته فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليّ بالرجل». فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعدها فقالا: يا رسول الله قبض الرجل. قال: فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما رأيكما إعراضي عن الرجل، فإني رأيت ملكين يمدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا والله من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَكِنْ يَلْسَنُوا لِحَمْلِهِمْ يظُنُّ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «دونكم أحاكم»، قال: فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. الحديث رواه أحمد<sup>(١)</sup>، وفي إسناده أبو جناب<sup>(٢)</sup>، مختلف فيه، والمتمن صحيح. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية.

= قلت: وأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/٣٤٠ رقم ١٨١١) وقال: «أخرجه ابن منده وأبو نعيم، وقال ابن منده: ذكره ابن أبي خيثمة في الصحابة وهو تابعي قاله أبو سعيد بن يونس» اهـ. وأورده ابن حجر في «الإصابة» (٢/٤٨٦) وقال: «تفرد به ابن لهيعة، وزياد بن نعيم الذي روى عنه الإفريقي تابعي باتفاق» اهـ. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/٣٨٤) بعد أن ذكر هذا الحديث: «رواه أحمد، وهو مرسل».

وخلاصة القول أن الحديث مرسل.

(١) في المسند (٤/٣٥٩) بسند ضعيف.

(٢) قال ابن حجر في «التقريب» رقم (٧٥٣٧): «ضعفوه لكثرة تدليس» وقد عنعن في هذا الحديث.

## [الركن الأول: الشهادتان]

(أولها) أو أول هذه الأركان (الركن الأساس الأعظم). الركن في اللغة: الجانب الأقوى، وهو بحسب ما يُطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك، فمن الأركان ما لا يتم البناء إلا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به.

وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركاناً ودعائم لقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، فشبهه بالبنیان المركب على خمس دعائم. وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية، ولهذا قلنا (الأساس) الذي لا يقوم البناء إلا عليه، ولا يمكن إلا به ولا يحصل بدونه. (الأعظم) هذه الصيغة مُشعرة بتعظيم بقية الأركان، وإنما هذا أعظمها، فإنها كلها تابعة له، ولا يدخل العبد في شيء من الشريعة إلا به.

(وهو الصراط) الطريق الواضح المستقيم) الذي لا اعوجاج فيه ولا غبار عليه بل هو معتدل جليّ نير. «الأقوم» أي الأعدل، من سلكه أوصله إلى جنات النعيم، ومن انحرف عنه هوى في قعر الجحيم. فإن من لم يثبت عليه في الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة.

وذلك الركن المشار إليه هو (ركن الشهادتين) هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، أي الركن الذي هو الشهادتان، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما، إما بجحود لما دلّنا عليه أو باستكبار عما استلزمناه، ولهذا لم يدع الرسول ﷺ إلى شيء قبلهما، ولم يقبل الله تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئاً دونهما، فبالشهادة الأولى يُعرف المعبود وما يجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبده وبأي طريق يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يعبد؟

ففي الشهادة الأولى توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وفي الشهادة الثانية توحيد الطريق الذي لا يوصل إلى الله تعالى إلا

= وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/٣١٩ رقم ٢٣٢٩) وفيه أبو اليقظان قال ابن معين: ليس بثقة، وأبو حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي.

منه، ولا يقبل ديناً ممن ابتغى غيره ورغب عنه، فإن عبادة الله تعالى التي خلق الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هي أمرٌ جامعٌ لكل ما يُحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولاً وعملاً، ومعرفةٌ محابته تعالى ومرضايته لا تحصل إلا من طريق الشرع الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قدمنا في النوع الثاني من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضهما، وبسطنا الكلام هناك، وحررنا من الأدلة ما يُغني عن الإعادة هنا.

(فأثبت) أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار، والفوزَ بالجنة، على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلي، ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين، فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فالناجي حينئذٍ واحدٌ من ألف<sup>(١)</sup>، فاغتنم أن تكون من تلك الآحاد، واحذر أن تغترَّ بجموع الضلالة فتكونَ من حطب جهنم وبئس المهاد.

(واعتصم) أي استمسك (بالعروة) أي بالعقد الأوثق في الدين، والسبب الموصول إلى رب العالمين (الوثقى) تأنيث الأوثق (التي لا تنفصم) أي لا تنقطع، وقد تقدّم في الكلام على لا إله إلا الله أنها هي العروة الوثقى، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيَّعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وتقدّم أن شهادة أن محمداً رسولُ الله ﷺ والإيمان به هو شرط في الإيمان بالله، وما كان من شرط في الشهادة الأولى فهو شرط في الثانية.

### [الركن الثاني: الصلاة]

(وثانياً) من الأركان الخمسة (إقامة الصلاة) بجميع حقوقها ولوازمها. (وثالثاً) تأدية الزكاة) إعطاؤها على الوجه المشروع، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١١/٣٨٨ رقم ٦٥٣٠) ومسلم (١/٢٠١ رقم ٢٢٢) من حديث أبي سعيد.



وتقديمها بعده على غيرهما في غير موضع من القرآن أمراً وخبراً، قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وفي حديث معاذ بن جبل<sup>(١)</sup> رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وفي رواية<sup>(٢)</sup>: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم» الحديث. ولندكر طرفاً من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسر من نصوص الزكاة، والله المستعان.

### [فضل الصلاة]

اعلم هداانا الله وإياك أن الصلاة قد اشتملت على جُلِّ أنواع العبادَةِ: من الاعتقاد بالقلب، والانقياد، والإخلاص، والمحبة، والخشوع، والخضوع، والمشاهدة، والمراقبة، والإقبال على الله عز وجل، وإسلام الوجه له والصدود إليه، والأطراح بين يديه.

(١) أخرجه البخاري (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٥) و (٣/٣٥٧ رقم ١٤٩٦) و (١٣/٣٤٧ رقم ٧٣٧٢)، ومسلم (١/٥٠ - ٥١ رقم ٢٩، ١٩/٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٣٢٢ رقم ١٤٥٨)، ومسلم (١/٥١ رقم ١٩/٣١).

وعلى أقوال اللسانِ وأعماله من الشهادتين، وتلاوة القرآن، والتسبيح،  
والتحميد، والتقديس، والتمجيد، والتهليل، والتكبير، والأدعية، والتعوذ،  
والاستغفار، والاستغاثة، والاستعانة، والافتقار إلى الله تعالى، والثناء عليه،  
والاعتذار من الذنب إليه، والإقرار بالنعم له، وسائر أنواع الذكر.

وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع  
وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل - منها الطهارة الحسية من  
الأحداث والأنجاس الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر  
الأرجاس - وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطأ إلى المساجد وانتظار الصلاة  
بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات.

ولهذا قال النبي ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>، ولاشتمالها على  
معاني الإيمان، سمّاها الله إيماناً في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾  
[البقرة: ١٤٣].

وهي ثانية أركان الإسلام في الفرضية، فإنها فرضت في ليلة المعراج بعد  
عشر من البعثة لم يدع الرسول ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيد الذي هو الركن  
الأول، وفرضت خمسين، ثم خففها الله عز وجل إلى خمس كما تواترت  
النصوص بذلك في الصحيحين<sup>(٢)</sup> وغيرهما.

وهي ثانية في الذكر، فما ذكرت شرائع الإسلام في آية من الآيات أو حديث  
من السنة إلا وبُدى بها بعد التوحيد قبل غيرها، كما في الآيات السابقة، وكما في  
حديث جبريل<sup>(٣)</sup>، وحديث: «بني الإسلام»<sup>(٤)</sup>، وحديث وفد عبد القيس<sup>(٥)</sup>، وحديث

(١) وهو حديث صحيح.

أخرجه أحمد (١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥) والنسائي (٦١/٧ - ٦٢ - رقم ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠) والحاكم (١٦٠/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. كلهم من حديث أنس.

(٢) البخاري (٢٠١/٧ - ٢٠٢ رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (١٤٩/١ - ١٥١ رقم ١٦٤).

(٣) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٤) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٥) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

معاذ بن جبل<sup>(١)</sup>، وحديث: «أمرت أن أقاتل الناس»<sup>(٢)</sup>، وغيرها مما لا يحصى.

وهي ثانية في آيات الأمر بالجهاد وفي آيات وعيد الكفار كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، وقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ (٤٦) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) [المرسلات].

وهي ثانية في مدح المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) [المؤمنون].

وفي ذم الكفار بتركها كما في قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ (٣١) [الانشقاق]، وقوله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) [القيامة].

وكذا في ذم المنافقين بعدم اهتمامهم لها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وهي ثانية في حساب العبد يوم القيامة كما في قوله ﷺ: «أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته، فإن تُقبلت منه تُقبل منه سائر عمله، وإن رُدَّت عليه رُدَّت عليه سائر عمله»<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله: «أول ما يُسأل عنه العبد» أي بعد التوحيد.

وهي ثانية فيما يُذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ [المدثر] الآيات.

(١) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٢) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٣) وهو حديث صحيح.

أخرجه أحمد (٧٢/٥، ٣٧٧) والترمذي (٢٦٩/٢) والترمذي (٤١٣) والنسائي (٢٣٢/١) رقم (٤٦٥) والحاكم (٢٦٣/١). كلهم من حديث أبي هريرة.

قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد رُوِيَ هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة.

قلت: وله شاهد من حديث تميم الداري عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٢)، وابن ماجه رقم (١٤٢٦).

والنصوص في شأنها كثيرة لا تُحصى وهي متنوعة.

(فمنها): ما فيه الأمرُ بها كقوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُخَفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَى اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وما في معناها.

(ومنها): ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة، وكقوله ﷺ لمعاذ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرُوءُهُ سَنَامُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.  
(ومنها): في ثواب أهلها كقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴿١٦٦﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [المؤمنون].  
(ومنها): ما فيه ذكر نجاتهم من النار كقوله ﷺ في عصاة الموحدين: «فيعرفونهم بأثار السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرّم اللّه على النار أن تأكل أثر السجود»<sup>(٢)</sup>.

(١) وهو حديث صحيح بطرقه.

أخرجه أحمد (٢٣١/٥) والترمذي (١١/٥ - ١٢ رقم ٢٦١٦) وابن ماجه (١٣١٤/٢) رقم ٣٩٧٣) والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٣٩٩/٨) وعبد الرزاق رقم (٢٠٣٠٣) وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١ و ٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠/٩) وهناد بن السري في الزهد رقم (١٠٩٠) والطيالسي في المسند رقم (٥٦٠) والحاكم (٤١٢/٢ - ٤١٣) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٢٠٠ و ٢٩١ و ٢٩٤ و ٣٠٤ و ٣٠٥).

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: وإسناده حسن. لكن أعلىه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١٣٥/٢): فقال بعد أن حكى تصحيح الترمذي: «وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين»:

(أحدهما): لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ.

(والثاني): رواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسله.

قلت: رواية شهر المرسله أخرجها أحمد (٢٤٨/٥): مختصراً.

وقد وصلها أحمد (٢٣٥/٥، ٢٣٦، ٢٤٥ - ٢٤٦) من طرق عن شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل به مختصراً ومطولاً.

وشهر ضعيف لسوء حفظه.

وانظر ما قاله المحدث الألباني في: «إرواء الغليل» رقم (٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٩/١٣) رقم (٧٤٣٧)، ومسلم (١٦٣/١) رقم (١٨٢).

(ومنها): ما فيه عقابُ تاركِها كقوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون]، وقوله تعالى: ﴿فَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةً أَبْصَارُهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم].

(ومنها): ما فيه تكفيرُ تاركِها ونفيُ الإيمان عنه وإلحاقه بإبليس، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠].  
فإنه لو كان مضيعُ الصلاة مؤمناً لم يُشترط في توبته الإيمان، وقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

فعلتُ أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وفي صحيح مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله - وفي رواية: يا ويلى - أمر ابنُ آدمُ بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار».

وفيه<sup>(٢)</sup> عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، ورواه الترمذي<sup>(٣)</sup> وقال: حسنٌ صحيح.

وله<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي

(١) (١/٨٧ رقم ١٣٣/٨١).

(٢) أي في صحيح مسلم (١/٨٨ رقم ١٣٤/٨٢).

(٣) في السنن (٥/١٣ رقم ٢٦١٨ و ٢٦١٩ و ٢٦٢٠).

قلت: وأخرجه أبو داود (٥/٥٨ رقم ٤٦٧٨) وابن ماجه (١/٣٤٢ رقم ١٠٧٨) وهو حديث صحيح.

(٤) أي للترمذي في «السنن» (٥/١٣ - ١٤ رقم ٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قلت: وأخرجه أحمد (٥/٣٤٦) والنسائي (١/٢٣١) وابن ماجه (١/٣٤٢ رقم ١٠٧٩) =

بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»، قال<sup>(١)</sup> وفي الباب عن أنس رضي الله عنه وابن عباس، هذا حديث حسن صحيح غريب.

وروى الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> والنسائي<sup>(٣)</sup> عن مَحَجْنِ بْنِ الْأَدْرَعِ الْأَسْلَمِيِّ: «أنه كان في مجلس مع النبي صلى الله عليه وسلم فأذِنَ بالصلاة فقام النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع ومِخْجَنٌ فِي مَجْلِسِهِ، فقال له: «ما منعك أن تصلي، ألسنت برجل مسلم؟»، قال: بلى، ولكنني صليت في أهلي، فقال له: «إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت»، فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. ولفظ الحديث يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصليت.

وفي المسند<sup>(٤)</sup> والأربع السنن<sup>(٥)</sup> عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال له: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»، ورجال أحمد ثقات.

= والحاكم في «المستدرک» (٦/١ - ٧) وقال: صحيح الإسناد لا نعرف له علة بوجه من الوجوه.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٤٦).

وهو حديث صحيح.

(١) أي الترمذي في «السنن» (١٤/٥).

(٢) في «المسند» (٣٣٨/٤) و (٣١/٥).

(٣) في «السنن» (١١٢/٢) رقم (٨٥٧).

قلت: وأخرجه مالك في «الموطأ» (١٣٢/١) رقم (٨) والحاكم (٢٤٤/١).

وهو حديث صحيح.

(٤) للإمام أحمد (١٦٩/٢) بسند صحيح.

(٥) لم يخرج له أحد من أهل السنن.

قلت: وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (١٤٦٧) والدارمي (٣٠١/٢) والطحاوي في

«مشكل الآثار» (٢٢٩/٤) بسند صحيح.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٢/١) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و

«الأوسط» (رقم ١٧٦٧)، ورجال أحمد ثقات» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وتقدم الحديث الذي في البخاري<sup>(١)</sup> في صفة المسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا». الحديث.

### [حكم تارك الصلاة]

وقال الترمذي<sup>(٢)</sup> رحمه الله: حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريري عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

(ومنها): ما فيه التصريحُ بوجوب قتلِهِ، كقوله عز وجل: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٥]. الآية.

وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»<sup>(٣)</sup>، الحديث. وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وأما الآثار في شأنها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تُحصَرَ، وقد أجمعوا على قتله كفراً إذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها وإن قال: لا إله إلا الله، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة، ولدخوله في التارك لدينه المفارق للجماعة، وفي قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»<sup>(٤)</sup>، فإنه بذلك يكون مرتداً مبدلاً لدينه.

(١) جزء من حديث تقدّم تخريجه.

(٢) في «السنن» (١٤/٥ رقم ٢٦٢٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٢٧ رقم التعليق ٢): «ورواه الحاكم (٧/١) عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة به. وصححه الحاكم. وقال الذهبي: وإسناده صحيح.

وأقول: فيه قيس بن أنيف، ولم أعرفه. وقد خالفه الترمذي فلم يذكر فيه أبا هريرة، وهو الصواب. لكنني وجدت له شاهداً عن جابر بن عبد الله بنحوه.

أخرجه ابن نصر في «الصلاة» رقم (٩٤٧) بسند حسن.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٢٦٧ رقم ٦٩٢٢).

وأما إن كان تركه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسلٍ وتهاونٍ كما هو حال كثيرٍ من الناس، فقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم<sup>(١)</sup>: «قد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يُكْفَرُ بل يُفْسَقُ ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المُحصَن ولكنه يُقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يُكْفَرُ وهو مروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهي إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله، وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهوية، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يُكْفَرُ ولا يُقتل بل يُعزَّر ويحبس حتى يصلّي».

قال رحمه الله<sup>(٢)</sup>: «واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»<sup>(٣)</sup>، وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يُقتل، بحديث: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث»<sup>(٤)</sup> وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وبقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا يلقي الله عبداً بهما غير شاك فيحجب عن الجنة، وحرّم الله على النار من قال: لا إله إلا الله»<sup>(٥)</sup> وغير ذلك، واحتجوا على قتله

(١) (٧٠/٢).

قلت: وانظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (١٦/٣ - ٢١).

(٢) أي النووي في «شرح مسلم» (٧٠/٢ - ٧١).

(٣) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠١/١٢) رقم (٦٨٧٨) ومسلم (٣/١٣٠٢) رقم (١٦٧٦) من حديث

عبد الله بن مسعود.

(٥) تقدّم تخريجها جميعاً.



بقوله تعالى: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم»<sup>(١)</sup>، وتأولوا قوله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»<sup>(٢)</sup> على أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل، أو أنه محمولٌ على المُستجَلِّ، أو على أنه قد يُؤول به إلى الكفر، أو أن فعله فعلُ الكفارِ والله أعلم. انتهى كلامه.

وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتب الدين وفي بيان أنواع الكفر ما فيه غنية، وذكرنا هنا ما تيسر من النصوص في شأنها.

وقد بسط الحافظ ابن القيم في «كتاب الصلاة»<sup>(٣)</sup> الكلام على هذه المسألة بسطاً حسناً فليراجع.

### [الركن الثالث: الزكاة]

وأما الزكاة فقد ذكرها في نصوص الصلاة وغيرها، ومما يتعلق بها على انفرادها قوله عز وجل: ﴿حُدِّثُوا أَنبَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَا كَفَرُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ عَذَابَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقوله في صفات عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، وقوله تعالى في ذم الكفار ووعيدهم: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧]. وإن كانت هذه الآية في زكاة النفوس فهي عامة لزكاة الأموال أيضاً وقد فسرت بها، وقوله تعالى في وعيد مانعيها مطلقاً: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْرَمُونَ بِهَا جَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

(١) تقدّم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٢) تقدّم تخريجه.

(٣) عنوانه: «كتاب الصلاة وحكم تاركها، وسياق صلاة النبي ﷺ من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها» ط: دار الكتب العلمية. بدون تحقيق.

يوضح ذلك الحديث الذي فيه: «ما أديتَ زكاته فليس بكنز»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح<sup>(٣)</sup> من نار<sup>(٤)</sup> فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وزدها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر<sup>(٥)</sup> أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطأه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أو لاهأ أعيد عليه أخراها<sup>(٦)</sup>»

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٢١٢/٢ - ٢١٣ رقم ١٥٦٤) من حديث أم سلمة بسند ضعيف منقطع. وفيه ثلاث علل:

الأولى: الانقطاع بين عطاء ابن أبي رباح وأم سلمة فإنه لم يسمع منها.

الثانية: ثابت بن عجلان مختلف فيه.

الثالثة: عتاب بن بشير صدوق يخطئ.

وللحديث شاهد أخرجه ابن ماجه (١/٥٦٩ رقم ١٧٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٨٢) وعلقه البخاري (٣/٢٧١ رقم ١٤٠٤) مختصراً وإسناده صحيح وهو وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع، لأنه في أسباب النزول، وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ. وانظر: «الصحيح» رقم (٥٥٩).

وخلاصة القول أن حديث أم سلمة حسن بهذا الشاهد، والله أعلم.

(٢) في صحيح مسلم (٢/٦٨٠ رقم ٩٨٧).

قلت: وأخرجه البخاري (٣/٢٦٧ رقم ١٤٠٢) بلفظ مقارب.

(٣) الصفائح جمع صفيحة. وهي العريضة من حديد وغيره. أي جعلت كنوزه الذهبية والفضية كأمثال الألواح.

(٤) يعني: كأنها نار، لا أنها نار.

(٥) بطح: قال جماعة: معناه ألقى على وجهه. وقال القاضي: ليس من شرط البطح كونه على الوجه، وإنما في اللغة بمعنى البسط والمد. فقد يكون على وجهه، وقد يكون على ظهره، ومنه سميت بطحاء مكة لانبساطها.

والقاع: المستوي الواسع من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه. قال الهروي: وجمعه قيعة وقيعان. مثل جار وجيرة وجيران.

والقرقر: المستوي أيضاً من الأرض، الواسع.

(٦) هكذا في جميع الأصول، في هذا الموضع.

في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء<sup>(١)</sup>، تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها، كلما مرّ عليه أولها رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» الحديث بطوله.

وفيه<sup>(٢)</sup> عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطأه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها، ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن» الحديث.

وفيه<sup>(٣)</sup>: «ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاتها إلا تحوّل يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفِرّ منه ويقال هذا مالك الذي كنت تبخل به. فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل».

وفيه<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبتة لها يعار، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت، ولا يأتي أحدكم ببعير يحملها على رقبتة له رغاء فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت»<sup>(٥)</sup>.

= قال القاضي عياض: قالوا: هو تغيير وتصحيف. وصوابه ما جاء بعده في الحديث الآخر كلما رد عليه أخراها، رد عليه أولها. وبهذا يتنظم الكلام.

(١) قال أهل اللغة:

العقصاء: ملتوية القرنين.

والجلحاء: التي لا قرن لها.

والعضباء: التي انكسر قرنها الداخل.

(٢)(٣) أي في صحيح مسلم (٢/٦٥٨ رقم ٩٨٨/٢٨).

(٤) أي في الصحيح. أخرجه البخاري (٣/٢٦٧ رقم ١٤٠٢).

(٥) وهذا وإن كان وارداً في الغلول وعقوبته فهو في الزكاة كذلك إذ الجزء من جنس العمل، والله تعالى أعلم. اه مؤلفه.

وفيه<sup>(١)</sup> عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان<sup>(٢)</sup> يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه<sup>(٣)</sup> - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية.

وفيه<sup>(٤)</sup> عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله تعالى طهرة للأموال.

وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخاري رحمه الله تعالى<sup>(٥)</sup>: «باب البيعة على إيتاء الزكاة<sup>(٦)</sup>: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

حدثنا ابن نُمير قال: حدثني أبي قال: حدثنا إسماعيل عن قيس قال: قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم<sup>(٧)</sup>، والنصوص فيها كثيرة، وفي ما تقدم كفاية.

(١) أي في صحيح البخاري (٢٣٠/٨ رقم ٤٥٦٥) و (٢٦٨/٣ رقم ١٤٠٣).

(٢) الزبيبتان: هما الزبدتان في الشدقين. وقيل: هما النكتان السوداوان فوق عينيه. والشجاع: بالضم والكسر: الحية.

(٣) اللهزيمة: عظم ناتئ في اللحي، تحت الأذن، وهما لهزمتان.

(٤) أي في صحيح البخاري (٢٧١/٣ رقم ١٤٠٤) بسند صحيح.

وقد أخرجه ابن ماجه (٥٦٩/١ رقم ١٧٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٢/٤) موقوفاً.

قلت: وإن كان موقوفاً على ابن عمر فهو في حكم المرفوع لأنه في أسباب النزول. وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ.

وقد تقدم الكلام عليه.

(٥) في صحيحه (٢٦٧/٣).

(٦) الباب رقم (٢).

(٧) أخرجه البخاري (٢٦٧/٣ رقم ١٤٠١)، ومسلم (٧٥/١ رقم ٥٦).

## [حكم مانع الزكاة]

وأما حكم تاركها فإن كان منعه إنكاراً لوجوبها فكافرٌ بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة، وإن كان مُقِرّاً بوجوبها وكانوا جماعةً ولهم شوكةٌ قاتلهم الإمام لما في الصحيحين<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما تُوفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمرُ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل؟» فقال: واللَّه لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، ولو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، قال عمرُ رضي الله عنه: فواللَّه ما هو إلا أن شرح اللهُ صدرَ أبي بكرٍ رضي الله عنه فعرفتُ أنه الحقُّ، - وفي رواية -: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ، فعلمتُ أنه الحقُّ.

وهذا الذي استنبطه أبو بكر رضي الله عنه مصرَّحٌ به في منطوق الأحاديثِ الصحيحةِ المرفوعةِ، كحديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ويُقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»، وغيره من الأحاديثِ.

وقد جهَّز النبي صلى الله عليه وسلم خالدَ بنَ الوليدِ لغزوِ بني المُصطلقِ حين بلغه أنهم منعوا الزكاةَ ولم يكن ما بلغه عنهم حقاً، فروى الإمامُ أحمدُ<sup>(٣)</sup> قال: حدثنا محمدُ بنُ سابقٍ حدثنا عيسى بنُ دينارٍ حدثني أبي أنه سمع الحارثَ بنَ ضرارٍ الخُزاعيَّ رضي الله عنه يقول: قدِمْتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلامِ فدخلتُ فيه وأقررتُ به،

(١) البخاري (٢٥٠/١٣) رقم ٧٢٨٤، (٧٢٨٥)، ومسلم (٥١/١) رقم ٢٠/٣٢.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥/١) رقم ٢٥)، ومسلم (٥٣/١) رقم ٢٢).

(٣) في «المسند» (٢٧٩/٤) بسند حسن.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٨/٧ - ١٠٩) وقال: «رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: الحارث بن سرار بدل ضرار، ورجال أحمد ثقات» اهـ.

قلت: ترجم الحافظ في «الإصابة» رقم (١٤٣٢): الحارث بن أبي ضرار.

ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها وقلت: يا رسول الله أرجع إليهم فأدعهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعتُ زكاته، وتُرسِلُ إليَّ يا رسول الله رسولاً إبانَ كذا وكذا ليأتيني كما جمعتُ من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبانَ الذي أراد رسولُ الله ﷺ أن يبعثَ إليه احتبس عليه الرسولُ ولم يأتِه، وظن الحارثُ أنه قد حدث فيه سَخَطَةٌ من الله تعالى ورسولِ الله ﷺ، فدعا بسَرَواتِ قومه فقال لهم: إن رسولَ الله ﷺ كان وقتَ لي وقتاً يُرسلُ إليَّ رسولَه ليقبِضَ ما كان عندي من الزكاة وليس من رسولِ الله ﷺ الخُلْفُ، ولا أرى حنِسَ رسوله إلا من سَخَطَ، فانطلقوا نأتِي رسولَ الله ﷺ.

وبعث رسولُ الله ﷺ الوليدَ بنَ عُقبَةَ إلى الحارث ليقبِضَ ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سارَ الوليدُ حتى بلغ بعضَ الطريقِ فرِقَ - أي خاف - فرجع حتى أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله إن الحارثَ قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسولُ الله ﷺ وبعثَ البعثَ إلى الحارث ﷺ وأقبلَ الحارثُ بأصحابه حتى إذا استقبلَ البعثَ وفصلَ عن المدينة لِقَبِهِم الحارثُ فقالوا: هذا الحارثُ فلما غشِيَهُم قال لهم: إلى من بُعثتم؟ قالوا إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسولَ الله ﷺ بعثَ إليك الوليدَ بنَ عُقبَةَ فزعم أنك منعتَه الزكاة وأردتَ قتله. قال ﷺ: لا والذي بعثَ محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتةً ولا أتاني. فلما دخل الحارثُ على رسولِ الله ﷺ قال: منعتَ الزكاة وأردتَ قتلَ رسولي، قال ﷺ: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ولا أقبلتُ إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله ﷺ، خشيتُ أن يكون كانت سَخَطَةٌ من الله تعالى ورسوله ﷺ. قال: فنزلت الحُجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ - إلى قوله - ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٦ - ٨].

ورواه ابنُ أبي حاتمٍ<sup>(١)</sup> عن المنذرِ بنِ شاذانِ التمارِ عن محمدِ بنِ سابقٍ به. ورواه الطبرانيُّ<sup>(٢)</sup> من حديثِ محمدِ بنِ سابقٍ به.

(١) في تفسيره (١٠/٣٣٠٣ رقم ١٨٦٠٨).

وانظر تفسير ابن كثير: (٤/٢٢٣ - ٢٢٤).

(٢) في «المعجم الكبير» (٣/٢٧٤ - ٢٧٥ رقم ٣٣٩٥).

وقال ابن جرير<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريبٍ حدثنا جعفرُ بنُ عونٍ عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة رضي الله عنها قالت: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجالاً في صدقات بني المصطلق بعد الواقعة، فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فصفاوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجالاً مصدقاً فسررنا بذلك وقرت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله. فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال فأذن، بصلاة العصر، قالت: ونزلت: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَلِيدِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وروى ابن جرير<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزؤهم إذ أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، وإن النبي صلى الله عليه وآله استغشهم وهم بهم، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] إلى آخر الآية.

وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق

(١) في «جامع البيان» (١٣/١٣٣ ج/٢٦/١٢٣).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/٤٠١ رقم ٩٦٠).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١١) وقال: فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٢) في «جامع البيان» (١٣/١٢٣ - ١٢٤) وسنده مسلسل بالضعفاء. من محمد بن سعد العوفي إلى جده عطية.

لِيُصَدِّقَهُمْ فَتَلَقُوهُ بِالصَّدَقَةِ، فَرَجَعَ فَقَالَ: إِنْ بَنِي الْمِصْطَلِقِ قَدْ جَمَعْتَ لَكَ لِقَاتِكَ - زَادَ قِتَادَةً: وَإِنَّهُمْ قَدْ ارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ - فَبَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ﷺ إِلَيْهِمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَثَبَّتَ وَلَا يَعْجَلَ، فَاَنْطَلِقَ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلاً فَبَعَثَ عِيُونَهُ، فَلَمَّا جَاءُوا أَخْبَرُوا خَالِدًا ﷺ أَنَّهُمْ مَسْتَمْسِكُونَ بِالْإِسْلَامِ وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ ﷺ فَرَأَى الَّذِي يُعْجِبُهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ أَه. مِنْ تَفْسِيرِ الْحَجَرَاتِ لِابْنِ كَثِيرٍ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وذكر البغوي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه: فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوههم، فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه وقال له: «انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار». ففعل ذلك خالد. ووافقهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي قَتِينَا﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

وأما إن كان الممتنع عن أداء الزكاة فرداً من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً، واختلفوا من ذلك في مسائل:

(١) (٢٢٤/٤).

قلت: بعث خالد بن الوليد إليهم بعد الوليد. قال ابن حجر في «الكافي الشافي» (ص ١٥٦ رقم ١٩): «لم أره».

قلت: بل روي بالفاظ عدة: فروي من حديث الحسن، رواه عبد بن حميد. وعن قتادة رواه أيضاً عبد بن حميد وابن جرير، وعبد الرزاق في تفسيره. انظر: «الدر المنثور» (٨٨/٦). ط: دار المعرفة.

(٢) في تفسيره «معالم التنزيل» (٣٣٩/٧) وقد تقدم الكلام على هذه الرواية.



(إحداها): هل يكفر أم لا؟ فقال عبدُ الله بنُ شقيق<sup>(١)</sup>: كان أصحابُ رسولهِ ﷺ لا يَرونَ من الأعمال شيئاً تركهُ كفرٌ إلا الصلاةَ.

وقال أبو أيوب السخّثياني<sup>(٢)</sup>: ترك الصلاة كفرٌ لا يُختلف فيه، وذهب إلى هذا القول جماعةٌ من السلف والخلف وهو قولُ ابنِ المبارك<sup>(٣)</sup> وأحمد<sup>(٤)</sup> وإسحاق<sup>(٥)</sup>.

وحكى إسحاقُ عليها إجماعَ أهلِ العلم، وقال محمدُ بنُ نصرِ المَرزُوي<sup>(٦)</sup>: «وهو قولُ جمهورِ أهلِ الحديث». وذهب طائفةٌ منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمسِ عمداً أنه كافرٌ.

ورُوي ذلك عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ونافعٍ والحكم وهو روايةٌ عن الإمام أحمد اختارها طائفةٌ من أصحابه، وهو قولُ ابنِ حبيبٍ من المالكية، وخرَجَ الدارقطني<sup>(٧)</sup>

(١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٧٨). وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: ورُوي عن حماد بن زيد عن أيوب قال: ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه. (صحيح الترغيب: ٢٣٠/١).

(٣) أخرجه المروزي: في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٧٩) عنه بلفظ: «من أترك صلاةً حتى يفوت وقتها متعمداً من غير عذرٍ كفر». وانظر رقم (٩٨٠) و (٩٨١).

(٤) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٨٢) عنه بلفظ: «لا يكفر أحد بذنب إلا تارك الصلاة عمداً، فإن ترك صلاةً إلى أن يدخل وقت صلاةٍ أخرى يستتاب ثلاثاً.

(٥) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٩٠) عنه بلفظ: «قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر».

وزاد ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/٢٢٦): عن إسحاق: «إذا أبى من قضائها وقال: لا أصلي. ثم قال: وذهب الوقت إلى أن ذكر من قوله: إلى طلوع الفجر.

(٦) في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» (٢/٩٣٦)،

(٧) في «السنن» (٢/٢٨٢ رقم ٢٠٦).

قلت: وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/٨٢ ج ٧/٨٢) كلاهما من طريق إبراهيم ابن مسلم الهجري عن ابن عياض، عن أبي هريرة، به. وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف.

\* وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/٨٢ ج ٧/٨٢ - ٨٣) أيضاً من طريق معاوية بن يحيى، =

وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله، الحج في كل عام؟ قال: «لو قلت نعم لوجب عليكم، وما أطقتموه، ولو تركتموه لكفرتم».

وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم، وعن أحمد رواية: أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج.

وقال ابن عيينة: المُرَجَّة سَمَوَا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس سواء، لأن ركوب المحارم متعمداً من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر.

وبيان ذلك في أمر إبليس وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

### المسألة الثانية هل يُقتل أم لا؟

(الأول): هو المشهور عن أحمد رحمه الله تعالى، ويستدل له بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup> الحديث.

و (الثاني): لا يقتل، وهو قول مالك والشافعي ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى.

وروى اللالكائي<sup>(٢)</sup> من طريق مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمر بن

= عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة، به. بسند ضعيف. \* وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/٧/٨٣) من حديث ابن عباس بسند ضعيف جداً.

قلت: ويغني عنه ما أخرجه مسلم (٢/٩٧٥ رقم ٤١٢/١٣٣٧) من طريق الربيع ابن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال: «لو قلت: نعم، لوجب ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

ومن أجل المزيد انظر: «تفسير أبي السعود» (٢/٥٥٢ - ٥٥٣) بتحقيقنا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/٩٢٧ رقم ١٥٧٦) بسند ضعيف.

مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ.

مالك التُّكْرِيّ عن أبي الجوزاء عن ابن عباس - ولا أَحْسَبُهُ إلا رفعه - قال: (عُرِيَ الإسلام وقواعدُ الدينِ ثلاثةً عليهن أُسس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصومُ رمضانَ، من ترك منهن واحدةً فهو بها كافرٌ ويَجِلُّ دمه، وتجده كثيرَ المالِ لم يَحْجَّ فلا يزال بذلك كافرًا ولا يَجِلُّ بذلك دمه، وتجده كثيرَ المالِ ولا يَزْكِي فلا يزال بذلك كافرًا ولا يَجِلُّ دمه).

ورواه قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عن حمادِ بن زيدٍ مرفوعاً مختصراً، ورواه سعيدُ بنُ زيدٍ أخو حمادِ بنِ زيدٍ عن عمرِ بنِ مالكٍ بهذا الإسنادِ مرفوعاً، وقال: «من ترك منهن واحدةً - يعني الثلاثِ الأوّلَ - فهو بالله كافرٌ ولا يُقبلُ منه صَرْفٌ ولا عدلٌ وقد حلَّ دمه وماله. ولم يذكر ما بعده».

**المسألة الثالثة لمن لم يرَ قتله، هل ينكَلُ بأخذ شيءٍ من ماله مع الزكاة؟**

وقد رُوي في خصوص المسألة حديثُ بهزِ بنِ حكيمٍ عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «في كل سائمةٍ إبلٌ في أربعين بنتُ لبون، لا تُفْرَقُ إبلٌ عن حسابها، من أعطاها مؤتجراً بها فله أجرُها، ومن منعها فإننا أخذوها وشطَر ماله، عزمةٌ من عزمات ربنا، لا يَجِلُّ لآلِ محمدٍ منها شيءٌ». رواه أحمدُ<sup>(١)</sup> وأبو داودَ<sup>(٢)</sup> والنسائيُّ<sup>(٣)</sup> وصححها الحاكم<sup>(٤)</sup>، وعلق الشافعيُّ

= وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٤٧ - ٤٨) وقال: «رواه أبو يعلى - (٤/٢٣٦) رقم (٢٣٤٩/٢٢) - بتمامه. ورواه الطبراني في «الكبير» - (١٢/١٧٤) رقم (١٢٨٠٠) - بلفظ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة وصيام رمضان، فمن ترك واحدة منهن كان كافرًا حلال الدم». فاقصر على ثلاثة منها، ولم يذكر كلام ابن عباس الموقوف. وإسناده حسن» اهـ.

(١) في «المسند» (٥/٢، ٤).

(٢) في «السنن» (٢/٢٣٣) رقم (١٥٧٥).

(٣) في «السنن» (٥/٢٥) رقم (٢٤٤٩).

(٤) في «المستدرک» (١/٣٩٨).

وقال الذهبي: صحيح. وقال النووي في «المجموع» (٥/٣٠٤): «... وإسناده إلى بهز بن حكيم صحيح على شرط البخاري ومسلم. وأما بهز فاختلفوا فيه، فقال يحيى بن معين: «ثقة»، وسئل أيضاً عنه عن أبيه عن جده: «ثقة»، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به؛ وقال أبو زرعة: «صالح»، وقال الحاكم: ثقة...» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن.

القول به على ثبوته فإنه قال: لا يُثبت أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به<sup>(١)</sup>.

### [الركن الرابع: الصوم]

(والرابعُ الصيامُ فاسْمَعِ واتَّبِعِ والخامسُ الحجُّ على من يستطيع)  
الركنُ الرابعُ من أركان الإسلامِ الصيامُ، وهو في اللغة الإمساكُ، وفي الشرع إمساكٌ مخصوصٌ في زمنٍ مخصوصٍ بشرائطٍ مخصوصة.

وكان فرضُ صومِ شهرِ رمضانَ في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿البقرة: ١٨٣ - ١٨٥﴾ إلى آخر الآيات. وقد تقدمت الأحاديث فيه.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفرٌ من جحد فرضيته، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه.

وقوله: (فاسمع واتبع) مأخوذٌ من قول الله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

### [الركن الخامس: الحج]

الركنُ الخامسُ الحجُّ، وهو (على من يستطيع) أي من استطاع إليه سبيلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقد ذكر الله تعالى تفصيله في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٦ - ٢٠٣].

(١) قال النووي في «المجموع» (٣٠٤/٥): «وروى البيهقي - في «السنن الكبرى» (١٠٥/٤) - عن الشافعي رحمه الله أنه قال: هذا الحديث لا يثبت أهل العلم بالحديث، ولو ثبت قلنا به... اهـ. قلت: وقد تقدم أن الحديث حسن وقد قال به الشافعي في القديم وبه قال أحمد.

واشترأطه الاستطاعة فيه مصرّح به في الآية وفي حديث جبريل وفي حديث معاذ وغيرها، وفسره النبي ﷺ بالزاد والراحلة<sup>(١)</sup>.

ولا خلاف في كفر من جحد فرضيته. وتقدم الخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته.

وروي الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تعبجّلوا الحجّ - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له».

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الضعيف الذي أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٢١٦ رقم ٦، ٧) والحاكم (٤٤٢/١) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) عن أنس في قوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا» [آل عمران: ٩٧]. قال: قيل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة». قال البيهقي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً - يعني الذي خرّجه الدارقطني وسنده صحيح إلى الحسن - ولا أرى الموصول إلا وهماً. وقد أخرجه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً، إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة: عبد الله بن واقد الحراني، وقد قال أبو حاتم: «هو منكر الحديث»... وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً. والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة. انظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢١ رقم ٩٥٤) و«إرواء الغليل» (٤/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٩٨٨).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) في «المسند» (١/ ٣١٤) ثم أخرجه أحمد من طرق أخرى (١/ ٢١٤، ٣٢٣، ٣٥٥). قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٢ رقم ٢٨٨٣) والخطيب في «الموضح» (١/ ٢٣٢) و (٤/ ٣٤٠). بلفظ: «من أراد الحجّ فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة».

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣ رقم ١٠١٥/٢٨٨٣): «هذا إسناد فيه مقال: إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملاي، قال فيه ابن عدي: عامة ما يرويه يخالف الثقات، وقال النسائي: ضعيف. وقال الجوزجاني: مفتر زائف».

قلت: لم ينفرد إسماعيل بإخراجه من هذا الوجه، فقد رواه أبو داود في سننه من طريق الحسن بن عمرو عن مهران بن عمران عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «من أراد الحجّ فليتعجل...» اهـ.

قلت: وهو حديث حسن بالشاهد الآتي.

ورواه أبو داود<sup>(١)</sup> بلفظ: «من أراد الحجَّ فليتعجل».

وروى الإسماعيلي<sup>(٢)</sup> بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحجَّ فلم يحجَّ فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً.

وروى سعيد بن منصور في سننه<sup>(٣)</sup> عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحجَّ فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين.  
وروى البغوي<sup>(٤)</sup> عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من لم تحبسه حاجة

(١) في «السنن» (٢/٣٥٠ رقم ١٧٣٢).

قلت: وأخرجه الدارمي (٢/٢٨) والدولابي في «الكنى» (٢/١٢) والحاكم (١/٤٤٨) وأحمد (١/٢٢٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/٣٣٩ - ٣٤٠).

قال الحاكم: «صحيح الإسناد. وأبو صفوان لا يعرف بالجرح» ووافقه الذهبي.

وقال الألباني في «الإرواء» (٤/١٦٩): «وهذا منهما عجب، ولا سيما الذهبي، فقد أورده في «الميزان قاتلاً»: «لا يدرى من هو. قال أبو زرعة: لا أعرفه إلا في هذا الحديث». وقال الحافظ في «التقريب»: مجهول.

لكن لعله يتقوى حديثه بالطريق الأولى فيرتقي إلى درجة الحسن... اهـ.  
قلت: وخلاصة القول أن الحديث حسن بالشاهد السابق.

(٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/٣٩٤ - ٣٩٥)، وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح إلى عمر.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/٣٩٥) بسند منقطع لأن الحسن لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٤) في تفسيره «معالم التنزيل» (٢/٧٤) بسند ضعيف.

ليث بن أبي سليم ضعيف. وشريك القاضي سيء الحفظ.

قلت: وأخرج حديث أبي أمامة ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢٠٩ - ٢١٠) من طريقين:

الطريق الأول: عن عمار بن مطر، عن شريك، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد عنه، به.

والطريق الثاني: عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن يزيد بن هارون، عن شريك، عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط، عنه، به.

ثم قال ابن الجوزي: في الطريق الأول: عمار بن مطر، قال العقيلي: يحدث عن الثقات بالمناكير، وقال ابن عدي: متروك الحديث.

وفي الطريق الثاني: المغيرة بن عبد الرحمن: قال يحيى: ليس بشيء. وليث: وقد ضعفه =

ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً.

وروى الإمام أحمد<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس فرض عليكم الحج فحجوا». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرت بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». رواه مسلم<sup>(٢)</sup> بنحو هذا، والله أعلم.

وروى أحمد<sup>(٣)</sup> وأبو داود<sup>(٤)</sup> والنسائي<sup>(٥)</sup> وابن ماجه<sup>(٦)</sup> والحاكم<sup>(٧)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن الله تعالى كتب عليكم الحج. فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فقال: «لو

= ابن عيينة، وتركه يحيى القطان، ويحيى بن معين، وابن مهدي، وأحمد. قلت: وفي الباب من حديث أبي هريرة، وحديث علي بن أبي طالب. وانظر تخريجها في تحقيقنا ل: «فتح القدير» للشوكاني.

وانظر: التلخيص الحبير» (٢/٢٢٢ - ٢٢٣) و«نصب الراية» (٤/٤١٠ - ٤١١). وخلاصة القول أن لهذا الحديث أصلاً، ومحملة على من استحل الترك. وعده في الموضوعات خطأ.

(١) في «المسند» (٢/٥٠٨) بسند صحيح.

(٢) في صحيحه (٢/٩٧٥ رقم ١٣٣٧).

(٣) في «المسند» (١/٢٥٥، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧١).

(٤) في «السنن» (٢/٣٤٤ رقم ١٧٢١).

(٥) في «السنن» (٥/١١١ رقم ٢٦٢٠).

(٦) في «السنن» (٢/٩٦٣ رقم ٢٨٨٦).

(٧) في «المستدرک» (١/٤٤١، ٤٧٠).

قال الحاكم: «هذا إسناد صحيح، وأبو سنان هذا هو الدولي ولم يخرجاه، فإنهما لم يخرجا سفيان بن حسين وهو من الثقات الذين يجمع حديثهم» وقال الذهبي: صحيح.

قلت: أبو سنان اسمه يزيد بن أمية. وهو ثقة. ومنهم من عده في الصحابة.

وله في مسند الطيالسي رقم (٢٦٦٨) وأحمد (١/٢٩٢، ٣٠١، ٣٢٣، ٣٢٥) متابع من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس باختصار. وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

قلتها لوجبث، ولو وجبت لم يعملوا بها، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها. الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

## ذكر أمور تدخل في مسمى الإيمان والإسلام من الأوامر والمناهي والأخبار

[الأدلة عليها من الكتاب]

قال الله عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن شَيْءٍ أَظْلَمَ لِمَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا بُدئَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ءَامَنُوا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا ؕ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي سَبَّوهُ بِهَا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا عَسَلْنَا وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَآ تَبْنِي الْجَهْلِيلِينَ ﴿٥٩﴾ [الفصص].

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣١﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٣٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٣٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٣٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٣٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿١٤١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿١٤٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبَآئِتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُجِرُوا عَلَيْهَا سُومًا وَعُمِيَانًا ﴿١٤٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِن أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ





وَحِينَ الْبَاسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَلِلَّهِ عِنَقَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٢٧ - ٤١].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿الممتحنة: ١﴾﴾ إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿الحجرات: ١﴾﴾ إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿النساء: ٣٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَيْمَنِ وَالْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا

تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّمُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْتُلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَنَّمُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿١٥٦﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفِي وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٥٧﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١٥٨﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١٥٩﴾ وَءَاتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتِيمَ الْإِنْسَانِ وَالسَّبِيلَ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١٦١﴾ وَإِنَّمَا تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ أُنْعَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيَّسُورًا ﴿١٦٢﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿١٦٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٦٤﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خِطَاؤُكُمْ كَبِيرًا ﴿١٦٥﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٦٦﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿١٦٧﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَّسْهُولًا ﴿١٦٨﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٦٩﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مَسْهُولًا ﴿١٧٠﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٧١﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٧٢﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّآخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٧٣﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿١٧٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿١٧٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٧٥﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا

عَاهَدْتُمْ وَلَا نَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [النحل] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَانَاكَمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] الآيتين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، الآيات. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وآيات القرآن في هذا الباب كثيرة وشهيرة لا تخفى، بل القرآن كله في تقرير الدين من فاتحته إلى خاتمته: دعوة وبشارة ونذارة، وأمرًا ونهيًا وخبرًا، كله لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوة إليه، أو بشارة لمن اتبعه برضاء الله والجنة، أو نذارة لمن أبى عنه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، أو أمرًا بشرائعه: أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها، أو نهياً عن نواقضه جميعه أو نواقض شيء منها أو ما يوجب أدنى خلل فيه أو في شيء من شرائعه، أو خبراً عن نصر من جاء به وصدق به، وحفظه وتأيينه في الدنيا، أو خبراً عما أعد الله لهم في الآخرة من الفوز والنعيم، والنجاة من عذاب الجحيم، أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه في الدنيا وما أحله الله بهم من غضبه عاجلاً من الخسف والمسح والقذف وغير ذلك، وما أعدّه لهم في الآخرة من العذاب والعقاب، وما فاتهم وحرموه من الثواب وغير ذلك.

### [الأدلة عليها من السنة]

وأما الأحاديث (فمنها) قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا

(١) أخرجه البخاري (١/٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/٦٣ رقم ٣٥) من حديث أبي هريرة.

تقتلوا أولادكم من إملاق ولا تأتوا بيهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»<sup>(١)</sup>، قال عبادة بن الصامت: فبايعناه على ذلك.

وقوله ﷺ: «من يباعدني على هذه الثلاث الآيات: ﴿قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ لِمَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، الآيات»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ لمعاوية بن حيدة لما قال له: «ما الذي بعثك الله به؟ قال: الإسلام، قلت: وما الإسلام؟ قال: أن تُسلم قلبك لله تعالى، وأن توجه وجهك لله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية<sup>(٤)</sup> قال: «وما آية الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكل المسلم على المسلم حرام».

وقوله ﷺ: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٤/١ رقم ١٨) ومسلم (١٣٣٣/٣ رقم ١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه الحاكم (٣١٨/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وليس كما قالوا: فإن الحديث ضعيف لسببين:

الأول: في سننه محمد بن مسلمة. قال الذهبي في الميزان (٤١/٤): أتى بخبر باطل أنهم به. لكنه توبع.

الثاني: ضعف رواية سفيان بن حسين عن الزهري، فهي علة الحديث. وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٤/٥ - ٥) والنسائي (٤/٥ - ٥ رقم ٢٤٣٦) و (٥/٨٢ - ٨٣ رقم ٢٥٦٨) وابن ماجه (٢/٨٤٨ رقم ٢٥٣٧).

وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٥ - ٥)، والنسائي (٥/٨٢ - ٨٣ رقم ٢٥٦٨).

وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه أحمد (٥/١٨٣) والدارمي (١/٧٥) وابن حبان في صحيحه رقم (٦٨٠) وأبو داود رقم (٣٣٦٠) والترمذي رقم (٢٦٥٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/٣٩) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٩٤) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم =

وقوله ﷺ في جواب: أي المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هُنَا - وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثًا - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ في جواب من قال: أي الإسلام خير؟ قال: «أَنْ تُطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»<sup>(٤)</sup>.

وقوله ﷺ: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»<sup>(٥)</sup>.

---

= (٢٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٢٣٢) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٨٩٠) و (٤٨٩١) من طرق.

وفي الباب من حديث جبير بن مطعم عند الحاكم (١/٨٦، ٨٧) وصححه ووافقه الذهبي. ومن حديث النعمان بن بشير عند الحاكم (١/٨٨) والرامهرمزي رقم (١١). ومن حديث أبي سعيد الخدري عند الرامهرمزي رقم (٥) وأبي نعيم في «الحلية» (٥/١٠٥).

ومن حديث ابن عمر عند الخطيب في الكفاية ص ١٩٠.

ومن حديث معاذ عند أبي نعيم في «الحلية» (٩/٣٠٨).

ومن حديث بشير بن سعد عند الطبراني في الكبير رقم (١٢٢٥).

ومن حديث أبي هريرة عند الخطيب في تاريخه (٤/٣٣٧). وغيرهم.

انظر: «مجمع الزوائد» (١/١٣٨).

(١) أخرجه مسلم (١/٦٥ رقم ٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (١/٥٣ رقم ١٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) أخرجه البخاري (١/٥٥ رقم ١٢) ومسلم (١/٦٥ رقم ٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/٥٥٨ رقم ٢٣١٧) وابن ماجه (٢/١٣١٥ رقم ٣٩٧٦) من حديث

أبي هريرة.

وقوله ﷺ في جواب من سأله: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنْتُ بالله ثم استقم»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «ذاق طعمَ الإيمان من رضيَ بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً - رسولاً»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللُّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبه إلا اللهُ، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه اللهُ منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالديه والناسِ أجمعين»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية<sup>(٥)</sup>: «من أهله وماله».

وفي حديث أبي رزِينٍ<sup>(٦)</sup> قال: قلتُ: يا رسولَ اللُّهِ ما الإيمانُ؟ قال: «أنْ تشهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له وأن محمداً عبدهُ ورسولُهُ، وأن يكونَ اللُّهُ

= قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وأخرجه مالك في الموطأ (٩٠٣/٢) والترمذي (٥٥٨/٤ رقم ٢٣١٨) مرسلًا من حديث علي بن حسين.

قال الترمذي: هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة. وعلي بن حسين لم يُدرِك عليَّ بن أبي طالب.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٦٥/١ رقم ٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٢) أخرجه مسلم (٦٢/١ رقم ٣٤) والترمذي (١٤/٥ رقم ٢٦٢٣) وقال حديث حسن صحيح. من حديث العباس.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠/١ رقم ١٦)، ومسلم (٦٦/١ رقم ٤٣) من حديث أنس.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨/١ رقم ١٥)، ومسلم (٦٧/١ رقم ٤٤) من حديث أنس.

(٥) أخرجه النسائي (١١٥/٨ رقم ٥٠١٤) من حديث أنس.

(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (١١/٤ - ١٢) بسند رجاله ثقات لكنه منقطع.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٣/١ - ٥٤) وقال: «رواه أحمد وفي إسناده سليمان بن موسى. وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه آخرون».

وأخرجه نعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (ص ٣٠ - ٣١ رقم ١٢١) مطولاً بسند رجاله ثقات، ولكنه منقطع. سليمان بن موسى لا نعرف له رواية عن أبي رزِينٍ لقيط العقيلي فيما نعلم.

ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحترق في النار أحب إليك من أن تُشرك بالله شيئاً، وأن تحب غير ذي نسب لا تُحبه إلا الله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمان في اليوم القاطظ»، قلت: يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أنني مؤمن؟ قال: «ما من أمتي - أو قال هذه الأمة - عبد يعمل حسنةً فيعلم أنها حسنة وأن الله مجازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئةً فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا الله إلا وهو مؤمن».

وقوله ﷺ: «من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «صريح الإيمان إذا أسأت أو ظلمت عبدك أو أمتك أو أحداً من الناس صمت أو تصدقت، وإذا أحسنت استبشرت»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله

(١) وهو حديث صحيح.

أخرجه أحمد في المسند (رقم: ١١٤ - شاكر) من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر. وكذلك أخرجه الترمذي من الطريق نفسه (٤/٤٦٥ رقم ٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وكذلك الحاكم: (١/١١٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد أيضاً (رقم: ١٧٧ - شاكر) من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر. وكذلك أخرجه الطيالسي من الطريق نفسه (ص ٧ رقم ٣٢). وأخرجه الحاكم (١/١١٤ - ١١٥) من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن عمر وقال: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي.

وله شاهد من حديث أبي موسى عند الحاكم (١/١٣ - ١٤) ومن حديث أبي أمامة عند الحاكم أيضاً (١/١٤) بأسانيد صحيحة.

وصحح الحديث أحمد شاكر في تحقيقه لرسالة الشافعي (ص ٤٧٣ - ٤٧٥ رقم ١٣١٥) وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذى» (٦/٣٨٥): «فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن» اهـ.

وقال المحدث الألباني في «الصحيحة» (٣/١١٠): «وجملة القول أن الحديث صحيح بمجموع طرقه» اهـ.

(٢) لم أعر عليه بهذا اللفظ.

وقد أخرج مسلم في صحيحه (١/١١٩ رقم ١٣٢/٢٠٩) عن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «وقد وجدتموه؟»، قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان».



ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عمرو بن عبسة «قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: طيبُ الكلام، وإطعامُ الطعام. فقلت: ما الإيمان؟ قال: الصبرُ والسماحة. قلت: أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. قلت: أيُّ الإيمان أفضل؟ قال: خلقٌ حسن»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «ثلاثٌ من فعلهن فقد طعمَ الإيمان: من عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاةً ماله طيبةً بها نفسه في كل عام» الحديث، وفي آخره: «فقال رجلٌ: فما تزكيةُ المرءِ نفسه يا رسولَ الله؟ قال: أن يعلمَ أن اللهَ معه حيثما كان»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨/٣) بسند ضعيف من حديث أبي سعيد الخدري. رشدين ضعيف ويتقوى بالمتابعات، لكن هنا لم يتابع. وكذلك أبو السمح دراج بن سمعان السهمي، أما أبو الهيثم سليمان بن عمرو بن عبيد فهو مقبول. والحديث تفرد به أحمد. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٢/١، ٦٣) ولم يضعفه لأجل رشدين، وأهمل ذكر رشدين. وذكر الخلاف في أبي السمح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٥/٤) بسند حسن لأجل شهر بن حوشب.

(٣) وهو حديث صحيح بطرقه.

أخرجه أحمد (٥٠/٢، ٤٧٢، ٥٣٧) والترمذي (٤٦٦/٣) رقم (١١٦٢) وأبو داود (٦٠/٥) رقم (٤٦٨٢) والحاكم (٣/١) من حديث أبي هريرة.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

قلت: محمد بن عمرو فيه ضعف يسير، وليس هو على شرط مسلم، فقد أخرج له مسلم متابعه. وانظر طرق وشواهد لهذا الحديث في «الصحيحة» رقم (٢٨٤).

(٤) وهو حديث صحيح.

أخرجه أبو داود (٢٣٩/٢ - ٢٤٠ - رقم ١٥٨٢) من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري، قال المنذري في «المختصر» (١٩٨/٢) رقم (١٥٢٠): «أخرجه منقطعاً. وذكره أبو القاسم

البخوي في «معجم الصحابة مسنداً، وذكره أيضاً أبو القاسم الطبراني وغيره مسنداً. وعبد الله بن معاوية هذا، له صحبة، وهو معدود في أهل جَمُص. وقيل: إنه روى عن

النبي ﷺ حديثاً واحداً» اهـ.

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحُمى والسهر»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «المؤمنُ في أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»<sup>(٤)</sup>.

---

= وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩٥/٤ - ٩٦).

وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٠١/١):

وقال: «لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد، تفرد به الزبيدي، ولا نعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١٥٥/٢): «ورواه الطبراني؛ وجود إسناده، وسياقه أتم سنداً ومتناً» اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨/١٠ رقم ٦٠١١)، ومسلم (١٩٩٩/٤ رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٠/٤ رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩/٥ رقم ٢٤٤٦)، ومسلم (١٩٩٩/٤ رقم ٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٤٠/٥) والطبراني في الكبير (١٣١/٦ رقم ٥٧٤٣).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨٧/٨) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سوار بن عمارة الرملي وهو ثقة».

قلت: رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج به، وليس في الإسناد سوار بن عمارة، وإنما هو في سند الأوسط.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٨٧/٨) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

قلت: مصعب بن ثابت: لين الحديث وكان عابداً. «التقريب» رقم (٦٦٨٦)، وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٣٦) وابن المبارك في «الزهد» رقم (٦٩٣).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «المؤمنُ مرآةُ المؤمن، أخو المؤمن، يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: من ذلك يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(٤)</sup>.

وقوله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشيع وجاره جائع»<sup>(٥)</sup>.

(١) وهو حديث حسن.

أخرجه أبو داود (٢١٧/٥ رقم ٤٩١٨) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٣٩) والترمذي (٣٢٥/٤ - ٣٢٦ رقم ١٩٢٩) من حديث أبي هريرة. وابن وهب في «الجامع» رقم (٢٣٧) بإسناد حسن كما قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

وأخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٢١١٤) والبخاري رقم (٣٢٩٧ - كشف) من حديث أنس بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٢٦٤/٧) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن محمد من ولد ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال ابن القطان: الغالب على حديثه الوهم، وبقية رجاله ثقات».

(٢) أخرجه البخاري (٥٦/١ رقم ١٣)، ومسلم (٦٧/١ رقم ٤٥) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥/١٠ رقم ٦٠١٩)، ومسلم (٦٨/١ رقم ٤٧) من حديث أبي شريح العدوي.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٣/١٠ رقم ٦٠١٦) من حديث أبي شريح.

(٥) وهو حديث صحيح بشواهده.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١١٢) والطبراني في الكبير (١٥٤/١٢) رقم (١٢٧٤١) والحاكم (١٦٧/٤) وأبو يعلى في المسند (٩٢/٥ رقم ٢٦٩٩/٣٧٢). وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٦٧/٨) وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى ورجاله ثقات» اهـ.

قلت: في إسناده عبد الله بن المساور وثقه ابن حبان، وجهله ابن المديني وتبعه الذهبي في الميزان، ولكن ابن حجر قال في «التقريب» رقم (٣٦١٢): مقبول.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

وقوله ﷺ: «من أعطى الله، ومنع الله، وأحبَّ الله، وأبغضَ الله، فقد استكمل إيمانه»<sup>(١)</sup>، وسئل ﷺ عن أفضل الإيمانِ فقال: «أن تُحِبَّ الله وتُبغِضَ الله وتُعملَ لسانك في ذكر الله»، فقال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «أن تُحِبَّ للناس ما تحب لنفسك، وتكرهَ لهم ما تكرهَ لنفسك»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية<sup>(٣)</sup>: «وأن تقولَ خيراً أو تصمتَ».

وقوله ﷺ: «لا يستحق العبدُ صريحَ الإيمانِ حتى يُحِبَّ الله ويُبغِضَ الله، فإذا أحبَّ الله وأبغضَ الله فقد استحق الولاية من الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

وقوله ﷺ: «أوثقُ عرى الإيمانِ أن تحبَّ في الله وتُبغِضَ في الله»<sup>(٥)</sup>.

= وله شواهد من حديث أنس، وابن عباس، وعائشة.

وانظر تخريجها في «الصحيحة» رقم (١٤٩).

(١) وهو حديث حسن.

أخرجه أحمد (٤٤٠/٣) والترمذي (٦٧٠/٤) رقم (٢٥٢١) والحاكم (١٦٤/٢) من حديث معاذ بن أنس.

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قلت: فيه عبد الرحيم بن ميمون أبو مرحوم: لم يخرجا له. وسهل بن معاذ لم يرو له مسلم، وروى له البخاري في «الأدب المفرد» فقط.

وانظر الصحيحة (١١٣/١) ط: المكتب الإسلامي.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٧/٥) من حديث معاذ بن جبل بسند حسن. لأجل رشدين بن سعد، وزبان، فيه كلام، إلا أنهم حمدوه وحمدوا ولايته على مصر. وسهل بن معاذ هو ابن أنس وهو ثقة وأبوه صحابي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٧/٥) عن معاذ بن جبل بسند حسن.

وانظر الكلام على الحديث المتقدم.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٣٠/٣) من حديث عمرو بن الجموح بسند ضعيف؛ لضعف رشدين بن سعد، وللانقطاع بين أبي منصور وعمرو بن الجموح، فقد قال البخاري: لم يسمع منه، وهو ثقة.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨٩/١) وقال: «رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف» اهـ.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٨٦/٤) من حديث البراء بن عازب بسند ضعيف لأجل ليث بن أبي سليم.

وأخرجه ابن أبي شيبه في «الإيمان» رقم (١١٠) والطيالسي (٤٨/٢) رقم ٢١١٠ -

وقوله ﷺ لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»، ثم قال له: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فأخذ بلسان نفسه وقال: كُفَّ عليك هذا»<sup>(١)</sup>.

### [شرح حديث شعب الإيمان]

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء في إحصائها من (فتح الباري).

(فتلك خمسة ولإيمان	سنة أركان بلا تُكران)
(إيماننا بالله ذي الجلال	وماله من صفة الكمال)
(وبالملائك الكرام البررة	وكثيره المنزلة المطهرة)
(ورسوله الهداة للأنام	من غير تفريق ولا إيهام)

(فتلك) الأركان المتقدمة التي هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً (خمس) فسّر النبي ﷺ بها الإسلام، فاعلمها واحتفظ بها واعمَلها وعلمها، فسوف تُسأل عنها وتحاسب عليها، فأعدذ للسؤال جواباً، وإياك أن تُخِلَّ بشيء منها فتكون من الظالمين.

= منحة المعبود).

وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١١) عن مجاهد موقوفاً بسند صحيح. وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) وهو حديث صحيح.

أخرجه أحمد في المسند (٢٣١/٥) والترمذي (١١/٥ - ١٢ رقم ٢٦١٦)، وابن ماجه (٢/١٣١٥ رقم ٣٩٧٣) من حديث معاذ.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد تقدم الحديث.

## [أركان الإيمان الستة]

(وللإيمان ستة أركان) فسره بها النبي ﷺ في حديث جبريل<sup>(١)</sup> وغيره (بلا نكران) للنقل ولا تكذيب للخبر، ولا شك في ذلك الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد.

### [الإيمان بالله]

الأول منها: (إيماننا بالله) بالهيته وربوبيته لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه، ولا إله غيره ولا رب سواه، واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولا يُشرك في حكمه أحدًا، ولا ضد له ولا ند ولم يكن له كفواً أحد (ذي الجلال) ذي العظمة والكبرياء، الذي هو أهل أن يُجلَّ فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر ويُوحد فلا يُشرك معه غيره ولا يُوالي إلا هو: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(و) الإيمان بـ (ما له) تعالى (من صفة الكمال) مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرازها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وأن كل ما سَمَى اللَّهُ تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ الكل حق على حقيقته على ما أراد الله وأراد رسوله وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته: ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقد تقدم ما يسره الله من تقرير الكلام في توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة له، فليراجع وبالله التوفيق.

### [الإيمان بالملائكة]

(و) الثاني الإيمان (بالملائكة) الذين هم عباد الله المُكْرَمُونَ، والسَّفَرَةُ بينه تعالى

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (الكرام) خَلْقًا وَخُلُقًا والكرام على الله تعالى (البررة) الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً، المطيعين لله عز وجل وهم عبادٌ من عبادِ اللّهِ عز وجل، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتِ لله عز وجل ولا أولاداً، ولا شركاء معه، ولا أنداداً، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علواً كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٣٦﴾ لَا يَسْئَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ مِنْ خَشِيئَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿١٣٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِيَّتِ إِلٰهٌ مِّنْ دُونِهِ فَإِنَّكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَمَا فَتَكَّرَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمُ يَقُولُونَ ﴿١٤١﴾ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٤٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٤٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٤٥﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٤٦﴾ وَإِنَّا لَحَنُّ الصَّافُونَ ﴿١٤٧﴾ وَإِنَّا لَحَنُّ الْمَسِيحُونَ ﴿١٤٨﴾﴾. [الصفات: ١٥١ - ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٠﴾ أَرِ اتَّخَذَ مِنَّمَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٥١﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنسًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَاتِهِمْ يُسْتَلُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الزخرف: ١٥ - ١٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَيِّحُونَ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَآ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١١﴾ يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثٰنٍ وَثَلَاثٍ وَرَبْعٍ زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَشْفُقُ السَّمَاءَ بِالْعِغَمِ نُوْزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿١٥٠﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحْسِرُونَ وَلَمْ يَسْتَحْدُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ [مريم: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِسْمَانَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. والآيات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرة.

### [أقسام الملائكة وخصائصهم]

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكَّلهم به على أقسام: فمنهم الموكَّل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَعْدَى الْوَعْدَى ﴿١﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَا ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ [النجم].

وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلَّى له على صورته التي خلقت عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق.

ثم رآه ليلة المعراج أيضاً في السماء<sup>(١)</sup>. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين، وبقية الأوقات في صورة رجل، وغالباً في صورة دحية الكلبي<sup>(٢)</sup> ﷺ.

وقال تعالى فيه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: الآيات].

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠٧/٢) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠٧/٢) بإسناد صحيح.



وقال: ﴿حَقٌّ إِذَا فُرِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. تقدم الحديث في معنى الآية.

وفيه قال النبي ﷺ: «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل بأهل السموات كلِّها مر بسماء سألها ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريل عليه السلام: قال الحقُّ وهو العليُّ الكبير»، فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريل. ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل. وهو في الصحيحين<sup>(١)</sup>، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرُ بعضِ الأحاديثِ في بدء الوحي من الفصل الآتي.

ومنهم الموكلُ بالقَطْرِ وتصاريفه إلى حيث أمره اللُّهُ عز وجل، وهو ميكائيلُ عليه السلام، وهو ذو مكانةٍ عليَّةٍ ومنزلةٍ رفيعةٍ وشرفٍ عند ربِّه عزَّ وجل، وله أعوانٌ يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربِّه، ويصرفون الرياحَ والسحابَ كما يشاء اللُّهُ عز وجل، وقد جاء في بعض الآثار: (ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملكٌ يقرؤها في موضعها من الأرض)<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث ابن عباس عند الطبراني<sup>(٣)</sup> أنه ﷺ قال لجبريل: «على أي شيء ميكائيل؟ قال: «على النبات والقطر».

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧/٨ رقم ٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة.

وأخرجه مسلم (١٧٥٠/٤ رقم ٢٢٢٩) من حديث ابن عباس بلفظ: «أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُميَ بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُميَ بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. كُنَّا نقولُ وُلد الليلة رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا تُرمى بها لموتٍ أحدٍ ولا لحياته. ولكن ربُّنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سبَّحَ حملةَ العرش، ثم سبَّحَ أهلَ السماءِ الذين يلونهم حتى يبلغَ التسبيحُ أهلَ هذه السماءِ الدنيا، ثم قال الذين يلون حملةَ العرشِ لحملةَ العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيخبرُ بعضُ أهلِ السماواتِ بعضاً حتى يبلغَ الخيرُ هذِهِ السماءِ الدنيا. فتخطفُ الجرُّ السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويُرْمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرِّقون فيه ويزيدون».

(٢) لم أعثر على قائله ولا من أخرجه.

(٣) في «الكبير» (٣٧٩/١١ رقم ١٢٠٦١).

ولأحمد<sup>(١)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ فقال عليه السلام: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار». عياداً بالله منها.

ومنهم الموكّل بالصُّور، وهو إسرافيل عليه السلام، ينفُخ فيه ثلاث نَفَخاتٍ بأمر ربه عز وجل:

الأولى: نفخة الفزع.

والثانية: نفخة الصّعق.

والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه في موضعه.

ولأحمد<sup>(٢)</sup> والترمذي<sup>(٣)</sup> من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذّن له، قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٩/٩) وقال: «وفيه محمد بن أبي ليلى وقد وثقه جماعة لكنه سيء الحفظ وبقيه رجاله ثقات» اهـ.

قلت: وفيه محمد بن عمران مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان.

(١) في «المسند» (٢٢٤/٣) بسند ضعيف.

(٢) في «المسند» (٧/٣، ٧٣).

(٣) في «السنن» (٤/٦٢٠ رقم ٢٤٣١) وقال: هذا حديث حسن.

قلت: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٩٧) وابن ماجه رقم (٤٢٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٥/٥) و (٧/١٣٠، ٣١٢) من طرق عن أبي سعيد الخدري.

وفيه عطية العوفي، ضعيف، إلا أنه قد تابعه أبو صالح عن أبي سعيد به.

أخرجه ابن حبان (رقم: ٢٥٦٩ - موارد)، والحاكم (٤/٥٥٩).

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند أحمد (١/٣٢٦) والحاكم عن مطرف عن عطية. وكذلك من حديث زيد بن أرقم عند أحمد (٤/٣٧٤).

وأيضاً من حديث البراء عند الخطيب في «تاريخه» (١١/٣٩) وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، قال الحافظ: متروك، وكذبه ابن معين.

وخلاصة القول أن حديث أبي سعيد حسن لغيره، والله أعلم.

في دعائه من صلاة الليل: «اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادة، أنتَ تحكمُ بينَ عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم»<sup>(١)</sup>.

ومنهم الموكَّلُ بقبض الأرواح، وهو ملكُ الموتِ وأعوأته، وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيلَ<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَفْهَرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِلِينَ أَنفُسِهِمْ﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِلِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٨ - ٣٢]، وغيرها من الآيات.

وقد جاء في الأحاديث<sup>(٣)</sup> أن أعوآته يأتون العبدَ بحسبِ عمله، إن كان محسناً ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارية، وإن كان مسيئاً ففي أشنع هيئة وأفظع منظرٍ بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروحَ حتى إذا بلغت الحلقومَ قبضها ملكُ الموتِ فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفانٍ وحنوطٍ يليق بها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَلُقُومَ ﴿٨٧﴾ وَأَنْتُمْ جِينِدٌ تُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨١﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ

(١) أخرجه مسلم (٥٣٤/١) رقم (٧٧٠) من حديث عائشة. وقد تقدم.

(٢) جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل. ولا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسميته بهذا الاسم. [البداية (١/٥٠)].

(٣) (منها): ما أخرجه الحاكم (٣٥٢/١ - ٣٥٣) وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠٤/٢) من حديث أبي هريرة. وهو حديث صحيح. (ومنها) ما أخرجه مسلم رقم (٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة.

مِنَ الْمُفْرِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصِيلَةٌ جَعِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَمِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ [الواقعة].  
سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، نستغفر الله.

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مَنَكَرٌ مِّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِئْتِلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿١٦﴾ لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١٠ - ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

قال ابن عباس<sup>(١)</sup> في الآية الأولى: ﴿لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]: والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه.

وقال مجاهد<sup>(٢)</sup>: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي بدل الرحمن، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام. اهـ.

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (رقم: ٢٠٢١٦ - شاکر) عنه.  
وأورده ابن كثير في تفسيره (٥٢٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (رقم: ٢٠٢٢٤ - شاکر) عنه.  
وأورده ابن كثير في تفسيره (٥٢٢/٢).

(٣) في تفسيره: (١٨٨/٣).

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الصَّافِقَاتُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [ق]. فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

عن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه». فكان علقمة يقول: كم من كلام قد مَنَعْنِيهِ حديث بلال بن الحارث. رواه أحمد<sup>(١)</sup> والترمذي<sup>(٢)</sup> والنسائي<sup>(٣)</sup> وابن ماجه<sup>(٤)</sup>. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وروى البغوي<sup>(٥)</sup> عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب

(١) في «المسند» (٤٦٩/٣).

(٢) في «السنن» (٥٥٩/٤) رقم ٢٣١٩. وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٥٥٥/٢).

(٤) في «السنن» (١٣١٣/٢) رقم ٣٩٦٩.

قلت: وأخرجه مالك (٩٨٥/٢) رقم ٥ وابن حبان (رقم: ١٥٧٦ - موارد) والحاكم (١/٤٥ - ٤٦) والحميدي رقم (٩١١).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً نحوه مختصراً، أخرجه البخاري ومسلم. وخلاصة القول أن حديث بلال بن الحارث صحيح.

(٥) في «معالم التنزيل» (٣٥٩/٧) بسند ضعيف.

قلت: وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٩١/٥) رقم ٧٠٥ والطبراني في «الكبير» (٢١٧/٨ - ٢١٨) رقم ٧٧٦٥ وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٤/٦) كلهم من طريق عروة بن رويم.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٩٠/٥) رقم ٥٠٤٩ والطبراني في «الكبير» (٢٩٥/٨ - ٢٩٦) رقم ٧٩٧١ من طريق جعفر بن الزبير.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢٥/٨) رقم ٧٧٨٧ من طريق ثور بن يزيد كلهم عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٨/١٠) وقال: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال =

الحسناتِ على يمين الرجل، وكاتبُ السيئاتِ على يسار الرجل، وكاتبِ الحسناتِ أميرٌ على كاتبِ السيئاتِ، فإذا عملَ حسنةً كتبها صاحبُ اليمينِ عشراً، وإن عملَ سيئةً قال صاحبُ اليمينِ لصاحبِ الشمالِ: دعه سبعَ ساعاتٍ لعله يسبح أو يستغفر».

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن اللّه تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به». وفي رواية<sup>(٢)</sup>: «ما لم تعمل أو تكلم به».

وفيه<sup>(٣)</sup> عنه رضي الله عنه: قال رسولُ الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بسيئةٍ فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكْتُبها سيئةً. وإذا همَّ بحسنةٍ فلم يعملها فاكْتُبها حسنةً، فإن عملها فاكْتُبها عشراً».

وفي رواية<sup>(٤)</sup>: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بحسنةٍ فلم يعملها كتبها له حسنةً، فإن عملها كتبها عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائةٍ ضعيفٍ، وإذا همَّ بسيئةٍ ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها سيئةً واحدةً».

وفي أخرى<sup>(٥)</sup>: قال الله عز وجل: إذا تحدثت عبدي بأن يعمل حسنةً فأنا أكتبها له حسنةً ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها. وإذا تحدثت بأن يعمل سيئةً فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها».

وقال رسولُ الله ﷺ: «قالت الملائكةُ: ربِّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئةً - وهو تعالى أبصرُ به - فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكْتُبها له بمثلها، وإن تركها فاكْتُبها له حسنةً، إنما تركها من جرّاي»<sup>(٦)</sup>.

= أحدها وثقوا». وقال في طريق جعفر بن الزبير: فيه جعفر بن الزبير وهو كذاب. وحسن الألباني الحديث في «الصحيفة» رقم (١٢٠٩).

(١) أخرجه البخاري (٥٤٨/١١ رقم ٦٦٦٤)، ومسلم (١١٦/١ رقم ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٨/١١ رقم ٦٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٥/١٣ رقم ٧٥٠١)، ومسلم (١١٧/١ رقم ١٢٨/٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٥/١٣ رقم ٧٥٠١)، ومسلم (١١٧/١ رقم ١٢٨/٢٠٤).

(٥) أخرجه مسلم (١١٧/١ رقم ١٢٩/٢٠٥) من حديث أبي هريرة.

(٦) تقدم تخريجه.

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكلُّ حسنةٍ يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ، وكلُّ سيئةٍ يعملها تكتب بمثلها، حتى يلتقي الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وفيه<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: «إن الله تبارك وتعالى كتب الحسناتِ والسيئاتِ ثم بين ذلك: فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعلمها كتبها الله عز وجل عنده عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة. وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعلمها كتبها الله سيئةً واحدة - زاد في رواية<sup>(٣)</sup> - أو محاها الله، ولا يهلك على الله إلا هالك».

قال الحسنُ البصريُّ<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشمالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]: يا ابن آدمُ بسطت لك صحيفةً، ووكلت بك ملكانِ كريمانِ أحدهما عن يمينك والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقليل أو أكثر، حتى إذا مت طويبت صحيفةُك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَلْعَ يَوْمٍ وَعُنْفُوهُ وَنُخْرُجُهُ لَوَّيْمًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [١٣] أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء].

ثم يقول: «عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك» اهـ.

ويناسب ذكرَ المعقباتِ والحفظةِ ما روى البخاريُّ<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى في (باب قولِ الله عز وجل تعرج الملائكةُ والروحُ إليه)<sup>(٦)</sup> قال: حدثنا إسماعيلُ حدثني مالكٌ عن أبي الزنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١١/٣٢٣ رقم ٦٤٩١)، ومسلم (١/١١٨ رقم ١٣١/٢٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (١/١١٨ رقم ١٣١/٢٠٨).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٩ - ٢٤٠) عنه.

(٥) في صحيحه (١٣/٤١٥ رقم ٧٤٢٩) و (٢/٣٣ رقم ٥٥٥).

(٦) رقم الباب: (٢٣).

«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون». ورواه مسلم<sup>(١)</sup> أيضاً.

وفيها<sup>(٢)</sup> عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل»، الحديث تقدم في العلو والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم مُنكَّرٌ ونكيرٌ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص في ذلك قريباً، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق

ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢٤﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَنَسَلْنَهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

(١) في صحيحه (٤٣٩/١) رقم (٦٣٢).

(٢) أي البخاري ومسلم. ولكن الحديث لم يخرج به البخاري. بل أخرجه مسلم فقط في صحيحه (١٦١/١) رقم (١٧٩).



ومنهم خزنة جهنم عياداً بالله منها، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرّاً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الزمر: ٧١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوْلَيْتُمْ نَكَّ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٦٩﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٧٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿٧٨﴾﴾ [العلق].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧٧﴾ لَا بَقِي وَلَا نَذْرٌ ﴿٧٨﴾ لَوَاعِثٌ لِّبَشَرٍ ﴿٧٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٨٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَوِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٢٧ - ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلَكِكْ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَكِينٌ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي صحيح مسلم<sup>(١)</sup>: «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، كل زمام في يد سبعين ألف ملك يجزونها».

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث ابن مسعود<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» الحديث. وفي بابه من الأحاديث كثير.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٨٤ رقم ٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود، وهذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم.

وقال: رفعه وهم. رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً. قلت: وحفص ثقة، حافظ إمام، فزيادة الرفع مقبولة، كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين.

(٢) أخرجه البخاري (١١/٤٧٧ رقم ٦٥٩٤)، ومسلم (٤/٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣).

وفيها: أن الملك يقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ واحد أو توأم؟ ذكر أم أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الرزق وما الأجل؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء. فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يُغَيَّر ولا يُبدَل<sup>(١)</sup>.

ومنهم حملة العرش والكروييون، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ [غافر: ٧]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَجُلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. ومفهوم هذه الآية من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أن حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية، ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «صدق أمية بن أبي الصلت<sup>(٣)</sup> في شيء من شعره. فقال:

رجلٌ وثورٌ تحت رجلٍ يمينه  
والنَّسْرُ للأخرى وليثٌ مُرصدٌ  
فقال رسول الله ﷺ: «صدق». فقال:

والشمسُ تطلعُ كلَّ آخر ليلةٍ  
حمراءُ يصبِحُ لوئها يتورَّدُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧/١١) رقم (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٠٣٨/٤) رقم (٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك.

(٢) في «المسند» (٢٥٦/١).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣٣/١١) رقم (١١٥٩١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٦٥/٤) رقم (٢٤٨٢/١٥٥).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٢٧/٨) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس.

قلت: ولم يصرح بالتحديث عند الثلاثة.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أمية بن أبي الصلت الثقفى الشاعر المشهور، ذكره ابن السكن في «الصحابة»، وقال: لم يدركه الإسلام، وقد صدقه النبي ﷺ في بعض شعره، وقال: «قد كاد أمية أن يسلم». انظر: «الإصابة» رقم (٥٥٢ز)، وانظر: الشعراء لابن قتيبة (ص ٤٢٩ - ٤٣٣) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

\* والآيات في ديوان أمية بن أبي الصلت (ص ٣٦٦).

تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبةً وإلا تُجَلد  
فقال رسول الله ﷺ: «صدق». وهذا إسناؤه جيد<sup>(١)</sup>.

لكن قد ورد ما يدل على أنهم في الدنيا أيضاً ثمانية، وهو حديث العنان الذي رواه أبو داود وغيره<sup>(٢)</sup> وقد تقدم في العلو، وفيه: «ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن ورؤسهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك».

وله<sup>(٣)</sup> عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». وقال ابن عباس<sup>(٤)</sup> وسعيد بن جبيرة<sup>(٥)</sup> والشعبي<sup>(٦)</sup> وعكرمة<sup>(٦)</sup> والضحاك<sup>(٧)</sup> وابن جريج<sup>(٨)</sup>: ثمانية صفوف من الملائكة. وقال الضحاك<sup>(٩)</sup> عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة.

وفي حديث الصور الطويل قال رسول الله ﷺ: «فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فها لنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلني من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض

(١) قاله ابن كثير في تفسيره (٧٨/٤). وقد علمت أن الحديث ضعيف، ولم يكن سنه بالجيد

(٢) تقدم تخريجه في «العلو».

(٣) أي لأبي داود في «السنن» (٩٦/٥ رقم ٤٧٢٧). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عنه كما في «الدر المنثور» (٢٦٩/٨).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (١٨٩٦٨) عنه.

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٤٢/٤).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٩/٥٨) عنه.

قلت: حديث الضحاك معضل لأنه لم يسمع من صغار الصحابة.

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٤٢/٤).

(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٤٢/٤).

بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلني من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وهو آت. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل في ظليل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حجبهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم، يقولون سبحان ذي العزرة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت. سُبُوْحُ قُدُوسٍ قُدُوسٍ قُدُوسٍ. سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح. سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت»، الحديث رواه ابن جرير<sup>(١)</sup> والطبراني<sup>(٢)</sup> وغيرهما.

ومنهم ملائكة سباحون يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: «هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادي؟

(١) في «جامع البيان» (٢/٣٣٠ - ٣٣١) و (١٠/١٧ - ١١٠ - ١١١) و (١٢/ج٢٤/٣٠) و (١٥/ج٣٠/١٨٦ - ١٨٧) مختصراً ومطولاً.

(٢) في «المطولات» في نهاية «المعجم الكبير» (٢٥/٢٢٥ - ٢٢٧ رقم ٢٠). وفي «المعجم الكبير» رقم (٧٨٧٣).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/٣٢) وقال: «وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/١٥٤): «هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المنفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه، فمنهم وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي أحاديث كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم» اهـ.

قالوا: يَسْبَحُونَكَ وَيَكْبُرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَمَجِّدُونَكَ»<sup>(١)</sup>، الحديث تقدم في العلو.

وقال ﷺ: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده»، الحديث بطوله في الصحيح<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة.

ومنهم الموكل بالجمال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد ياليل وعوذه منهم، وفيه قول جبريل له ﷺ: «إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك». وفيه قول ملك الجبال: «إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال ﷺ: بل استأن بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

ومنهم زوّار البيت المعمور الذي أقسم الله تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراج، وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حُرّمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم»، يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم. والحديث بألفاظه في الصحيحين<sup>(٤)</sup>.

ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يركعون، ورُكّع وسجّد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك: ﴿وَمَا يَمَلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨/١١ رقم ٦٤٠٨)، ومسلم (٢٠٦٩/٤ رقم ٢٦٨٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) في صحيح مسلم (٢٠٧٤/٤ رقم ٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٢/٦ - ٣١٣ رقم ٣٢٣١)، ومسلم (١٤٢٠/٣ رقم ١٧٩٥)، من حديث عائشة.

(٤) البخاري (٣٠٢/٦ - ٣٠٣ رقم ٣٢٠٧) و (١٤٥/١ - ١٤٧ رقم ١٦٢)، من حديث أنس بن مالك.

روى الإمام أحمد<sup>(١)</sup> والترمذي<sup>(٢)</sup> وابن ماجه<sup>(٣)</sup> عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أظت السماء وحق لها أن تظت، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملكٌ ساجدٌ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجارون إلى الله تعالى». فقال أبو ذر: واللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِي شَجْرَةٌ تُعْضَدُ. وقال الترمذي: غريب.

ويروى عن أبي ذر موقوفاً. قلت: وله حكمُ الرفع، ومن أين لأبي ذر رضي الله عنه مثلُ هذا إلا عن توقيف، والله أعلم.

وعن حكيم بن حزام<sup>(٤)</sup> قال: بينما رسولُ الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسولُ الله ﷺ: «أسمع أطيّطُ السماء وما تُلامُّ أن تطيّط، ما فيها موضعُ شبرٍ إلا وعليه ملكٌ راکعٌ أو ساجدٌ». وعن عائشة<sup>(٥)</sup> رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضعٌ قدم إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو قائمٌ. وذلك قولُ الملائكة: وما ممناً إلا له مقامٌ معلوم، وإنّا لنحن الصّاقون، وإنّا لنحن المسبّحون».

(١) في «المسند» (١٧٣/٥).

(٢) في «السنن» (٥٥٦/٤ رقم ٢٣١٢) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في «السنن» (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠).

قلت: وأخرجه الحاكم (٥١٠/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي. وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٤) أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٨/١ رقم ٢٥٠) بسند صحيح. رجاله كلهم ثقات. وله شواهد من حديث ابن مسعود وعائشة كما يأتي في التعليقة التالية. انظر: «الصححة» رقم (١٠٦٠).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن نصر المروزي (٢٦٠/١ رقم ٢٥٣) بإسناد حسن في الشواهد. رجاله ثقات غير الفضل هذا، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٦١/٢/٣) من رواية ثقتين عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ثم ذكر الحديث الآتي برقم (٢٥٤) وقال: فذكره موقوفاً على ابن مسعود باختصار وهو في حكم المرفوع، وإسناده صحيح. انظر: «الصححة» رقم (١٠٥٩). وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

وعن العلاء بنِ سعدٍ<sup>(١)</sup> وقد شهدَ الفتحَ وما بعده أن النبيَّ ﷺ قال يوماً لجلسائه: «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: وما تسمع يا رسولَ الله؟ قال: «أطت السماءَ وحقَّ لها أن تَطَّ<sup>(٢)</sup>، إنه ليس فيها موضعٌ قدمٍ إلا وعليه ملكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ. وقالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّاقُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَعْنُ الْمُسِخُونَ ﴿١٦٦﴾﴾» [الصفات].

وعن رجلٍ<sup>(٣)</sup> صحبَ رسولَ الله ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إن الله تعالى ملائكةٌ ترعدُ فرائضهم من خيفته، ما منهم ملكٌ تقطر منه دمعَةٌ من عينه إلا وقعت على ملكٍ يُصَلِّي، وإن منهم ملائكةٌ سجوداً منذ خلق اللهُ السمواتِ والأرضَ لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكةٌ ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق اللهُ السمواتِ والأرضَ ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجهِ اللهِ عز وجل فقالوا: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك». وإسناده لا بأس به وهو والذي قبله أخرجهما محمدُ بنُ نصرٍ المروزيُّ.

وفي الصحيح<sup>(٤)</sup> عن جابر بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/٢٦١ - ٢٦٢ رقم ٢٥٥). وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/٤٤٧ رقم ٥٦٦٢): روى ابن منده من طريق عطاء بن يزيد بن مسعود، به عن سليمان بن عمر بن الربيع، حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن سعد - من بني ساعدة - عن أبيه - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن النبي ﷺ قال يوماً لجلسائه. الحديث...

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه في ترجمة محمد بن خالد، من طريق ابن منده بهذا الإسناد اهـ.

وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/٤٧٥) وقال: «وهذا إسناد غريب جداً». قلت: ولكن لمتنه شواهد.

(٢) الأطيع: صوت الأقتاب، وأطيع الإبل: أضواتها وحنينها، أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أنقلها حتى أطت. وهذا مثل وإيدان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيع وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. [النهاية: ١/٥٤].

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/٢٦٧ - ٢٦٨ رقم ٢٦٠). وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/٤٧٥) وقال: إسناده لا بأس به.

قلت: فيه عدي بن أرطاة قال عنه الحافظ في «التقريب» (رقم: ٤٥٣٨): مقبول.

(٤) أي في صحيح مسلم (١/٣٢٢ رقم ٤٣٠).

تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يَتَمَوْنَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ».

وفيه<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

### [الركن الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله]

(و) الثالث الإيمان (بكتبه المنزلة) على رسله (المطهرة) من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [آل عمران: ٨٤] إلى آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِإِلَهِهِمْ وَرَسُولِهِ وَاللَّذِينَ الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِينَ الَّذِينَ نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَإِنَّا لَاعْتَدِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنزِلْنَا﴾ [التغابن: ٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٩٤ رقم ٢٩٩٦).



كلامٌ غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يُسمعه الرسول المَلَكِيَّ ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشريِّ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿ قَالَ يَمْسُخِرُ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [النحل: ٢].

﴿ وَفَرَأْنَا مَا فَرَغْتَ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَلْتَهُ نَزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

منها ما خطه الله بيده عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَلُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّسُولُونَ وَالْأَحْبَابُ بِمَا اسْتَخَفُّوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ - إلى قوله - : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿المائدة: ٤٤ - ٤٩﴾.

وأن جميعها يُصدق بعضها بعضاً لا يكذبه، كما قال تعالى في الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال في القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحْ لَهُم أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ لِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضِ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٥٠].

وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل والقرآن، كما قال تعالى: ﴿عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ مَكْنُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ لِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية].

وأن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسَخْهَا فَآتَ بِخَيْرٍ مِمَّا نَهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ الْقُلُوبَ إِنَّمَا أَنْتَ مُفَتِّرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] الآيات.

وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، بعد قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُوا يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٦٥].

والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها. وأنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأن من كذب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضلَّ، قال تعالى: ﴿الْمَصَّ ۝ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٠١].

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فُضِّل، فقد سُمِّيَ الله تعالى من كتبه التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، والقرآن على محمد ﷺ، وذكر صحف إبراهيم وموسى.

وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مُجْمَلًا في قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلْنَا عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَا أَوْحِيَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّنَا لَا نَقْرُبُ بَيْنَ أَمْرٍ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقال: ﴿وَقُلْ ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]. فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل: آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول.

وقال تعالى في القرآن والسنة: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاكَ الرَّسُولُ فَخُذْهُ وَمَا نَهَيْكَ عَنْهُ فَانْتَهُ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده، وتلاوته آتاء الليل والنهار، والذب عنه لتحريف

الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها. نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين، إنه ولي التوفيق.

### [الركن الرابع: الإيمان برسول الله]

(و) الرابع الإيمان (برسوله) وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول، فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول. (الهداية) جمع هادٍ، والمراد به هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرف الأمور، ليس لمالك مقرب ولا لنبي مرسل تصريف في شيء منهما فضلاً عن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

والإيمان برسول الله عز وجل متلازم، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَعْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَتَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِيَّ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصف: ٦١].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمْتُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

### [معنى الإيمان بالرسول]

ومعنى الإيمان بالرسول هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يُعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بازون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه: ﴿فَهَلْ عَلَىٰ الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكلم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات. وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بالهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي ما يُضاد ذلك أو ينافي كماله كما تقدم ذلك في تقرير توحيد الطلب والقصد.

وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف، فيفرض على

هؤلاء ما لا يُفرض على هؤلاء، ويُخفف على هؤلاء ما شُدّد على أولئك، ويحرّم على أمة ما يَجَلّ للأخرى وبالعكس، لحكمةٍ بالغةٍ وغايةٍ محموديةٍ قضاها ربنا عز وجل ليلوكم فيما آتاكم، ليلوكم أيكم أحسن عملاً.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدمَ ونوحاً وإدريسَ وهوداً وصالحاً وإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ويوسفَ ولوطاً وشعبياً ويونسَ وموسى وهارونَ وإلياسَ وزكريا ويحيى واليسعَ وذا الكفل وداودَ وسليمانَ وأيوبَ، وذكر الأسباطَ جملةً، وعيسى ومحمداً ﷺ، وقص علينا من أنبيائهم ونبأنا من أخبارهم ما فيه كفايةٍ وعبرةٌ وموعظةٌ إجمالاً وتفصيلاً ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فُضّل، وإجمالاً فيما أُجمل.

### [أول رسل الله نوح وأخوه محمد]

(أولهم نوح بلا شك كما أن محمداً لهم قد ختما)  
(أولهم) يعني أول الرسل عليهم السلام (نوح بلا شك) وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن مهلايل بن قايين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذب كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]. وإلا فآدمُ قبله كان نبياً رسولاً، وكان الناس أمةً واحدة على دينه ودينِ وصيِّه شيث عليه السلام كما قال ابن عباس<sup>(١)</sup> وابن مسعود<sup>(٢)</sup> .....

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٠٤٨ - شاكراً)، والحاكم (٥٤٦/٢ - ٥٤٧). وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.  
قلت: الحديث صحيح، لكنه موقوف على ابن عباس، ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة. وقد تقدم.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٧ - شاكراً).

وأبي بن كعب<sup>(١)</sup> وقتادة<sup>(٢)</sup> ومجاهد<sup>(٣)</sup> وغيرهم رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية. قالوا: كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، (كما أن محمداً رضي الله عنه) (لهم) أي للرسول (قد ختما) فلا نبي بعده، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَرَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وسياتي إن شاء الله تعالى تقرير ذلك في موضعه من هذا المتن.

### [أولي العزم من الرسل خمسة]

(وخمسة منهم أولو العزم الأولى في سورة الأحزاب مع شوري تلا)  
(وخمسة منهم) أي من الرسل (أولو) أي أصحاب (العزم) يعني الحزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، ولذا حُصوا بالذكر (في سورة الأحزاب) يعني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملةً، ونص منهم على هؤلاء الخمسة: محمد رضي الله عنه وهو خاتمهم، ونوح وهو فاتحهم، وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما. (و) كذا ذكرهم على وجه التخصيص في سورة (الشورى) إذ يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد رضي الله عنه فيقول: «أنا لها» كما سياتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٣ - شاكراً).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٤٩ - شاكراً).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٢ - شاكراً).

وروى ابنُ أبي حاتم<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كنت أولَ النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم»، وفيه ضعف. ويُروى مرسلًا وموقوفًا على قتادة.

وللبزار<sup>(٢)</sup> عنه رضي الله عنه موقوفًا عليه قال: «خيارُ ولدِ آدمِ خمسةٌ: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمد» صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، وخيرُهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

والقولُ بأن أولي العزمِ هم هؤلاء الخمسةُ هو قولُ ابن عباس<sup>(٣)</sup> وفتادة<sup>(٤)</sup> ومن وافقهما، وهو الأشهر.

وقال الكلبي<sup>(٥)</sup>: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفةَ مع أعداء الدين. وقيل<sup>(٦)</sup> هم ستةٌ: نوحٌ وهودٌ وصالحٌ ولوطٌ وشعيبٌ وموسى عليه السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهودٍ والشعراء.

وقال مقاتل<sup>(٧)</sup>: هم ستةٌ: نوحٌ صبر على أذى قومه، وإبراهيمُ صبر على النار، وإسحاقُ صبر على الذبح، ويعقوبُ صبر على فقد ولده وذهابِ بصره، ويوسفُ صبر على البئر والسجن، وأيوبُ صبر على الضَّر.

(١) في تفسيره (٣١١٦/٩) رقم (١٧٥٩٤) بسند ضعيف.

وقال ابن كثير (٤٨٧/٣) عقب الحديث: «سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلًا وهو أشبهه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا، والله أعلم» اهـ. قلت: ورواية الإرسال عند ابن سعد في «الطبقات» (١٤٩/١) عن قتادة. والرواية الموقوفة عن قتادة أخرجها ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ج٢١/١٢٥).

(٢) في المسند (١١٤/٣) رقم ٢٣٦٨ - كشف) من حديث أبي هريرة.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٥٤/٨) وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤٧٨/٣) عقب الحديث: «موقوف، وحمزة فيه ضعف».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عنه كما في «الدر المنثور» (٤٥٤/٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق - (رقم: ٢٨٦٢) - وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة قال: أولو

العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى. كما في «الدر المنثور» (٤٥٥/٧).

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢٧١/٧).

(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢٧٢/٧).

(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢٧٢/٧).



قلت: وقوله إسحاق صبر على الذبح هو قولٌ مرجوحٌ أو مردود، وإنما كان الذبيح إسماعيل عليه السلام كما في سورة الصافات<sup>(١)</sup> وهود<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن زيد<sup>(٣)</sup>: كلُّ الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت (من) للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم<sup>(٤)</sup>: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام<sup>(٥)</sup> وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وروى ابن أبي حاتم<sup>(٦)</sup> بسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم قال: «يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشة، إن الله تعالى لم يرخص من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها والصبر على محبوبها، ثم لم يرخص مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولا قوة إلا بالله».

### [الخامس: الإيمان بالمعاد وقيام الساعة]

(وبالمعاد أيقن بلا تردد ولا ادعاء علم بوقت الموعد)

(١) رقم الآية (١٠١ - ١٠٥).

(٢) رقم الآية (٧١ - ٧٣).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢٧١/٧).

(٤) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢١٣/١٦) ط. دار الحديث.

(٥) راجع الآيات (٨٣ - ٨٦).

(٦) في تفسيره (٣٢٩٧/١٠) رقم (١٨٥٨٣). وذكره ابن كثير في تفسيره (١٨٥/٤) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤٥٤/٧) للديلمي في مسند الفردوس، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.

وأخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (٢٧٢/٧) وفي «شرح السنة» (٢٤٨/١٤) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على شرح السنة: «هو في «أخلاق النبي» (ص ٢٩٣) لأبي الشيخ، نقله من كتاب التفسير لشيخه ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف، لجهالة السري بن حيان وضعف مجالد بن سعيد».

(لكننا نؤمن من غير امترا بكل ما قد صح عن خير الورى)  
 (من ذكر آيات تكون قبلها وهى علامات وأشراف لها)  
 (وبالمعاد) وهو المراد إلى الله عز وجل والإياب إليه (أيقن) استيقن بذلك  
 يقيناً جازماً (بلا تردد).

هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر وما  
 يدخل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ  
 وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِمْ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ  
 فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ  
 مَالَهُ رِيقَةً تَلْوَاهُ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ  
 فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾  
 [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ - كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا  
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ  
 الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْعَاهِدَ ﴿٩﴾﴾  
 [آل عمران: ٧ - ٩].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا  
 كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٨ - ٣٩] الآيات.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠].  
الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَبِيلِ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ ﴿١٦﴾ [طه].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يس: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢].

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ لَهُمْ مَّتَّظِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [السجدة].

وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ ﴿١٢٧﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَدِنتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا حَسِيلًا ۝٥٥ إِنَّمْ بَرُونَ بَعِيدًا ۝٥٦ وَرَبُّهُ قَرِيبًا ۝٥٧﴾ [المعارج: الآيات].

وقال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣] الآيات، وقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] إلخ السورة.

وقال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالَّذَرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۝١١ فَالْحَالِكِينَ ۝١٢ فَالْمُجْرِمِينَ ۝١٣ فَالْمُقْسِمِينَ ۝١٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝١٥ وَإِنَّ الْبَيْنَ لَرُوعٌ ۝١٦﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا الْجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْبُلْبُلُ تُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات] إلى آخر السورة، والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها، وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور، وسيأتي إن شاء الله مزيدُ نصوصٍ في اللقاء والبعث والنشور.

(و) ب (لا ادعا) بالقصر، للوزن، وهو مصدر ادعى يدعي ادعاء (علم بوقت الموعد) متى هو، فإن ذلك من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ تُفَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. والتي بعدها.

وقال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ [فصلت: ٤٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لُهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَابٍ بَلِّغْ فَمَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَبِئْسَ لَبِيسًا لِّبَسُوا﴾ [الشورى: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الملك].

وقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَن السَّاعَةُ لَا تُقَدَّرُ إِلَّا عِنْدَ رَبِّي ﴿١٣﴾ وَمَا أُغْنِي عَنْكُم مِّنَ السَّاعَةِ شَيْئًا وَمَا تُمْسِكُونَهَا ﴿١٤﴾﴾ [النازعات]. وغيرها من الآيات.

وتقدّم في حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي ﷺ: «أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»<sup>(١)</sup> الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده<sup>(٢)</sup> عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس لا يعلمها إلا الله عز وجل: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير».

(١) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.

(٢) (٣٥٣/٥) بسند صحيح.

وروى البخاري<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾».

وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فناداه بصوت جهوري فقال: يا محمد، قال له رسول الله ﷺ: هاؤم - على نحو من صوته - قال: يا محمد، متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير صلاة وصيام، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله: «المرء مع من أحب»، فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم، وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته.

ولمسلم<sup>(٣)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة، فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول: «إن يعيش هذا

= قلت: وأخرجه البزار (٣/٦٥ رقم ٢٢٤٩ - كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٨٩) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح».

(١) في صحيحه رقم (٩٩٢ - البغا) من حديث ابن عمر، بلفظ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر».

(٢) وهم المؤلف رحمه في عزو الحديث للصحيحين، فما أخرجاه ولا أحدهما، والذي في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود. البخاري رقم (٥٨١٧ - البغا)، ومسلم (رقم: ٢٦٤٠).

ومن حديث أبي موسى، البخاري رقم (٥٨١٨ - البغا)، ومسلم (رقم: ٢٦٤١). والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم: ١٨٦ - موارد) مع القصة.

وأخرج الطبراني في «الصغير» (١/٩١) والطيالسي في «المسند» (رقم: ١١٦٧) قوله: «المرء مع من أحب»، من حديث صفوان بن عسال. وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) في صحيحه (٤/٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٢).

قلت: وأخرجه البخاري (١١/٣٦١ رقم ٦٥١١).

لم يُدرکه الهرمُ قامت علیکم ساعتکم»، یعنی بذلك موتهم الذي يُفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدارِ الآخرة.

وله<sup>(١)</sup> عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ عن الساعة فقال رسولُ الله ﷺ: «إن يعش هذا الغلامُ فعسى أن لا يُدرکه الهرمُ حتى تقوم الساعة».

وفي رواية<sup>(٢)</sup> أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسولُ الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شُوءة فقال: «إن عُمُر هذا لم يُدرکه الهرمُ حتى تقوم الساعة»، قال أنس: ذلك الغلامُ من أترابي.

وفي رواية<sup>(٣)</sup> عن أنس قال: مر غلامٌ للمغيرة بنِ شعبة وكان من أترابي، فقال النبي ﷺ: «إن يؤخر هذا لم يُدرکه الهرمُ حتى تقوم الساعة».

وفي صحيح البخاري<sup>(٤)</sup> عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله متى الساعةُ قائمة؟ قال: «ويلك وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحبَّ الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرخنا يومئذ فرحاً شديداً. فمر غلامٌ للمغيرة وكان من أقراني فقال: إن أآخر هذا فلن يُدرکه الهرمُ حتى تقوم الساعة».

قال ابنُ كثير<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق في هذه الرواياتِ محمولٌ على التقييد ب(ساعتكم) في حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال ابن جرير: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرَ بنَ عبدِ الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: قبل أن يموتَ بشهر: «تسألون عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على وجه ظهرِ الأرض اليومَ من نفسٍ منفوسةٍ تأتي عليها مائةُ سنة»، رواه مسلم<sup>(٦)</sup>.

(١) أي لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٣).

(٢) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٣).

(٣) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٣).

(٤) (١٠/٥٥٣ رقم ٦١٦٧).

(٥) في تفسيره (٢/١٠٦).

(٦) في صحيحه (٤/١٩٦٦ رقم ٢٥٣٨).

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن ابن عمر مثله، قال ابن عمر: وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن.

وروى أحمد<sup>(٢)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، فَتَذَاكُرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، قَالَ: فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: لَا عَلِمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عَلِمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى عِيسَى فَقَالَ عِيسَى: أَمَا وَجِبْتُهَا فَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِيمَا عَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ الدَّجَالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِيَ قَضِييَانِ، فَإِذَا رَأَيْتَنِي ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، قَالَ: فَيَهْلِكُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَّأُونَ بِلَادَهُمْ لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمْرُونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ. قَالَ: ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَيَهْلِكُهُمْ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجُوعَى<sup>(٣)</sup> الْأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ. أَيُّ تُنْتِنَ. قَالَ: فَيُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَطَرَ فَيَجْتَرِفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ».

قال الإمام أحمد: قال يزيد بن هارون: «ثم تُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ»، ثم رجع إلى حديث هُشَيْمٍ قَالَ: «فَإِذَا عَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتَمِّمِ لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَأُهُمْ بَوْلادَتِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا». ورواه ابن ماجه<sup>(٤)</sup> بنحوه.

(١) البخاري (٢١١/١) رقم (١١٦)، ومسلم (١٩٦٥/٤) رقم (٢٥٣٧).

(٢) في المسند (٣٧٥/١) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه ابن ماجه (١٣٦٥/٢) رقم (٤٠٨١).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢٦١/٣) رقم (٤٠٨١/١٤٤٠): «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. مؤثر بن عفارة ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات» اهـ. وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٨٨/٤ - ٤٨٩، ٥٤٥ - ٥٤٦) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجها»، ووافقه الذهبي.

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود ضعيف - وبعضه في مسلم - انظر: «الضعيفة» رقم (٤٣١٨).

(٣) تجوعى: أي تنتن.

(٤) في السنن رقم (٤٠٨١) كما تقدم.



قال ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «هؤلاء أكابرُ أولي العزم من الرسل ليس عندهم علمٌ بوقت الساعةِ على التعيين، وإنما ردّوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلّم على أشراتها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منقذاً لأحكام رسول الله ﷺ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج بركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به».

وروى الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو. ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً. قالوا: يا رسول الله: الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال بلسان الحبشة: القتل. قال: ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدٌ يعرف أحداً».

وروى النسائي<sup>(٣)</sup> عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢] الآية. وإسناده جيد قوي<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى<sup>(٥)</sup>: فهذا النبي ﷺ [الأمي سيّد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفي والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح<sup>(٦)</sup> ومن حديث أنس<sup>(٦)</sup> وسهيل بن سعد<sup>(٧)</sup>]: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها». ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن

(١) في تفسيره (٢٨٤/٢).

(٢) في المسند (٣٨٩/٥) بسند صحيح.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٠٩/٧) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٣) في الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (٢٠٨/٤) وطارق رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه.

(٤) قاله ابن كثير في تفسيره (٢٨٤/٢).

(٥) في تفسيره (٢٨٤/٢).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٧/١١) رقم ٦٥٠٤) ومسلم (٢٢٦٨/٤) رقم ٢٩٥١/١٣٣.

(٧) أخرجه البخاري (٣٤٧/١١) رقم ٦٥٠٣) ومسلم (٢٢٦٨/٤) رقم ٢٩٥٠/١٣٢.

يُرَدُّ عَلَمٌ وَقَتِ السَّاعَةِ إِلَيْهِ إِذَا سئِلَ عَنْهَا فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] هـ.

## الإيمان بكل ما صحَّ سنده عن رسول الله من أمارات وعلامات الساعة]

(لكننا نؤمن) ونصدق (من غير امترا) من غير شك (بكل ما قد صح) سنده وصرح لفظه (عن خير الوري) نبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى (من ذكر آيات) أمارات (تكون) تقع (قبلها) قبل الساعة (وهي) أي تلك الأمارات (علامات) لمجيء الساعة وقربها ودنوها (وأشراط لها) أي لاقتربها. وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثير من علاماتها، قال الله تعالى: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] الآيات.

وقد ذكر الله تعالى أن بعثة نبينا ﷺ من أشراطها كما قال عز وجل: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ ﴿٥٦﴾ أَزْفَتِ الْأَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ [النجم]. وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] الآيات. وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة.

وذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض وغيرها، كما قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] الآيات.

وقال تعالى في شأن عيسى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء].

وقال تعالى في شأن يأجوج ومأجوج: ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَيِّئًا ﴿٩٢﴾ حَقًّا إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ إِنَّنَا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقَوْلِهِمْ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَفْسًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٩﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وأما الأحاديث في أشراف الساعة فكثيرة متواترة، وقد تقرر في حديث جبريل<sup>(١)</sup> على اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره ﷺ من أماراتها: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، وقد تقدم قوله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وأشار بالسبابة والوسطى<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم<sup>(٣)</sup> وغيره عن حذيفة<sup>(٤)</sup> قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه».

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه من حديث أنس وحديث سهيل بن سعد، وهما في الصحيحين.

(٣) (٤/٢٢١٧) رقم ٢٣/٢٨٩١.

قلت: وأخرجه البخاري (١١/٤٩٤) رقم ٦٦٠٤.

وفيه<sup>(١)</sup> عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجرَ وصعد المنبرَ فخطبنا حتى حضرت الظهرَ، فنزل فصلى، ثم صعد المنبرَ فخطبنا حتى حضرت العصرَ، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبرَ فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائنُ فأعلمنا أحفظنا».

وفيه<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتى يُحسرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ يقتتل الناسُ عليه، فيقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون، ويقول كلُّ رجلٍ منهم لعلِّي أكون أنا الذي أنجو - وفي رواية<sup>(٣)</sup>: فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً».

وفي رواية<sup>(٤)</sup> عنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتى ينزلَ الرومُ بالأعماقِ - أو بدابقٍ<sup>(٥)</sup> - فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرضِ يومئذٍ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثٌ هم أفضلُ الشهداء عند الله، ويفتتحُ الثلثُ لا يُفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينيةَ، فبينما هم يقتسمون الغنائمَ قد علّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطانُ إن المسيحَ قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشامَ خرج، فبينما هم يُعدّون للقتال يسوون الصفوفَ إذ أقيمت الصلاةُ، فينزل عيسى ابنُ مريمَ ﷺ فيؤمّهم، فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب الملحُ في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله اللهُ بيده فيريهم دمه في حربته».

والأعماقُ قال في القاموس<sup>(٦)</sup>: بلد بين حلب وأنطاكيةَ مَصْبُ مياهٍ كثيرةٍ لا

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢١٧ رقم ٢٨٩٢/٢٥).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢١٩ رقم ٢٨٩٤/٢٩).

قلت: وأخرجه البخاري (١٣/٧٨ - ٧٩ رقم ٧١١٩).

(٣) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٢٠ رقم ٢٨٩٤/٣١).

(٤) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٢١ رقم ٢٨٩٧/٣٤).

(٥) بالأعماق أو بدابق: موضعان بالشام، بقرب حلب.

(٦) المحيط (ص ١١٧٧).

تَجِفُّ إِلَّا صَيْفًا، وهو العَنُقُ جُمِعَ بِأَجْزَائِهِ اهـ. وقال أيضاً<sup>(١)</sup>: دَابِقُ كصاحبٍ  
 وهاجَرَ قريَّةً بحلب، وفي الأصل: اسمُ نهرٍ، ودُويقُ قريَّةٌ بقربها.

وفيه<sup>(٢)</sup> عن يَسِيرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هاجت رِيحٌ حمراءُ بالكوفة فجاء رجلٌ  
 ليس له هَجِيرِي<sup>(٣)</sup> إِلَّا «يا عبدَ الله بنَ مسعودٍ جاءت الساعة»، قال: فقعد وكان  
 متكئاً فقال: إن الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقسم ميراثٌ ولا يُفْرَحَ بغنيمة، ثم قال  
 بيده هكذا ونحاهما نحوَ الشام فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلامِ ويَجْمَعُ لهم أهلُ  
 الإسلامِ. قلت: الرومَ تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتالِ ردةً شديدةً  
 فيشترطُ المسلمونَ شُرْطَةَ للموت لا ترجع إلا غالباً، فيقتتلون حتى يحجُزَ بينهم  
 الليلُ، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كلُّ غيرِ غالبٍ وتَفْنَى الشُرْطَةُ، ثم يشترطُ المسلمون  
 شُرْطَةَ للموت لا ترجع غالباً، فيقتتلون حتى يحجُزَ بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاء  
 وهؤلاء كلُّ غيرِ غالبٍ وتَفْنَى الشُرْطَةُ، ثم يشترطُ المسلمونَ شُرْطَةَ للموت لا  
 ترجع إلا غالباً، فيقتتلون حتى يُمَسُوا فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلُّ غيرِ غالبٍ وتَفْنَى  
 الشرْطَةُ، فإذا كان اليومُ الرابعُ نَهَرَ إليهم بقيَّةُ أهلِ الإسلامِ فيجعلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ  
 عليهم فيقتلون مقتلةً - إِمَّا قال لا يُرى مثلها، وإِمَّا قال لم يُرَ مثلها - حتى إنَّ  
 الطائرَ ليمرَّ بجناباتهم فما يخلُفهم حتى يخزُّ ميتاً، فيتعادُ بنو الأبِ كانوا مائةً فلا  
 يَجِدُونَهُ بقي منهُم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأيِّ غنيمةٍ يفرحُ أو أيِّ ميراثٍ يقاسمُ،  
 فبينما هم كذلك إذ سمِعوا ببأسٍ هو أكبرُ من ذلك، فجاءهم الصرِيخُ أن الدجالَ  
 قد خلفهم في ذرايعهم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون فيبعثون عشرةً فوارسَ  
 طليعةً، قال رسولُ الله ﷺ: إني لأعرِفُ أسماءَهم وأسماءَ آبائهم وألوانَ خيولهم،  
 هم خيرُ فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ - أو من خيرِ فوارسٍ على ظهر الأرض  
 يومئذٍ.

وفيه<sup>(٤)</sup> عن حذيفةَ بنِ أسيدِ الغفاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «طلع النبي ﷺ علينا ونحن

(١) أي الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (ص ١١٣٨).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٣ رقم ٢٨٩٩).

(٣) ليس له هجيري: أي شأنه ودأبه ذلك. والهجيري بمعنى الهجير.

(٤) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٥ رقم ٢٩٠١).

نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجاجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

وفي رواية<sup>(١)</sup>: «ونار تخرج من فُغرة عدن تُرحل الناس»، زاد في أخرى<sup>(٢)</sup>: «تنزل معهم إذا نزلوا وتقبل معهم حيث قالوا».

وفيه<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادرُوا بالأعمالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

وفي رواية<sup>(٤)</sup>: «الدَّجَالُ، والدُّخَانُ، ودَابَّةُ الأَرْضِ، وطلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرُ الْعَامَةِ، وَخَوَاصَّةُ أَحَدِكُمْ».

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى: «باب لا ينفع نفساً إيمانها». حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».

وقال أيضاً<sup>(٦)</sup> رحمه الله تعالى في كتاب الفتن: «حدثنا أبو اليمان أخبرنا

(١) لمسلم ٢٢٢٦/٤ رقم ٢٩٠١/٤٠.

(٢) لمسلم ٢٢٢٧/٤ رقم ٢٩٠١/٤١.

(٣) أي مسلم في صحيحه ٢٢٦٧/٤ رقم ٢٩٤٧/١٤٨.

(٤) لمسلم ٢٢٦٧/٤ رقم ٢٩٤٧/١٢٩.

(٥) في صحيحه ٢٩٧/٨ رقم الباب ١٠.

والحديث أخرجه البخاري ٢٩٧/٨ رقم ٤٦٣٦ و (١١/٣٥٢ رقم ٦٥٠٦)، ومسلم (١/

١٣٧ رقم ١٥٧).

(٦) أي البخاري في صحيحه (١٣/٨١ - ٨٢ رقم ٧١٢١).

شعيبٌ حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يُبعثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يُقبضَ العلمُ، وتكثرَ الزلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتظهرَ الفتنُ، ويكثرَ الهرجُ - وهو القتل - وحتى يكثرَ فيكم المالُ فيفيضُ حتى يهَمَّ ربُّ المالِ: مَنْ يقبلُ صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أربَ به، وحتى يتناولَ الناسُ في البنيانِ، وحتى يمرَّ الرجلُ بقبر الرجلِ فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلعَ الشمسُ من مغربها فإذا طلعت ورأها الناسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً. ولتقومنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبنٍ لِفَحْتِهِ فلا يطعمه، ولتقومنَّ الساعةُ وهو يَلِيطُ حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعةُ وقد رَفَعَ أَكْلَتَهُ إلى فيه فلا يطعمها».

وفي الصحيحين <sup>(١)</sup> عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمسُ: «أتدري أين تذهب؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجدَ تحت العرشِ فتستأذن فيؤذنُ لها، ويوشك أن تسجدَ فلا يُقبل منها، وتستأذنُ فلا يؤذنُ لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطعُ من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وفي صحيح مسلم <sup>(٢)</sup> عن أبي زُرعة عن عبد اللّهِ بن عمرو قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أولَ الآياتِ خروجاً طلوعِ الشمسِ من مغربها وخروجُ الدابةِ على الناسِ ضُحَى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتيها فالأخرى على أثرها قريباً».

وفيه <sup>(٣)</sup> عن فاطمة بنتِ قيسٍ - وكانت من المهاجراتِ الأولِ رضي الله عنها - قالت:

(١) البخاري (٥٤١/٨ رقم ٤٨٠٢) و (٢٩٧/٦ رقم ٣١٩٩)، ومسلم (١٣٨/١ رقم ١٥٩).

(٢) (٢٢٦٠/٤ رقم ٢٩٤١).

(٣) أي في صحيح مسلم (٢٢٦١/٤ رقم ٢٩٤٢).

سمعتُ نداءَ المنادي منادي رسولِ اللهِ ﷺ ينادي: الصلاةُ جامعةٌ، فخرجتُ إلى المسجدِ فصليتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ فكنتُ في صفِ النساءِ التي تلي ظهورَ القومِ. فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ صلاتَه جلسَ على المنبرِ وهو يضحكُ فقال: «يلزَمُ كلُّ إنسانٍ مصلاهُ. ثم قال: أتدرونَ لِمَ جمعْتُكم؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: إني واللهِ ما جمعْتُكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ، ولكن جمعْتُكم لأن تميماً الداريِّ كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايعَ وأسلمَ، وحدثني حديثاً وافقَ الذي كنتُ أحدثُكم عن مَسِيحِ الدَّجَالِ.

حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَحَمٍ وَجُدَامٍ، فلعبَ بهم الموجُ شهراً في البحرِ، ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحرِ حتى مغربِ الشمسِ فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابةً أهلكُ كثيرُ الشعرِ لا يدرون ما قُبَلُهُ من دُبره من كثرة الشعرِ، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسةُ. قالوا: وما الجساسةُ؟ قالت: أيها القومُ انطلقوا إلى هذا الرجلِ في الديرِ فإنه إلى خبركم بالأشواقِ. قال: لما سمَّتُ لنا رجلاً فرُفنا منها أن تكونَ شيطانةً، قال: فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الديرَ فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناه قطُ خلقاً وأشدُّه وثاقاً، مجموعةٌ يدها إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديدِ. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناسٌ من العربِ ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحرَ حين اغتلم، فلعبَ بنا الموجُ شهراً ثم أرفأنا<sup>(١)</sup> إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرةَ فلقينا دابةً أهلكُ<sup>(٢)</sup> كثيرةَ الشعرِ لا يُدرى ما قُبَله من دُبره من كثرة الشعرِ، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسةُ. قلنا: وما الجساسةُ؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجلِ في الديرِ فإنه إلى خبركم بالأشواقِ. فأقبلنا إليك سِراعاً. وفرغنا منها ولم نأمن أن تكونَ شيطانةً. فقال: أخبروني عن نخلِ بَيْسَانَ. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألُكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشكُ أن لا يُثمرَ. قال: أخبروني عن بحيرة طبرية<sup>(٣)</sup>. قالوا:

(١) أرفأنا: أي التجأنا.

(٢) أهلكُ: الأهلكُ: غليظ الشعرِ، كثيره.

(٣) بحيرة طبرية: هي بحر صغير معروف بالشام.



عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَرَ<sup>(١)</sup>. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خيرٌ لهم أن يطيعوه. وإني مُخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة<sup>(٢)</sup> فهما محرمتان عليّ كِلْتاهما، كلما أردتُ أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملكٌ بيده السيفُ صلّتا<sup>(٣)</sup> يصدني عنها، وإن على كل نقيب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة. يعني المدينة. ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم. قال: فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو، وأوماً بيده إلى المشرق. قالت: فحفظتُ هذا من رسول الله ﷺ.

قال النووي<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: الأهلُبُ الغليظُ الشعرِ كثيرُه، وسُميت الجساسة لتجسسها الأخبارَ للدجال.

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

وفيه<sup>(٦)</sup> عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة

(١) عين زغر: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٢) طيبة: هي المدينة. ويقال لها أيضاً: طابة.

(٣) صلّتا: بفتح الصاد وضمها، أي: مسلولاً.

(٤) في شرحه لمسلم (٨١/١٨).

(٥) انظر: شرح النووي (٧٨/١٨)، والنهاية (٢٧٢/١).

(٦) أي في صحيح مسلم (٢٢٠٨/٤) رقم ٢٨٨٠/٢.

أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: «خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتح اليوم من رذم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها - قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث».

وفيه <sup>(١)</sup> عن النّوّاس بن سَمْعَانَ قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فحَفَّضَ فيه ورَفَعَ حتى ظنَّاهُ في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عَرَفَ ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فحَفَّضْتَ فيه ورَفَعْتَ حتى ظنَّاهُ في طائفة النخل، فقال: غيرُ الدَّجَالِ أخوْفُني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيبُهم دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤٌ حجِيبٌ نفسه، واللَّهُ خليفتي على كل مسلم. إنه شابٌ قَطَطٌ <sup>(٢)</sup> عينُه طائفةٌ كأنِّي أُشبهُه بعبد العزى بن قَطَنِ، فمن أدركهُ منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف <sup>(٣)</sup>. إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ رقم ٢٩٣٧/١١٠).

(٢) قَطَطٌ: أي شديد جعودة الشعر، مباعِدٌ للجعودة المحبوبة.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (١/٥٥٥ رقم ٨٠٩٠/٢٥٧).

عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُوْرَةِ الْكُهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ».

وفي رواية لمسلم (١/٥٥٦ رقم ٨٠٩/...) : «من آخر الكهف».

وأخرجه أبو داود (٤/٤٩٧ - ٤٩٨ رقم ٤٣٢٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٥١) عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «من حفظ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُوْرَةِ الْكُهْفِ عَصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ».

وفي رواية لأبي داود: «من حفظ من خواتيم سورة الكهف...».

وأخرجه الترمذي (٥/١٦٢ رقم ٢٨٨٦) عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكُهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ». وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأشار المباركفوري إلى هذا الخلاف بين الروايات، ثم حاول دفعه فذكر أولاً ما قيل في الجمع بين رواية الترمذي: «من قرأ ثلاث آيات»، ورواية الآخرين: «من حفظ عشر آيات...» ونقل فيه قولين:

(أحدهما) دعوى النسخ. فقال بعضهم: إن حديث العشر متأخر، ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث، وقيل: حديث الثلاث متأخر، ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر، =

فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا<sup>(١)</sup>، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَائْتُوا. قلنا: يا رسول الله وما لُبُّهُ في الأرض؟ قال: أُرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَنَةِ، وَيَوْمَ كَشْهَرٍ، وَيَوْمَ كَجَمْعَةِ، وَسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَامِكُمْ. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كَسَنَتْهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ؟ قال: لا، اقْدِرُوا لَهُ قُدْرَهُ. قلنا: يا رسول الله وما إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قال: كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دَرَأً وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ. ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيَصْبِحُونَ مُنْحَلِينَ<sup>(٢)</sup> لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَمْرُ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كَنُوزَكَ فَتَتَّبِعُهُ كَنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ<sup>(٣)</sup>. ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مَمْتَلِكًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ<sup>(٤)</sup> رَمِيَةً الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ.

= واعترض على القول بالنسخ، بأن مجرد الاحتمال لا يحكم به النسخ، وأيضاً أن النسخ لا يدخل في الأخبار.

(القول الثاني): حديث الثلاث في القراءة، وحديث العشر في الحفظ، فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفى وعصم من فتنة الدجال.

ولكن ترد عليه رواية حجاج عند الإمام أحمد (٤٤٦/٦) وعند عثمان بن سعيد الداني في «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها» (١١٨١/٦ - ١١٨٢ رقم ٦٥٧) وفيها: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال».

قلت: والأظهر فيما يبدو لي رواية الآخرين وهم أكثر، على رواية الترمذي وقد انفرد بها. وأما الاختلاف الثاني فذكر نقلاً عن السيوطي أن ذلك - أي العصمة من الدجال - من خصائص السورة كلها. فقد روى الحاكم في المستدرک (٥١١/٤) موقوفاً على أبي سعيد الخدري بلفظ: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم خرج إلى الدجال، لم يسلط عليه، أو لم يكن عليه سبيل». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وانظر شرح النووي لمسلم (٩٣/٦)، وتحفة الأحوذی (١٩٥/١٠ - ١٩٦).

(١) فعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا: العيث الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه. وحكى القاضي أنه رواه بعضهم: معَاثٍ، اسم فاعل، وهو بمعنى الأول.

(٢) المحل، على وزن فحل. الجذب والقحط. والإمحال كون الأرض ذات جذب وقحط. يقال: أمحل البلد إذا أجذب.

(٣) هي ذكور النحل. هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة. لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.

(٤) أي قطعتين.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين<sup>(١)</sup>، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كجمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان<sup>(٢)</sup> لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. وبعث الله بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء. ويخصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف<sup>(٣)</sup> في رقابهم فيصبحون فرسى<sup>(٤)</sup> كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم وتنتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل، فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة<sup>(٥)</sup>، ثم يقال للأرض:

(١) روي بالدال المهملة والذال المعجمة. والمهملة أكثر. والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم. وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة، كما هو المشهور. ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين.

(٢) يدان: تشبة يد. قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة. يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان.

(٣) النغف: هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

(٤) أي قتلى، واحدهم فريس، كقتيل وقتلى.

(٥) روي: الزلفة. وروي: الزلفة. وروي: الزلفة. قال القاضي: وكلها صحيحة. واختلفوا في معناه. فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه: كالمرأة. وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً. شبهها بالمرأة في صفاتها ونظافتها. وقيل: كمصانع الماء. أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء. وقيل: كالصفحة. وقيل: كالروضة.

أُنْبِي ثَمْرِكُ وَرُدِّي بَرَكَتِكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ<sup>(١)</sup> مِنَ الرَّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ حَتَّى إِنْ اللَّفْحَةَ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِثَامَ<sup>(٣)</sup> مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقْرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفِخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطِطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ<sup>(٤)</sup>، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

زاد في رواية<sup>(٥)</sup> بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء؛» ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر<sup>(٦)</sup> وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً».

وفيه<sup>(٧)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرائي الناس فقال: إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية».

وفيه<sup>(٨)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أُنذِر

- 
- (١) هي الجماعة.
  - (٢) بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان، الكسر أشهر. وهي القرية العهد بالولادة وجمعها لِقْح كبركة وبرك. اللَّفْحُ ذات اللبن. وجمعها لِقَاح.
  - (٣) هي الجماعة الكثيرة.
  - (٤) يتهارجون فيها تهارج الحمير: أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكثرثون لذلك.
  - (٥) والزهج، بإسكان الراء: الجماع. يقال: هرج زوجته، أي جامعها، يهرجها يهرجها يفتح الراء وضمها وكسرهما.
  - (٦) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٥٥ رقم ٢٢٩٣٧/١١١).
  - (٧) الخمر: هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. وقد فسره الحديث، بأنه جبل بيت المقدس، لكثرة شجره.
  - (٨) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٧ رقم ١٠٠/١٦٩).
  - (٩) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٨ رقم ١٠١/٢٩٣٣).
  - قلت: وأخرجه البخاري (١٣/٩١ رقم ٧١٣١).

أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ ف ر». .  
وفي رواية<sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ: «الدجالُ ممسوحُ العينِ مكتوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ  
كافرٌ - ثم تهجأها ك ف ر - يقرأه كلُّ مسلمٍ».

وفيه<sup>(٢)</sup> عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله: «لأننا أعلمُ بما مع الدجالِ  
منه، معه نهرانِ بجريانٍ، أحدهما رأيُ العينِ ماءٌ أبيضٌ، والآخرُ رأيُ العينِ نارٌ  
تأججُ، فإذا أدركهما أحدٌ فلياتِ النهرِ الذي يراه ناراً وليغمضُ ثم ليطأطِئَ رأسَهُ  
فيشربُ منه، فإنه ماءٌ باردٌ. وإن الدجالَ ممسوحُ العينِ عليها ظفرةٌ غليظةٌ مكتوبٌ  
بينَ عَيْنَيْهِ: «كافرٌ»، يقرأه كلُّ مؤمنٍ كاتبٍ وغيرِ كاتبٍ».

قال النووي<sup>(٣)</sup>: ظفرةٌ بفتح المُعْجَمَةِ والفاءِ، وهي جِلْدَةٌ تَغْشَى البَصَرَ، وقال  
الأصمعيُّ: لَحْمَةٌ تَنْبُتُ عِنْدَ المَأْقَى.

وفيه<sup>(٤)</sup> عن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ، قال: «حدثنا رسولُ الله ﷺ يوماً حديثاً  
طويلاً عن الدجالِ، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو مُحْرَمٌ عليه أن يدخُلَ  
نقَابَ المَدِينَةِ، فينتهي إلى بعضِ السُّبَاخِ التي تلي المَدِينَةَ فيخرجُ إليه يومئذٍ  
رجلٌ هو خيرُ الناسِ - أو من خيرِ الناسِ - فيقولُ له: أشهدُ أنك الدجالُ الذي  
حدثنا رسولُ الله ﷺ، فيقولُ الدجالُ: أرايتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته أتشكِّونَ  
في الأمرِ؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يُحييه، فيقول حين يحييه: واللَّهِ ما  
كنتُ فيك قطُّ أشدَّ بصيرةً مني الآن. قال: فيريدُ الدجالُ أن يقتله فلا يُسَلِّطُ  
عليه».

ورواية<sup>(٥)</sup> قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُخرجُ الدجالُ، فيتوجهُ قبْلَهُ رجلٌ من

(١) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٤٨ رقم ٢٩٣٣/١٠٣).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٩ رقم ٢٩٣٤/١٠٥).

(٣) في شرحه لمسلم (١٨/٦١ - ٦٢).

(٤) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٥٦ رقم ٢٩٣٨/١١٢).

قلت: وأخرجه البخاري (١٣/١٠١ رقم ٧١٣٢).

(٥) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٥٦ - ٢٢٥٧ رقم ٢٩٣٨/١١٣).

المؤمنين، فتلقاه المسائخ - مسائخ الدجال - فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن برؤنا؟ فيقول: ما برنا خفاءً، فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله ﷺ. قال: فيأمر الدجال به فيشج فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤثر بالمشمار من مفرقه حتى يفرق بين رجله، قال: ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال ثم يقول: يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى تزقوته<sup>(١)</sup> نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيؤخذ بيديه ورجليه فينقذ به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقى في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

وفيه<sup>(٢)</sup> عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة ابن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به، تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله - أو: لا إله إلا الله، أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يُحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير - أو إيمان - إلا قبضت حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: «فيبقى

(١) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) أي في صحيح مسلم ٢٢٥٨/٤ - ٢٢٥٩ رقم ١١٦/٢٩٤٠.

شرازُ الناس في خِفةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطانُ فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثانِ وهم في ذلك دارٌ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أضغى لیتاً ورفع لیتاً<sup>(١)</sup>. قال: وأولُ من يسمعه رجلٌ يلوط حوضَ إبله<sup>(٢)</sup>، قال: فيصعقُ ويصعقُ الناسُ، ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - عز وجل مطراً كأنه الطلُّ أو الظلُّ (نعمان الشاك) فتثبت منه أجسادُ الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلُمَّ إلى ربكم، وقفوههم إنهم مسؤولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعثُ النار، فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يومٌ يجعل الولدان شيباً، وذلك يومٌ يُكشف عن ساق».

وفيه<sup>(٣)</sup> عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس من بلدٍ إلا سيّطاهُ الدجالُ، إلا مكةُ والمدينةُ، وليس نقبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكةُ صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينةُ ثلاثَ رجفاتٍ يخرج إليه منها كلُّ كافرٍ ومنافق».

وفي رواية<sup>(٤)</sup>: «فيأتي سبخةُ الجُزفِ فيضرب رواقه، وقال: فيخرج إليه كلُّ منافقٍ ومنافقة».

قال النووي<sup>(٥)</sup>: فيضرب رواقه أي ينزل هناك ويضع ثقله. والجُزف قال في القاموس<sup>(٦)</sup>: موضعٌ بقرب المدينة وموضعٌ قرب مكةَ وموضعٌ باليمن وموضعٌ باليمامة. والمقصود في الحديث هو الأول.

(١) أضغى لیتاً ورفع لیتاً: أضغى أمال. واللّيت صفحة العنق، وهي جانبه.

(٢) يلوط حوض إبله: أي يطينه ويصلحه.

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٦٥ رقم ١٢٣/٢٩٤٣).

قلت: وأخرجه البخاري (٤/٩٥ رقم ١٨٨١) وأطرافه رقم (٧١٢٤، ٧١٣٤، ٧٤٧٣).

(٤) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٦٦ رقم ٢٩٤٣/...).

(٥) في شرحه لمسلم (١٨/٨٥).

(٦) المحيط (ص١٠٢٩).



وفيه (١) عنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة».

وفيه (٢) عن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ». قالت أم شريك: يا رسولَ الله فأين العربُ يومئذ؟ قال: هم قليلٌ.

وفيه (٣) عن عمرانَ بنِ حصينٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما بين خلقِ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ خلقُ أكبرُ من الدجال».

والأحاديثُ في ذكرِ الدجالِ وصفتهِ، والإنذارِ منه والتحذيرِ عنه أكثرُ من أن تُحصى، وأعظمُ من أن تُستقصى. وكذا الأحاديثُ في الفتنِ والملاحمِ بين يدي القيامةِ وغيرها من أشرافِ الساعةِ. وقد أمرنا رسولُ الله ﷺ بالاستعاذةِ من فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدجالِ في كل صلاةٍ فريضةً أو نافلةً (٤).

وفي الترمذي (٥) عن مُحَرِّزِ بْنِ هَارُونَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٦٦ رقم ٢٩٤٤/١٢٤).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٦٦ رقم ٢٩٤٥/١٢٥).

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٦٦ - ٢٢٦٧ رقم ٢٩٤٦/١٢٦).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (١/٤١٢ رقم ٥٨٨/١٢٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع. يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

(٥) في السنن (٤/٥٥٢ رقم ٢٣٠٦) وقال: هذا حديث غريب حسن.

قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/٢٣٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٤٣٤).

عن محرز بن هارون قال: سمعت الأعرج يحدث عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الحافظ في «التقريب» رقم (٦٤٩٩): محرز بن هارون: متروك.

وقال العقيلي: محرز بن هارون، قال البخاري: منكر الحديث. وقد روي هذا الحديث بغير هذا الإسناد من طريق أصح من هذا اهـ.

قلت: والطريق التي أشار إليها العقيلي أخرجها الحاكم في المستدرک (٤/٣٢١) من طريق عبد الله عن معمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر».

قال الحاكم: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط =

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا إلى فقر مُنْسٍ، أو غِنَى مَطْغِيٍّ، أو هَرَمٍ مَقْنَدٍ، أو الدجالِ فشرُّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعةِ فالساعةُ أدهى وأمرُّ»، ثم قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَحْرُزِ بْنِ هَارُونَ. وَرَوَى مَعْمَرٌ <sup>(١)</sup> هَذَا الْحَدِيثَ عَمَّنْ سَمِعَ سَعِيداً الْمَقْبُرِيَّ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَحْوَ هَذَا.

### [الإيمان بالموت]

(ويدخل الإيمان بالموت وما من بعده على العباد حتماً)  
 (ويدخل) في الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذي هو المُفْضِي بِالْعَبْدِ إِلَى مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ سَاعَةٌ كُلُّ إِنْسَانٍ بِخُصُوصِهِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي الْحَدِيثِ الْمَتَقَدِّمِ: «إِنْ يَعِشَ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ» <sup>(٢)</sup>.

والإيمان بالموت يتناول أموراً:

منها تحثُّهُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢١﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾

[الرحمن].

= الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي  
 وقال الألباني في «الضعيفة» (٤/١٦٣ - ١٦٤) عقب كلام الحاكم والذهبي: «وهو كما قالوا في ظاهر السند، ولكنني قد وجدت له علة خفية، فإن عبد الله الراوي له عن معمر هو عبد الله بن المبارك، وقد أخرجه في كتابه «الزهد» وعنه البغوي في «شرح السنة» بهذا الإسناد إلا أنه قال: «أخبرنا معمر بن راشد عن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة...».

فهذا يبين أن الحديث ليس من رواية معمر عن المقبري، بل بينهما رجل لم يُسم. ويؤيد ذلك أنهم لم يذكروا في شيوخ معمر المقبري ولا في الرواة عن هذا معمرًا، ولو كان ذلك معروفًا لذكروه لجلالة كل منهما، فهذا الرجل المجهول هو علة هذا السند. والله أعلم. اهـ.  
 وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٢١) وهو حديث ضعيف تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْفُرُودِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَلْحُدَّ أَفْئِينَ مَتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿١٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي أَرْضِي بِكُمْ وَأَرْضَى بِكُمْ وَأَنْتُمُ الْمُهْتَابُونَ ﴿٥١﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذُ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون».

ومنها أن كلاً له أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يفصر عنه، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في عينه في أي مكان يكون وفي أي زمان، فلا يزداد فيه ولا ينقص منه، ولا يُغيّر ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى، وجرى به قضاؤه وقدره، وأن كل إنسان مات أو قُتل أو حُرق أو غرق، أو بأي حتفٍ هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفه عين، وأن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قدره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه، ولم يكن له بدٌ منه ولا محيصٌ عنه ولا مفرٌ له ولا مهربٌ ولا فكاكٌ ولا خلاص، وأتى وكيف وإلى أين ولاتٍ حينٍ مناص، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، الآية.

(١) أي في صحيح البخاري (١٣/٣٦٨ - ٣٦٩ رقم ٧٣٨٣).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢٠٨٦ رقم ٢٧١٧/٦٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْخُتْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. في مواضع من القرآن.

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْمَوْتُ أَلَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَكِّيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَا ضَلَّتْ رَأْسُهَا وَرَبُّهَا أَلَمْ تَرَىٰ أَنَّ الْبُرُوجَ مَبْنُوعَاتٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا رُجُلٌ مَّارَّةٌ يَأْكُمُونَ بِهَا الْأَفْسُفَ وَمِنْهَا لَعْنَةٌ وَأَلِيمٌ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِقَافَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وغيرها من الآيات.

وروى مسلم بن الحجاج<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى في صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها: «اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبي سفيان، وبأخي معاوية»، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك سألت الله تعالى لأجالٍ مضروبةٍ وأثارٍ موطوءةٍ وأرزاقٍ مقسومةٍ لا يُعجلُ شيئاً منها قبل حله ولا يؤخرُ منها يوماً بعد حله، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيراً لك».

(١) في صحيحه (٤/٢٠٥١ رقم ٣٣/٢٦٦٣).

وفي رواية<sup>(١)</sup>: «قد سألت الله لآجال مضرورية وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيدك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل».

وفي أخرى<sup>(٢)</sup>: «وآثار مبلوغة».

وعن ابن عباس<sup>(٣)</sup> رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، يقول: ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. يقول: كل ذلك في كتاب عنده. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم.

وأما حديث أنس في الصحيحين<sup>(٤)</sup> وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل»، فإنه مفسرٌ بحديث أبي الدرداء رضي الله عنه عند ابن أبي حاتم<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: «إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر».

ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاه كل عمر إليه، لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ

(١) لمسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٠ - ٢٠٥١ رقم ٢٦٦٣/٣٢).

(٢) لمسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٣/...

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/١٢٢/٢٢). وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (١١/٧) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) البخاري (١٠/٤١٥ رقم ٥٩٨٦)، ومسلم (٤/١٩٨٢ رقم ٢٥٥٧/٢٠).

(٥) في تفسيره (٣/٥٥٨ - كما في تفسير ابن كثير) بسند ضعيف.

عَدَاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴿﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. وتقدّمت الأحاديث في معناها.

وفي الحديث المشهور عند أحمد والترمذي وغيرهما عن جماعة من الصحابة<sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى قبض روح عبدٍ بأرض جعل له فيها - أو قال بها - حاجة».

(١) منهم: أبي عزة الهذلي، ومطر بن عكاس السلمي، وجندب بن سفيان، وعبد الله بن مسعود.

\* أما حديث أبي عزة الهذلي فقد أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٣٤/٤) والطبراني في «الكبير» (٣٧٦/٢٢) رقم (٧٠٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧٤/٨).

وفيه عبيد الله بن أبي حميد متروك الحديث قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٤٢٨٥) لكن تابعه أيوب.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٨٢) وابن حبان (رقم: ١٨١٥ - موارد) والدولابي في «الكنى» (٤٤/١) وأحمد (٤٢٩/٣) وعنه الحاكم (٤٢/١).

قال الحاكم: «صحيح، ورواته عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٢٢١/٣).

\* وأما حديث مطر بن عكاس السلمي فقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤٠٠/٧) والحاكم (٤٢/١).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٢١/٣) وهو كما قالوا إن كان أبو إسحاق - وهو السبيعي - سمعه من مطر؛ فإنه كان يدلس.

\* وأما حديث جندب بن سفيان فقد أخرجه الحاكم (٣٦٧/١) من طريق الحسن عنه. والحسن هو البصري وهو مدلس أيضاً.

\* وأما حديث عبد الله بن مسعود فقد أخرجه ابن ماجه (١٤٢٤/٢) رقم (٤٢٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٤٦) والطبراني في «الكبير» (٢٢٩/١٠) رقم (١٠٤٠٣) والحاكم (٤١/١ - ٤٢) بلفظ: «إذا كان أجل أحدكم بأرض، أثبت الله له إليها حاجة، فإذا بلغ أقصى أثره توفاه، فتقول الأرض يوم القيامة: يا رب هذا ما استودعني».

قال الحاكم: احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم.

ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٢٢٢/٣).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣١١) رقم (٤٢٦٣/١٥٢٦) «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

ومنها ذكرُ العبدِ الموتِ، وجعله على باله كما هو الرذمُ بينه وبين آماله، وهو المُفضي به إلى أعماله، وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله، وإلى الجزاء الأوفى من الحكمِ العَدْلِ في شرعه، وقَدَرِه وقضائِه، ووعده ووعيدِه، فلا يعاقب أحداً بذنب غيره، ولا يهضمُه ذرّةً من حُسن أعمالِه.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي<sup>(١)</sup> والنسائي<sup>(٢)</sup> وابن جبان<sup>(٣)</sup> وصححه قال: قال رسولُ الله: «أكثرُوا ذكرَ هادمِ<sup>(٤)</sup> اللذاتِ» الموتِ.

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: بابُ قولِ

(١) في السنن (٤/٥٥٣ رقم ٢٣٠٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) في السنن (٤/٤ رقم ١٨٢٤).

(٣) في صحيحه (٧/٢٥٩ رقم ٢٩٩٢) بإسناد حسن.

قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٥٨) ونعيم بن حماد في زيادات «الزهد» لابن المبارك رقم (١٤٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/٢٩٢ - ٢٩٣) و (١/٣٨٤) والحاكم (٤/٣٢١) من طرق.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وسقط من سند الحاكم «محمد بن إبراهيم». وله شواهد من حديث أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعمر بن الخطاب، وزيد بن أسلم، وأبي سعيد الخدري.

\* أما حديث أنس بن مالك، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٥٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/٧٢ - ٧٣) وسنده صحيح. وصححه الضياء المقدسي في المختارة (١/٥٢١).

\* وأما حديث عبد الله بن عمر، فقد أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٧١) وفيه القاسم بن محمد الأزدي لا يعرف بجرح ولا تعديل.

\* وأما حديث عمر بن الخطاب، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/٣٥٥) وفي سنده راوٍ مجهول.

\* وأما حديث زيد بن أسلم فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٤٥) ومن طريقه البغوي رقم (١٤٤٧) مرسلًا.

\* وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه الترمذي (٤/٦٣٩ - ٦٤٠ رقم ٢٤٦٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهد، والله أعلم.

(٤) هادم اللذات: هي بالذال المعجمة وبالذال المهملة. أي قاطعها، فإن الموت يقطع لذات الدنيا.

(٥) في صحيحه (١١/٢٣٣ رقم ٦٤١٦).

النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»، حدثنا عليُّ بنُ عبدِ الله حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ أبو المنذرِ الطفاوئيُّ عن سليمانَ الأعمشِ، قال: حدثني مجاهدٌ عن عبدِ الله بنِ عمرَ ﷺ قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»، وكان ابنُ عمرَ ﷺ يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء. وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

ثم قال<sup>(١)</sup>: بابٌ في الأمل وطولِه وقولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] - بمزحزحه بمبايعده - وقوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وقال عليُّ ﷺ: «ارتحلتِ الدنيا مُدْبِرَةً، وارتحلتِ الآخرةُ مُقْبِلَةً، ولكلِّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عملٌ».

حدثنا صدقةُ بنُ الفضلِ أخبرنا يحيى بنُ سعيدٍ عن سفيانَ قال: حدثني أبي عن منذرٍ عن ربيعِ بنِ خيثمٍ عن عبدِ اللّهِ ﷺ قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطاً مربعاً وخطَّ خطاً في الوسطِ خارجاً منه وخطَّ خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسطِ من جانبه الذي في الوسطِ وقال: «هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه محيطٌ به أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارجٌ أمله، وهذه الخططُ الصغارُ الأغراضُ، فإن أخطأه هذا نهشَه هذا، وإن أخطأه هذا نهشَه هذا»<sup>(٢)</sup>.

حدثنا مسلمٌ حدثنا همامٌ عن إسحاقِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي طلحةَ عن أنسِ ﷺ قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطوطاً فقال: «هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخطُّ الأقربُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي البخاري في «صحيحه» [(١١/٢٣٥ رقم الباب ٤)] وأثر علي جاء عنه موقوفاً ومرفوعاً ولم يصح رفعه، انظر: «تغليق التعليق» (١٥٨/٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١/٢٣٥ - ٢٣٦ رقم ٦٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١١/٢٣٦ رقم ٦٤١٨).



ومنها - وهو المقصود الأعظم - التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دُهوم البلاء وحلوله، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحدُّ الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه، إذ ليس بعده لأحد من مُستغْتَبٍ ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء، ولا درهم ولا دينار، ولا مقعدٍ ولا منزلٍ إلا القبر، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخريين، وأهل السموات والأرضين والموقفِ الطويل بين يدي القويّ المتين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، الحكيم العليم المُقسِطِ العادل الحكيم، الذي لا يحيف ولا يجور، ولا يظلم مثقال ذرة، إن ربي على صراط مستقيم.

ثم إما نعيمٌ مقيمٌ في جنات النعيم، وإما عذابٌ أليمٌ في نار الجحيم، وإن لكل ظاعنٍ مقرّاً، ولكل نباٍ مستقرّاً وسوف تعلمون، قال الله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْحَمْنِي﴾ (٩١) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٣٠) ﴿[المؤمنون] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلَهِكُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١) ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) ﴿[المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]. وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مُّجِبًا دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلِ مَّا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. الآيات.

وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال

وشديد الأنكال، والمقامع والأغلال، والسلاسل الطوال، وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال، ولا يغني بالخبر عنه ضرب الأمثال، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام] الآيات.

وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسوا رؤوسهم بين يديه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكَسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [السجدة: ١٢] الآيات.

وكذلك يسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم، وعذابها الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَا وَأُحْيَيْنَا وَآحْيَيْتَنَا آتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١] وغيرها من الآيات.

ويجمع كل ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٣] وغيرها من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يموت إلا ندم»، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع»، رواه الترمذي <sup>(١)</sup> وغيره.

(١) في السنن (٤/٦٠٣ - ٦٠٤ رقم ٢٤٠٣) وقال: «هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، ويحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة، وهو يحيى بن عبيد الله بن موهب مدني». قلت: وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٦٦٠ - ٢٦٦١). ويحيى بن عبيد بن موهب متروك. وأفحش الحاكم فرماه بالوضع. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٥٩٩). وأورده المقدسي في «ذخيره الحفظ» (٤/٢١٠٢ رقم ٤٨٦٥). وضعف الألباني الحديث في ضعيف الجامع رقم (٥١٤٦)، وفي ضعيف الترمذي (٤٢٠)، وهو كما قال حفظه الله.

وله<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مالٌ يُبلّغه حجَّ بيتِ ربِّه، أو تجبُّ عليه فيه زكاةٌ فلم يفعلْ سأل الرجعةَ عند الموت. فقال رجل: يا ابنَ عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعةَ الكفارُ، فقال: سألتو عليك بذلك قرأناً: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾﴾ وَكُن يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون]، قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحجَّ؟ قال: الزادُ والبعيرُ.

وقال قتادة<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: ٤٩]، قال: كان العلاءُ بنُ زيادٍ يقول: لِيُنزَلَ أَحَدَكُمْ نَفْسَهُ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَاسْتَقَالَ رَبَّهُ فَأَقَالَه فليعمل بطاعة ربه تعالى.

وقال قتادة<sup>(٣)</sup>: وَاللَّهِ مَا تَمَنَّى إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ فَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَانظُرُوا أُمْنِيَةَ الْكَافِرِ الْمُفْرَطِ فاعملوا بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى ابنُ أبي حاتم<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا وُضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول: رَبِّ ارْجِعُونِ أَتُوبُ وَأَعْمَلُ صَالِحًا، قال فيقال: قد عُمِّرْتَ ما كنت مُعَمَّرًا. قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوي إليه هوامُّ الأرض وحياتها وعقاربها.

وروى الإمامُ أحمد<sup>(٥)</sup> والنسائي<sup>(٦)</sup> من حديث أبي بكر بن عياشٍ عن الأعمش

(١) أي للترمذي في السنن (٥/٤١٨ - ٤١٩ رقم ٣٣١٦) بسند ضعيف، منقطع.  
أبو جَنَاب الكلبى ضعيف لكثرة تدليسه: «التقريب» رقم (٧٥٣٧) ورواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/٢٦٦) عنه.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/٢٦٦) عنه.

(٤) كما في «الدر المنثور» (٦/١١٤) وابن كثير (٣/٢٦٦). وزاد السيوطي في الدر نسبه إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت».

(٥) في المسند (٢/٥١٢) بسند صحيح.

(٦) في الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (٩/٣٧٤).

عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني، فتكونُ عليه حصرةً قال: وكلُّ أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني، قال: فيكون لهم الشكر».

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم<sup>(١)</sup>: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها» الحديث، وحديثه عند الترمذي<sup>(٢)</sup>: «بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا إلى فقرٍ مُنْسٍ» الحديث.

وفي صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ».

وللحاكم<sup>(٤)</sup> عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبلَ خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». يعني إن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغني والفراغ والحياة، هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أصدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال، بعد التفريط منه والإهمال، في زمن الفرصة والإمهال، فإن بعد كل شبابٍ هرمًا،

= وقد أخرج البخاري (٣١٧/٦ رقم ٣٢٤٠) ومسلم (٢١٩٩/٤ رقم ٢٨٦٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدكم فإنه يُعرَضُ عليه مقعده بالغدأة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار».

(١) في صحيحه (٢٢٦٦/٤ رقم ٢٩٤٦). وقد تقدم.  
 (٢) في السنن (٥٥٢/٤ رقم ٢٣٠٦) وقد تقدم. وهو حديث ضعيف.  
 (٣) في صحيحه (٢٢٩/١١ رقم ٦٤١٢).  
 (٤) في المستدرک (٣٠٦/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وهو كما قالا.

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (١٦/٢ - مع الفيض) للبيهقي في «شعب الإيمان» وحسنه. كلاهما من حديث ابن عباس.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٩٨/٤) والبغوي في شرح السنة (٢٢٣/١٤ رقم ٤٠٢١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» رقم (١٧٠).

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (١٦/٢ - مع الفيض) لأحمد في الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان، كلهم عن عمرو بن ميمون مرسلًا.

وقد صحح الألباني الحديث في «صحيح الجامع» (٢٤٣/١ رقم ١٠٧٧).

وبعد كلِّ صحَّةٍ سَقَمًا، وبعد كلِّ غِنَى فقرًا، وبعد كلِّ فراغٍ شُغلاً، وبعد كلِّ حياةٍ موتًا، فمن فَرَط في العملِ أيامَ الشبابِ لم يدركه في أيامِ الأهرمِ، ومن فَرَط فيه في أوقاتِ الصحَّةِ لم يدركه في أوقاتِ السَقَمِ، ومن فَرَط فيه في حالةِ الغنى فلم ينلِ القُرْبَ التي لم تُنلِ إلا بالغنى لم يدركه في حالةِ الفقرِ، ومن فَرَط فيه ساعةِ الفراغِ لم يدركه عند مجيءِ الشواغلِ، ومن فرط في العملِ في زمنِ الحياةِ لم يدركه بعد حيلولةِ المماتِ، فعند ذلك يتمنى الرجوعَ وقد فات، ويطلب الكثرةَ وهيهات، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات.

ولقد حُثنا اللهُ عز وجل أعظمَ الحثِّ وحضنا أشدَّ التحضيضِ، ودعانا إلى اغتنامِ الفُرصِ في زمنِ المهلةِ، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه، إذ يقول تعالى في مُحكم كتابه داعياً عباده إلى بابه يا من يسمع صريخَ خطابه ويتأمل لطيفِ عتابه: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ الَّذِينَ آتَرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣] الآيات. وقال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧] الآيات، وغيرها.

### [الإيمان بما بعد الموت]

ومنها الإيمان ب (ما) الذي (من بعده) أي من بعد الموت (على العباد حُتْمًا) من أحوال الإحضارِ إلى البعث والنشور، إلى أن يقضي اللهُ بين عباده ويستقرَّ كلُّ من الفريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. ونذكر ما تيسر من التقدير على كل أمر منها في محله من هذه الآيات الآتية إن شاء الله تعالى، وهذ أولها:

## [إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه]

(وإن كلاً مُقَعَدٌ مَسْؤُولٌ: ما الربُّ ما الدينُ وما الرسولُ)  
 (وعند ذا يثبَّت المهيمنُ بثابت القولِ الذين آمنوا)  
 (ويوقن المرتابُ عند ذلك بأنَّما مَوْرَدُهُ المهالك)

في هذه الآياتِ إثباتُ المسألةِ العظيمة، وهي إثباتُ سؤالِ القبرِ وفتنتِهِ وعذابه ونعيمه، وقد تظاهرت بذلك نصوصُ الشريعةِ كتاباً وسنةً، وأجمع على ذلك أئمةُ السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وإن أنكر ذلك بشرُّ المريسي<sup>(١)</sup> وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة، وحملوا على فاسد فهمهم قولَ اللّهِ عز وجل: ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتِ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]. وقولَه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا الموت مرتين لا موتة واحدة. وقالوا في الآية الثانية: إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الإسماع، ولو كان الميت حياً في قبره أو حاساً لم يستقم التشبيه.

قالوا: وأما من جهة العقل فإننا نرى شخصاً يُصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاءه ولا نشاهد فيه إحياءً ومسألةً، والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاءه في بطونها وحواصلها، وأبلغ منه من أحرقت حتى يُفْتَت، ودُرِّي أجزاءه المتفتتة في الرياح العاصفة شمالاً وجنوباً وقبلاً ودُبوراً، فإننا نعلم عدم إحيائه ومسألته وعذابه ضرورة.

هذه خلاصة شُبُههم الداحضة، ومحضُ آرائهم الكاسدة، وأفهامهم الفاسدة، وأذهانهم البائدة، ولا عجب ولا استغراب ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وجحد ما صرَّح به تعالى في محكم آياته، وردَّ ما صح عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، وحكم العقل في الشرع، وعارض الوحي الرحماني بالحدس الشيطاني، وقدم الآراء السقيمة، على السنن المستقيمة، وآثر الأهواء الذميمة على المَحَجَّة القويمة، فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أن ينكر

(١) تقدمت ترجمته.

عذابِ القبرِ وغيره من أنباء الغيبِ التي لا يشاهدها.

وما له لا يُنكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلا هذا الجسم الذي هو الجلدُ واللحمُ والعظمُ والعروقُ والأعصابُ والشرايينُ ونحوها مما يمتلئ بكثرة الطعام والشرابِ فيه، ويخلو بقلتهما عليه، وما له لا يُنكر ذلك وهو لا يُقرّ بوجود إلا مسموعاً متكلماً به مُبصراً مشموراً ملموساً، وما له لا يُنكر ذلك وطريقته في النصوص أبدأ تأويلُ الصريح وتضعيفُ الصحيح، وأنها آحادٌ ظنيّة لا تفيد اليقين، وليست بأصل بزعمه عند المحققين.

ولا ذنبٌ للنصوص وما نَقَم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرّحت بنقض دعواه، وسدّت عليه باب مغزاه، وأوجبت عليه نبدأ أقوالِ شيوخه، وهدمت عليه ما قد بناه، وألزمته باطراح كل قولٍ غير ما قاله الله أو رسوله ﷺ، ونادت عليه بأبلغ صوت: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والجوابُ عن الشبهة الأولى أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه، فإنها في صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا يبأسون ويخلدون فلا يموتون، وأين هذا من نفي عذابِ القبر الذي ادّعوه، وقوله: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنة، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد في البرزخ اتصالاً خاصاً ليتألم الجسد بما يتألم به، من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية.

بل ما المانع من كونها حياةً مستقرة لا تُشبه الحياة الدنيا وهي أعظم منها، فحجّب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمةً منه بهم، كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحاً، كما يشاء الله عز وجل، والفتح لباب الجنة للمؤمن وفقرّشه منها، وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمراب، وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه.

وأيضاً فأهل الجنة المشار إليهم بقوله: ﴿لَا يَدْرُؤُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، قد وردت فيها الأحاديث الصحيحة أن أرواحهم تسرح في الجنة في حواصل طيور خضري، كما روى الإمام أحمد<sup>(١)</sup> عن الإمام محمد بن

(١) في المسند (٣٠٨/١٢) رقم ١٥٧١٧ - الزين) بسند صحيح.

إدريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يُرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه».

وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. يقول الله تعالى لنبية ﷺ وأصحابه ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فهل شعرتُم بذلك يا معاشِر الزنادقة دونهم؟

ويقول تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

والموتة الثانية على أحد التفسيرين هي موتهُم بعد فتنة القبر، وتفسير الجمهور لا ينافي ذلك، فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودهم، والثانية على الخروج من الدنيا، ولم يعدوا نومتهُم بعد الفتنة في القبر موتةً مستقلةً لأن حال البرزخ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة، بل هو حاجزٌ بينهما، والتفسير الأول محمولٌ على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم.

وروى ابنُ أبي حاتم<sup>(١)</sup> بسنده عن أبي هريرة قال: إذا وُضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار، قال فيقول: رب ارجعون أتوب وأعملُ صالحاً، قال فيقال: قد عُمِرت ما كنت معمراً، قال: فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع، تهوي إليه هوامُ الأرض وحياتها وعقاربها.

= قلت: وأخرجه النسائي (١٠٨/٤ رقم ٢٠٧٣) وابن ماجه (١٤٢٨/٢ رقم ٤٢٧١) ومالك (٢٤٠/١ رقم ٤٩) والطيالسي (١٥٤/١ رقم ٧٤٠ - منحة) والطبراني في «الكبير» (١٩/٦٤ رقم ١٢١) والحميدي في مسنده (٣٨٥/٢ رقم ٨٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/١٥٦).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٦٦/٣) وقد تقدم.



## وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين:

(الأول): أن قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. نفياً لاستطاعة الرسول ﷺ أن يُسمِعَهُمْ، وليس ذلك بمُحال في قدرة الله أن يُسمِعَهُمْ كما أسمع أهل القلبِ تَبَكِّيَتَهُ ﷺ بقوله ﷺ: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»<sup>(١)</sup> الحديث سيأتي إن شاء الله، وهذا إذا حُمِلَ على نفي مطلقِ السماعِ بالكلية.

(الوجهُ الثاني): أنه لم ينفِ مطلقَ السماعِ، وإنما نفى سماع الاستجابة، كما يدل عليه قوله ﷺ في حديث القلبِ<sup>(٢)</sup>: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكنهم لا يُجيبون». وبهذا يتضح تشبيهُ الكفارِ بهم، فإن الكفارَ كانوا يسمعون كلامَ النبي ﷺ، ويسمعون منه كلامَ الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماعِ استجابة، ولهذا أثبت تعالى هذا السماعَ الظاهرَ لهم في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجنائفة: ٨]، ولو كان الكفارُ لم يسمعوا مطلقاً، لا سماعَ استجابةٍ ولا مطلقاً لم يكن القرآنُ حجةً عليهم ولم يكن الرسولُ بَلِّغُهُمْ لأنهم ما سمعوه منه، ولا أفسدَ من قول هذا لازمه.

وأما شُبُهَتُهُم العقليةُ فهي لا تليق إلا بعقولهم السخيفة، فإن الروحَ التي عليها العذابُ أو النعيمُ المتصلُ بالجسم أَلَمُهُ ليس بِمُدْرِكٍ في الدنيا ولا يعلمه إلا اللهُ، فمن كان لا يدرك روحَ من يمشي معه ويكلّمه ويأتمنه ويعامله، فكيف يدركه إذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا؟ وأيضاً فاحتجابُ ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغةِ ورحمته بهم.

وقد قال النبي ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله عز وجل أن يُسمِعَكُم من عذابِ القبرِ الذي أسمع»<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً فأكثرُ أمورِ الإيمانِ اعتقاداتٌ باطنةٌ منا لأُمورٍ غائبةٍ عنا، وهي أعلى صفاتِ أهل الإيمانِ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، وذلك غائبٌ عنا في الحياة

(١)(٢) سيأتي بتمامه وكذلك يأتي تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧/٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

وأخرجه مسلم (٤/٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٨/٦٨) من حديث أنس.

الدنيا، ونحن نعلمه عن الله علمَ اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة، ورأينا ذلك عينَ اليقين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]. والذي أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاءه يجمعه الذي أبدأه من لا أجزاء ولا أعضاء، وسيأتي الحديث فيه إن شاء الله.

ولا فرق بين من كذب بجمع هذا، وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] الآية.

فيا أيها الطالب الحق المتحرري الإنصاف، إليك نصوص الآيات المحكمة والسنن القائمة، فآلق لها سمعك وأحضر قلبك، وانظر بماذا عارضها الذين في قلوبهم زيغ، وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكم بالمشابه، ولم يردوا علم ما غرب عنهم علمه إلى عالمه، واحمد الله تعالى إذ هداك لما اختلفوا فيه، ووقفك لما انصرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، ﴿رَبِّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية.

قال أئمة التفسير: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أي إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أي اليوم تُهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله، وسيأتي في الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله.

ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضراً بين ظهرائي أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقرير والتوبيخ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائد، فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه - ولا يعلمه من كشف عنه - أولى وأظهر، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم، فلا بد للمخالف من أحد أمرين: إما أن يُقر بما أخبر الله تعالى به في المحتضّر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله، ورسوله، فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون.

وقال: ﴿ثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وأن المراد بالثبوت هو عند السؤال في القبر حقيقة، وأن من أنكر ذلك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

روى ابن أبي حاتم بسنده<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو دهم - حية عند رأسه وحية عند رجله يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك قريباً وسيأتي الأحاديث فيه.

(١) كما في «الدر المنثور» (١١٤/٦).

وأورده ابن كثير في تفسيره (٢٦٦/٣) مسنداً وفيه: علي بن زيد بن جدعان: وهو ضعيف. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٤٧٣٤).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آثْنَيْنِ وَأَعْيَتَنَا آثْنَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. ذكر العيني<sup>(١)</sup> هذه الآية في شرح هذا الباب من صحيح البخاري وقال: فإن الله تعالى ذكر الموتة مرتين، وهما لا تتحققان إلا أن يكون في القبر حياة وموت، حتى تكون إحدى الموتين ما يتحصل عقيب الحياة في الدنيا، والأخرى ما يتحصل عقيب الحياة التي في القبر اهـ.

قلت: وهذا هو تفسير السدي<sup>(٢)</sup> في هذه الآية حيث قال: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم، فخطبوا، ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة اهـ. والآية تحتمله، لكن المشهور عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup> وابن عباس<sup>(٤)</sup> والضحاك<sup>(٥)</sup> وقتادة<sup>(٦)</sup> وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقد قدمنا الجمع بين هذين التفسيرين، والله الحمد والمئة.

وقال تعالى: ﴿سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]. قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن إسحاق ما حاصله<sup>(٧)</sup>: إن المراد

- 
- (١) لم أجد هذا الكلام في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني، في تفسير سورة المؤمن (٤١٣/١٥ - ٤١٦).
- (٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٢/ج ٢٤/٤٨). وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١٤٢/٧).
- (٣) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف كما في «مجمع الزوائد» (١٠٢/٧).
- وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٣٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- وأورده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
- (٤) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه - كما في «الدر المنثور» (٧/٢٧٨) عنه.
- (٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج ٢٤/٤٦) عنه.
- (٦) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر - كما في «الدر المنثور» (٧/٢٧٨).
- (٧) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٩٩) فقد ذكر قول كل من: ابن جريج، والحسن البصري، ومحمد ابن إسحاق، وقتادة.

بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار. وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]. قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

روى ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها.

وفي حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه البيهقي<sup>(٣)</sup> وابن جرير<sup>(٤)</sup> وابن أبي حاتم من رواية أبي هارون العبدی عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

= وقال الشوكاني في «فتح القدير» (٤١٩/٢): عقب قول قتادة: «وقد روي عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين...».

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٧١/٣) عن الثلاثة.

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٨٨/٤ - ٨٩) مسنداً. وفيه «ليث بن أبي سليم».

قال ابن حجر في «التقريب» (رقم: ٥٦٨٥): «صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك».

وذكر البغوي في «معالم التنزيل» (١٥٠/٧) والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/٣١٩) والماوردي في «النكت والعيون» (١٥٩/٥) عن ابن مسعود: أن أرواح آل فرعون

في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها. فذلك عرضها.

(٣) في «دلائل النبوة» (٣٩٠/٢ - ٣٩٣).

(٤) في «جامع البيان» (١٥/٩ ج/١٣).

في سند البيهقي وابن جرير أبو هارون العبدی. واسمه: عمارة بن جوين، روى عن أبي

سعيد الخدري، وابن عمر. ضعفه شعبة، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وقال النسائي والحاكم:

«متروك»، وقال الجوزجاني: «كذاب مفتر».

انظر: المجروحين (١٧٧/٢) والميزان (١٧٣/٣).

قلت: وفي الأحاديث الصحيحة غنية عن هذا الضعيف.

فيه: «ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله عز وجل، رجال كل رجل منهم بطئه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وآل فرعون كالإبل المسومة يخيطون الحجارة والشجر ولا يعقلون».

وفي حديث عائشة<sup>(١)</sup> في قصة اليهودية التي قالت لها: وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة<sup>رضي الله عنها</sup> ذلك، فلما رأت النبي<sup>صلى الله عليه وسلم</sup> قالت له، فقال<sup>صلى الله عليه وسلم</sup>: «لا». قالت عائشة<sup>رضي الله عنها</sup>: ثم قال لنا رسول الله<sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بعد ذلك: «وإنه أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم»، وسيأتي إن شاء الله قريباً.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: «يقال: ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيا في البرزخ، وليس فيها دلالة - يعني تامة - على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ، وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية... وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنبه».

وهذا الجواب هو الراجح عندي لما يدل عليه قوله<sup>صلى الله عليه وسلم</sup>: «إنما يفتن يهود»، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تفتن. والجواب الأول مرجوح لأن الآيات أيضاً صريحة في اتصال عذاب القبر بالروح والجسد، وما ليس صريحاً منها فمحتمل يُحمل على الصريح إذ لم يجز في آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد».

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليس مَتَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل].

(١) أخرجه البخاري (٥٣٨/٢ رقم ١٠٤٩) وأطرافه رقم (١٠٥٥) و (١٢٧٢) و (٦٣٦٦).  
ومسلم (٦٢١/٢ - ٦٢٢ رقم ٩٠٣).

(٢) في تفسيره (٨٨/٤).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] الآية. وكذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوْقِفُهُمُ الْمَلَكَةُ طَبِيبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿بَيَّأَتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنِّي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

### [نصوص من السنة في إثبات عذاب القبر]

(فصل) وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملته الحديث ونقأده عن الجَمِّ الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمره بن جندب وعثمان وعليّ وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وزيد ابن أرقم وأبو بكره وعبد الرحمن بن سمره وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبد الله بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضاً وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك.

فأما حديث أنس بن مالك ﷺ فقال البخاري<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد. قال: وقال لي خليفة: حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وُضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعدها فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة».

(١) انظر: (٤/٨٧ - ٨٨).

(٢) في صحيحه (٣/٢٠٥ رقم ١٣٣٨) وطرفه رقم (١٣٧٤).

قال النبي ﷺ: «فيراها جميعاً. وأما الكافرُ أو المنافقُ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ثم يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». ورواه مسلم<sup>(١)</sup> من طَرُقَ عَنْ قَتَادَةَ بِنَحْوِهِ وَزَادَ فِيهِ: «قال قتادة: وذكّر لنا أنه يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً - يعني المؤمنَ - ويُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِراً إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ».

ولهما<sup>(٢)</sup> عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «وأعوذ بك من عذاب القبر».

ولمسلم<sup>(٣)</sup> عنه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ».

وأما حديثُ عبد الله بن عباسٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةٌ حدثنا جريزٌ عن الأعمش عن مجاهدٍ عن طاووسٍ، قال ابنُ عباسٍ ﷺ: «مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخرُ فكان لا يستتر من بوله»، ثم قال: «أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كلَّ واحدٍ منهما على قبرٍ ثم قال: لعله يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا»، رواه في مواضعٍ من صحيحه<sup>(٤)</sup>. ورواه مسلم<sup>(٥)</sup> أيضاً وغيره<sup>(٦)</sup>.

ولهما<sup>(٧)</sup> وللنسائي<sup>(٨)</sup> عنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ: «كان يعلمهم هذا الدعاء

(١) في صحيحه (٤/٢٢٠٠ - ٢٢٠١ رقم ٢٨٧٠).

(٢) أي البخاري (١١/١٧٦ رقم ٦٣٦٧)، ومسلم (٤/٢٠٧٩ رقم ٢٧٠٦).

(٣) في صحيحه (٤/٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٨).

(٤) البخاري (١/٣١٧ رقم ٢١٦) وأطرافه: (٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥).

(٥) في صحيحه (١/٢٤٠ - ٢٤١ رقم ٢٩٢).

(٦) كأبي داود (١/٢٥ - ٢٦ رقم ٢٠) والترمذي (١/١٠٢ - ١٠٣ رقم ٧٠) وابن ماجه (١/١٢٥ رقم ٣٤٧)، والنسائي (١/٢٨ - ٣٠ رقم ٣١).

(٧) أي البخاري ومسلم.

قلت: لم يخرججه البخاري انظر: «تحفة الأشراف» (٥/٢٧ رقم ٥٧٥٠) بل أخرجه مسلم في

صحيحه (١/٤١٣ رقم ٥٩٠) والنسائي (٨/٢٧٦ - ٢٧٧ رقم ٥٥١٢) والترمذي (٥/٥٢٤ رقم ٣٤٩٤) وابن ماجه (٢/١٦٦٢ رقم ٣٨٤٠) وأبو داود (١/٦٠١ - ٦٠٢ رقم ٩٨٤).

(٨) في السنن رقم (٥٥١٢) كما في التعليقة المتقدمة.



كما يعلم السورة من القرآن، قولوا: اللهم إنا نعوذُ بك من عذابِ جهنم، وأعوذُ بك من عذابِ القبر، وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذُ بك من فتنة المحيا والممات».

وأما حديثُ البراءِ بنِ عازبٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ بنُ عمرٍ حدثنا شعبةٌ عن علقمةَ بنِ مرثدٍ عن سعدِ بنِ عُبيدةَ عن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَى ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. رواه في مواضع<sup>(١)</sup> ووافقهُ عليه مسلم<sup>(٢)</sup> وغيره.

وروى الإمامُ أحمد<sup>(٣)</sup> عنه رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في جنازة

(١) أي البخاري (٣/٢٣١ - ٢٣٢ رقم ١٣٦٩) وطرفه رقم (٤٦٩٩).

(٢) في صحيحه (٤/٢٢٠١ رقم ٢٨٧١).

(٣) في المسند (٤/٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٩ - ٥٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٢٧٣): «هذا الحديث حديث حسن، رواه محتج بهم في الصحيح كما تقدم. وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، كذا قال أبو موسى الأصبهاني رحمه الله. والمنهال روى له البخاري حديثاً واحداً. وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عميد. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سُمِعَ من داره صوت قراءة بالتطريب. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إلي من المنهال.

وزاذان ثقة مشهور لأنه بعضهم. وروى له مسلم حديثين في صحيحه، ورواه البيهقي - في «عذاب القبر» رقم (٥٥) - من طريق المنهال بنحو رواية أحمد، ثم قال: وهذا حديث صحيح الإسناد، وقد رواه عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم «...» اهـ.

قلت: وأخرج الحديث الطيالسي في المسند رقم (٧٥٣) والآجري في «الشرعية» ص ٣٦٧ - ٣٧٠، والحاكم (١/٣٧ - ٤٠) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، وأقره الذهبي، وأقرهما الألباني في «الجنائز» ص ٢٠٢.

وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/٢١٤) و «تهذيب السنن» (٤/٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعيم وغيره.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

رجلٍ من الأنصار فاتتهينا إلى القبر ولما يُلخد، فجلس رسولُ الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» - مرتين أو ثلاثاً - .

ثم قال: «إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وأقبالٍ إلى الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوههم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنةِ وحنوطٌ من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ - قال - فتخرجُ تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الرياحُ الطيبة؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماءٍ مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَ عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأتُ كتابَ الله تعالى فأمنتُ به وصدقتُ.

فينادي من السماء أن صدقَ عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدَّ البصر.

قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه حسنُ الثيابِ طيبُ الريح فيقول: أبشز بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة، حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال: - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال فنفرت في جسده فينتزعها كما ينتزع السقود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كائنين ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملامن الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له.

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سبعين في الأرض السفلى، فيطرح روحه طرْحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسُمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك. هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تُقم الساعة.

زاد في رواية في قصة المؤمن: «حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يُعرج بروحه من قبلهم».

وزاد في قصة الكافر: «ثم يقبض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة فيصير تراباً. ثم يعيده الله عز وجل كما كان

فيضربه ضربةً أخرى فيصبح صبيحةً يسمعا كل شيءٍ إلا الثقلين - قال البراء - ثم يُفتح له باب من النار ويُمهّد له فراش من النار». ورواه أبو داود<sup>(١)</sup> والنسائي<sup>(٢)</sup> وابن ماجه<sup>(٣)</sup> بنحوه.

وأما حديثُ عمرَ بن الخطاب فرواه مسلم<sup>(٤)</sup> من طرق عنه رضي الله عنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُرينا مصارعَ أهلِ بدرٍ بالأمس، يقول: هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله تعالى»، قال: فقال عمرُ: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدودَ التي حدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قال فُجِعُوا في بئرٍ بعضهم على بعض، وانطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، حتى انتهى إليهم فقال: يا فلانُ ابنَ فلانٍ ويا فلانُ ابنَ فلانٍ، هل وجدتم ما وعدكم اللهُ ورسولُهُ حقاً؟ فإني وجدتُ ما وعدني اللهُ حقاً. قال عمرُ: يا رسولَ الله كيف تكلم أجساداً لا أرواحَ فيها؟ قال: ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، غيرَ أنهم لا يستطيعون أن يردّوا عَلَيَّ شيئاً».

ولأبي داود<sup>(٥)</sup> والنسائي<sup>(٦)</sup> وابن ماجه<sup>(٧)</sup> عنه رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجبنِ والبخلِ وعذابِ القبرِ وفتنةِ الصدرِ».

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما فقال البخاري<sup>(٨)</sup> رحمه الله تعالى: «باب الميت يُعرض عليه مقعدهُ بالغداة والعشي»: حدثنا إسماعيلُ قال: حدثني مالكٌ عن

(١) في السنن (٥/١١٤ - ١١٦ رقم ٤٧٥٣).

(٢) في السنن، كما في تحفة الأشراف (٢/١٥ رقم ١٧٥٨).

(٣) في السنن (١/٤٩٤ رقم ١٥٤٨). وهو حديث صحيح.

(٤) في صحيحه (٤/٢٢٠٢ رقم ٢٨٧٣).

(٥) في السنن (٢/١٨٨ رقم ١٥٣٩).

(٦) في السنن (٨/٢٥٥ رقم ٥٤٤٣) وفي «عمل اليوم والليلة» رقم (١٣٤).

(٧) في السنن (٢/١٢٦٣ رقم ٣٨٤٤).

قلت: وأخرجه أحمد (١/٥٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٧٠) والحاكم (١/

٥٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان (رقم: ٢٤٤٥ - موارد).

وهو حديث حسن. مع أن المحدث الألباني حكم عليه بالضعف، والله أعلم.

(٨) في صحيحه (٣/٢٤٣ رقم ١٣٧٩) وطرفاه: (٣٢٤٠) و (٦٥١٥).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢١٩٩ رقم ٢٨٦٦) والترمذي رقم (١٠٧٢) والنسائي (٤/١٠٧ -

١٠٨) وابن ماجه رقم (٤٢٧٠) وأحمد (٢/٥١، ١١٣).

نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرضَ عليه مقعدهُ بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

وله <sup>(١)</sup> عنه رضي الله عنه قال: «اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ففيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يُجيبون».

وأما حديثُ عائشةَ أمِّ المؤمنين فقال البخاري <sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: «بابُ التعوذِ من عذابِ القبرِ في الكسوفِ»: حدثنا عبدُ الله بنُ مسلمةَ عن مالكٍ عن يحيى بنِ سعيدٍ عن عمرة بنتِ عبد الرحمن عن عائشةَ زوجِ النبي ﷺ أن يهوديةً جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذابِ القبرِ، فسألت عائشةَ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ أيعذب الناسُ في قبورهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «عائداً بالله من ذلك» - ثم ذكر حديثَ الكسوفِ بطوله، وفي آخره: - ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذابِ القبرِ. ورواه مسلم <sup>(٣)</sup> بنحوه.

وقال البخاري <sup>(٤)</sup> أيضاً: «حدثنا عبدانُ أخبرني أبي سمعتُ الأشعثَ عن أبيه عن مسروقٍ عن عائشة: رضي الله عنها: «أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذابَ القبرِ، فسألت عائشةَ رسولَ الله ﷺ عن عذابِ القبرِ فقال: عذابُ القبرِ حقٌّ - قالت عائشةُ: فما رأيت رسولَ الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوذَ من عذابِ القبرِ»، ووافقه عليه مسلم <sup>(٥)</sup> وغيره.

(١) أي للبخاري (٣/٢٣٢ رقم ١٣٧٠) وطرفاه (٣٩٨٠، ٤٠٢٦).

قلت: وأخرجه مسلم (٢/٦٤٣ رقم ٩٣٢).

(٢) في صحيحه (٢/٥٣٧ رقم الباب: ٧).

وأخرج البخاري الحديث في صحيحه (٢/٥٣٨ رقم ١٠٤٩) وأطرافه (١٠٥٥، ١٢٧٢، ٦٣٦٦).

(٣) في صحيحه (١/٤١٠ رقم ٥٨٤).

(٤) في صحيحه (٣/٢٣٢ رقم ١٣٧٢).

(٥) في صحيحه (١/٤١١ رقم ٥٨٦).

وقال مسلم<sup>(١)</sup> أيضاً: «حدثنا هارونُ بنُ سعيدٍ وحرمةُ بنُ يحيى، قال هارونُ: حدثنا - وقال حرمةُ: أخبرنا - ابنُ وهبٍ، أخبرني يونسُ بنُ يزيدَ عن ابنِ شهابٍ قال: حدثني عروةُ بنُ الزبيرِ: أن عائشةَ رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأةٌ من اليهود وهي تقول: هل شعرتِ أنكم تُفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنما تُفتن يهودُ». قالت عائشةُ: فلبثنا ليلتي، ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «هل شعرتِ أنه أوحى إليَّ أنكم تُفتنون في القبور». قالت عائشةُ رضي الله عنها: فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدُ يستعِذ من عذابِ القبرِ».

وقال<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى أيضاً: «حدثنا زهيرُ بنُ حربٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ كلاهما عن جريرٍ، قال زهيرٌ حدثنا جريرٌ عن منصور عن أبي وائلٍ عن مسروقٍ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: دخلتُ عليَّ عجوزان من عَجَز يهودِ المدينة فقالتا: إن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسولَ الله إن عجوزين من عَجَز يهودِ المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فقال: «صدقنا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم»، ثم قالت: فما رأيتُهُ بعدُ في صلاةٍ إلا يتعوذُ من عذابِ القبرِ».

ولهما<sup>(٣)</sup> عنها رضي الله عنها أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذُ بك من الكسل والهَرَمِ والمأثمِ والمغرمِ، ومن فتنةِ القبرِ وعذابِ القبرِ، ومن فتنةِ النارِ وعذابِ النارِ، ومن شرِّ فتنةِ الغنى، وأعوذُ بك من فتنةِ الفقرِ، وأعوذُ بك في فتنةِ المسيحِ الدجالِ. اللهم اغسِلْ عني خطايايَ بماءِ الثلجِ والبردِ، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقيتُ الثوبَ الأبيضَ من الدنسِ، وباعدُ بيني وبين خطاياي كما باعدتُ بين المشرقِ والمغربِ».

ولمسلم<sup>(٤)</sup> عنها من حديثها في الكسوفِ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته: «ولقد

(١) في صحيحه (١/٤١٠ رقم ٥٨٤).

(٢) أي مسلم في صحيحه (١/٤١١ رقم ٥٨٦).

(٣) أي للبخاري (١١/١٧٦ رقم ٦٣٦٨)، ومسلم (١/٤١١ رقم ٥٨٩).

(٤) في صحيحه (٢/٦٢٢ رقم ٩٠٤).

رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأْخَرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحْيٍ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَابِ». .

وَأَمَّا حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ الْبُخَارِيُّ <sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَلِيمَانَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَخْبَرَنِي غُرُوهُ بْنُ الزَّبِيرِ أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ الَّتِي يُفْتَنُ فِيهَا الْمَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ ضَجَّةً» .

وَلَهُمَا <sup>(٢)</sup> عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدِيثُ الْكُسُوفِ بِطَوْلِهِ، وَفِيهِ: «فَلَمَّا انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ - أَوْ قَرِيبًا مِنْ - فِتْنَةِ الدَّجَالِ». لَا أُدْرِي أَيْتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - «يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ: مَا عَلِمْتُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوْ الْمُؤَقِنُ، لَا أُدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا. فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا، فَقَدْ عَلِمْنَاكَ كُنْتَ لِمُؤَقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوْ الْمُرْتَابُ، لَا أُدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أُدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ». قَوْلُهُ: «لَا أُدْرِي أَيُّ ذَلِكَ إِنْ لَخَّ» التَّرْدَدُ فِيهِ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ الرَّاوِيَةِ عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ الْبُخَارِيُّ <sup>(٣)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُنْثَى حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ أَبِي أَيُوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجِبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: يَهُودٌ تُعَذِّبُ فِي قُبُورِهَا»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(٤)</sup> مِنْ طَرِيقِ جَمَاعَةٍ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ .

وَأَمَّا حَدِيثُ أُمِّ خَالِدٍ، فَقَالَ الْبُخَارِيُّ <sup>(٥)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حَدَّثَنَا مُعَلَى حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: «حَدَّثَنِي ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» .

(١) فِي صَحِيحِهِ (٣/٢٣٢) رَقْم (١٣٧٣) .

(٢) أَيُّ الْبُخَارِيِّ (١/٢٨٨ - ٢٨٩) رَقْم (١٨٤)، وَمُسْلِمٌ (١/٦٢٤) رَقْم (٩٠٥) .

(٣) فِي صَحِيحِهِ (٣/٢٤١) رَقْم (١٣٧٥) .

(٤) فِي صَحِيحِهِ (٤/٢٢٠٠) رَقْم (٢٨٦٩) .

(٥) فِي صَحِيحِهِ (٣/٢٤١) رَقْم (١٣٧٦) .

وقال<sup>(١)</sup> في كتاب الدعوات: حدثنا الحُمَيْدِيُّ حدثنا سفيانٌ حدثنا موسى بنُ عقبةَ به إلخ.

وأما حديثُ أبي هريرةَ فقال مسلمٌ<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا عُبيدُ الله بنُ عمرَ القواريريُّ حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ حدثنا بُدَيْلٌ عن عبد الله بنِ شقيقٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «إِذَا خَرَجْتَ رَوْحَ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا»، قال حمادُ: فذكر من طيب ريحها وذكرَ المِسْكَ قال: «ويقول أهلُ السماء: رَوْحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ تَعْمُرِيته. فينطلق به إلى ربه عز وجل، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت رَوْحُهُ» قال حمادُ وذكرَ من تَنَّتْهَا وذكرَ لَعْنًا «ويقول أهلُ السماء: رَوْحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل». قال أبو هريرة: فردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رَيْطَةً كانت عليه على أنفه هكذا.

ولهما<sup>(٣)</sup> عنه رضي الله عنه قال: «كان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

وقال الترمذي<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في عذاب القبر. حدثنا أبو سلمةٌ يحيى بنُ خلفٍ البصريُّ أخبرنا بشرٌ بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمَنْكُرُ

(١) أي البخاري في صحيحه (١٧٤/١١) رقم (٦٣٦٤).

(٢) في صحيحه (٢٢٠٢/٤) رقم (٢٨٧٢).

(٣) أي للبخاري (٢٤١/٣) رقم (١٣٧٧)، ولمسلم (٤١٢/١) رقم (٥٨٨).

(٤) في السنن (٣٨٣/٣) رقم (١٠٧١). وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

قلت: وأخرجه الأجرى في «الشرعية» (ص ٣٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٦٤) وابن حبان (رقم: ٧٨٠ - موارد).

وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩١): وقال: «إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو العامري القرشي مولا هم كلام لا يضر» اهـ. وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.



والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه، ثم يقال له نم، فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعتُ الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التثمي عليه فتلتم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه من مضجعه ذلك.

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري برؤح وريحان، ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء فيُستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان. فيقولون: مرحباً بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري برؤح وريحان ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل.

وإذا كان الرجل السوء والعباد بالله قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء، فيُستفتح لها فيقال من هذا فيقال هذا فلان، فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء، فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر».

(١) في المسند (٣٦٤/٤) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه ابن ماجه (١٤٢٦/٢) رقم (٤٢٦٨).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣١٣): «هذا إسناد صحيح، رواه النسائي في

التفسير وفي الملائكة كما تقدم قبل هذا بحديث.

وله شاهد من حديث البراء بن عازب، رواه أبو داود في سننه» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وقال ابن جِبَانَ في صحيحه<sup>(١)</sup>: حدثنا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الهمداني حدثنا زيدُ بنُ أخزَمَ، حدثنا معاذُ بنُ هشامٍ حدثني أبي عن قتادةَ عن قسامِ بنِ زهيرٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمنَ إذا قُبِضَ أُنْتَه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بحريرةٍ بيضاءَ فيقولون: اخرجي إلى رُوحِ الله، فتخرجُ كأطيبِ ريحِ مسكِ، حتى إنه لَيناولُه بعضهم بعضاً يشتمونه حتى يأتوا به بابَ السماءِ فيقال: ما هذه الريحُ الطيبةُ التي جاءت من قِبَلِ الأرضِ؟ ولا يأتون السماءَ إلا قالوا مثلَ ذلك حتى يأتوا به أرواحُ المؤمنينَ فلهم أشدُّ فرحاً به من أهلِ الغائبِ بغائبهم.

فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: دَعُوهُ حتى يستريحَ، فإنه كان في غمٍ، فيقول: قد مات، أما أناكم؟ فيقولون دُهِبَ به إلى أمِّه الهاوية. وأما الكافرُ فيأتيه مَلَائِكَةُ العذابِ بِمَسْحٍ فيقولون اخرجي إلى غضبِ الله تعالى، فتخرجُ كأنَّكِ ريحٌ جيفةٌ فيذهبُ به إلى بابِ الأرضِ.

زاد في رواية<sup>(٢)</sup>: «وأما الكافرُ إذا قُبِضتْ نفسُهُ ودُهِبَ بها إلى بابِ الأرضِ تقول خَزَنَةُ الأرضِ: ما وجدنا ريحاً أنتنَّ من هذه فيبلغُ الأرضَ السفلى».

وقال حمادُ بنُ سلمةَ عن محمدِ بنِ عمرَ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُنْتَبِئُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» [إبراهيم: ٢٧].

قال: «ذلك إذا قيل له في القبر: مَنْ رَبُّكَ، وما دينُكَ، ومن نبيُّكَ؟ فيقول: رَبِّي اللهُ، وديني الإسلامُ ونبيي محمدٌ صلى الله عليه وسلم، جاءنا بالبينات من عند الله فأمنتُ به

(١) رقم (٧٣٣ - موارد) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه النسائي (٨/٤ - ٩ رقم ١٨٣٣) وفي الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (١٠/٢٩٦ - ٢٩٧ رقم ١٤٢٩٠)، والحاكم (١/٣٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه مسلم رقم (٢٨٧٢) بنحوه.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي ابن جبان في صحيحه رقم (٧٣١ - موارد) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه الطيالسي في «المسند» رقم (٧٤١) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٩/٣٠٠ - ٣٠١) والحاكم (١/٣٥١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عشتَ وعليه مُتٌ وعليه تُبعثُ»<sup>(١)</sup>.

وقال ابنُ جريرٍ<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهدُ بنُ موسى والحسنُ بنُ محمدٍ قالا: حدثنا يزيدُ أخبرنا محمدُ بنُ عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إن الميتَ ليسمَعُ خفقَ نعالِكُم حين تُؤلونُ عنه مُدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاةُ عند رأسه، والزكاةُ عن يمينه والصومُ عن يساره، وكان فعلُ الخيراتِ من الصدقةِ والصلوةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ عند رجله، فيؤتى من قِبَلِ رأسه فتقول الصلاةُ: ما قِبَلِي مدخلٌ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاةُ: ما قِبَلِي مدخلٌ، فيؤتى عن يساره فيقول الصيامُ: ما قِبَلِي مدخلٌ، فيؤتى من رجله فيقول فعلُ الخيراتِ: ما قِبَلِي مدخلٌ، فيقال له: اجلس، فيجلسُ قد مُثلتَ له الشمسُ قد دنثَ للغروبِ فيقال: أخبرنا عما نسألك، فيقول: دعني حتى أصلي، فيقال له: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني؟ فيقال: أرايتَ هذا الرجلَ الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول، أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم، فيقول أشهد أنه رسولُ اللَّهِ، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصَدَقناه، فيقال له: على ذلك حَيِّيتَ، وعلى ذلك مُتٌ وعليه تُبعثُ إن شاء الله تعالى. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينور له، ويفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظرُ إلى ما أعد اللَّهُ لك فيها، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم تجعلُ نسمتهُ في النسيم الطيب، وهي طيرٌ خُضِرَ يعلقُ بشجر الجنة، ويُعاد الجسدُ إلى ما بدأ من التراب، وذلك قولُ الله عز وجل: ﴿يُنثِي اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/٢١٥) بسند حسن.

(٢) في «جامع البيان» (٨/ج١٣/٢١٥ - ٢١٦) بسند حسن.

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٣٨٣ - ٣٨٤) وهناد في «الزهدي» رقم (٣٣٨) وابن حبان (رقم: ٧٨١ - موارد) والحاكم في المستدرک (١/٣٧٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٠٣). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٥١ - ٥٢) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن».

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

ورواه ابنُ حبانَ<sup>(١)</sup> من طريق المُعتمر بن سليمانَ عن محمد بن عمرو، وذكر جوابَ الكافرِ وعذابه.

وقال البزارُ<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ بحرٍ القراطيسيُّ، حدثنا الوليدُ بنُ القاسمٍ حدثنا يزيدُ بنُ كيسانَ عن أبي حازمٍ عن أبي هريرةَ - أحسبه رفعه - قال: «إن المؤمنَ ينزل به الموتُ ويُعاین ما يعاین، فيودُّ لو خرجت - يعني نفسه - واللَّهُ يحب لقاءه. وإن المؤمنَ يصعدُ بروحه إلى السماء فتأتيه أرواحُ المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركتُ فلاناً في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلاناً قد مات قالوا: ما جيء به إلينا.

وإن المؤمنَ يجلس في قبره فيسأل: مَنْ ربُّك؟ فيقول: ربِّي اللُّهُ عز وجل. ويُسأل: مَنْ نبيُّك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ نبيِّي، فيقال: ما دينُك؟ قال: ديني الإسلامُ.

فيفتح له بابٌ في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبرَ فكأنما كانت رقدةً. وإذا كان عدواً لله نزل به الموتُ وعاین ما عاین، فإنه لا يحب أن تُخرجَ روحه أبداً واللَّهُ يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أُجلس فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دَرَيْتَ، فيفتح له بابٌ إلى جهنم ثم يضرب ضربةً تسمعها كلُّ دابةٍ إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش»، قلت لأبي هريرةَ: ما المنهوش؟ قال: الذي تنهشه الدوابُّ والحياتُ، ثم يضيق عليه قبره. ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليدُ بنُ مسلم، وفي بعض النسخ ابنُ قاسم.

(١) في صحيحه (رقم: ٧٨١ - موارد) وقد تقدم آنفاً.

(٢) في المسند (٤١٣/١ - ٤١٤ رقم ٨٧٤ - كشف).

وقال البزار: لا نعلم رواه عن يزيد هكذا إلا الوليد.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٥٢ - ٥٣) وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات خلا

سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه» اهـ.

وقال الأعظمي عقب كلام الهيثمي: «قلت: في طبقة سعيد بن محمد القراطيسي ذكره

السمعاني، وابن الأثير فليحرر» اهـ.

قلت: سعيد بن بحر القراطيسي ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩٣/٩) ووثقه وليس من

رواته الوليد بن مسلم بل هو الوليد بن قاسم كما في تفسير ابن كثير (٥٥٣/٢) وكشف

الأستار.

وأما حديثُ أبي سعيدٍ وسلمانَ فقال البخاريُّ<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي الأسودِ حدثنا مُعتمرٌ سمعتُ أبي حدثنا قتادةُ عن عُقبَةَ بنِ عبدِ الغافرِ عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ: «أنه ذكر رجلاً فيمن سلف وفيمن كان قبلكم - قال كلمة، يعني: أعطاه اللهُ مالاَ وولداً - فلما حضرتهُ الوفاةُ قال لبيته: أيُّ أب كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أب. قال: فإنه لم يَبْتئِرْ عند الله خيراً<sup>(٢)</sup> وإنَّ يقدرِ اللهُ عليه يعذبُه، فانظُرُوا إذا مِتَ فأحرقوني حتى إذا صِرْتَ فحماً فاسحِقُونِي - أو قال فاسحِقُونِي - فإذا كان يومُ رِيحٍ عاصِفٍ فأذروني فيها. فقال نبيُّ اللهِ ﷺ: فأخذ مواليقهم على ذلك وربي.

ففعَلُوا ثم أذروه في يومِ عاصِفٍ، فقال اللهُ عز وجل: كن، فإذا هو رجلٌ قائمٌ، قال اللهُ: أيُّ عبيدي ما حملك على أن فعلتَ ما فعلتَ؟ قال: مخافتُك، أو فرَقٌ منك. قال: فما تلافاه أن رَحِمه عندها»، وقال مرةً أخرى: «فما تلافاه»، فحدثتُ به أبا عثمان فقال: سمعتُ هذا من سلمانَ، غيرَ أنه زاد فيه: «أذروني في البحر» أو كما حدَّث.

وفي رواية له<sup>(٣)</sup> عن أبي سعيد قال: «ففعَلُوا، فجمعه اللهُ عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتُك. فتلقاهُ برحمة».

وقال<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: «بابُ كلامِ الميتِ على الجنَازة»، حدثنا قتيبةٌ حدثنا الليثُ عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ عن أبيه أنه سمعَ أبا سعيدِ الخُدريِّ ﷺ يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا وضعتَ الجنَازةَ فاحتمَلها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانتَ صالحَةً قالت: قدَموني قدَموني، وإن كانتَ غيرَ صالحَةٍ قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمعُ صوتها كلُّ شيءٍ إلا الإنسانَ، ولو سمعها الإنسانُ لصَعِقَ».

(١) في صحيحه (٥١٤/٦ - ٥١٥ رقم ٣٤٨١)، ومسلم (٢١٠٩/٤ رقم ٢٧٥٦).

(٢) أي لم يقدم لنفسه خبيثة خير. (د. أحمد الحكمي).

(٣) أي للبخاري (٥١٤/٦ رقم ٣٤٧٨).

قلت: وأخرجه مسلم (٢١١١/٤ رقم ٢٧٥٧).

(٤) أي البخاري في صحيحه (٢٤٤/٣ رقم ١٣٨٠) و (١٨١/٣ رقم ١٣١٤) و (١٨٤/٣ - ١٨٥ رقم ١٣١٦).

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا أبو عامر حدثنا عبادُ بنُ راشدٍ عن داودَ بن أبي هندٍ عن أبي نضرةَ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: «شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازةً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناسُ، إن هذه الأمةُ تُبتلى في قبورها، فإذا الإنسانُ دفنَ وتفرَّقَ عنه أصحابُه جاءه ملكٌ في يده مطراقٌ من حديدٍ فأقعه فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، فيقول له: صدقت. ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقول كان هذا منزلكَ لو كفرتَ بربك، فأما إذ آمنْتَ فهذا منزلكَ، فيفتحُ له باباً إلى الجنة، فيريد أن ينهضَ إليه فيقول له: اسكن اسكن، ويُفسح له في قبره.

وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً، فيقول: لا دريتَ ولا تليتَ ولا اهتديت. ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول: هذا منزلكَ لو كنتَ آمنْتَ بربك، فأما إذ كفرتَ به فإن الله عز وجل أبدلكَ به هذا، فيفتح له باباً إلى النار، ثم يَقْمَعُهُ قمعَةً بالمطراق فيصيح صيحةً يسمعها خلقُ الله عز وجل كلُّهم غير الثقلين». فقال بعضُ القوم: يا رسولَ الله، ما أحدٌ يقوم عليك ملكٌ في يده مطراقٌ إلا هيلَ عند ذلك، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يُثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت».

ولابن مردويه<sup>(٢)</sup> عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] في القبر».

وأما حديثُ سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، فقال البخاري<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا

(١) في المسند (٣/٣، ٢٣٣، ٣٤٦) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه البزار (٤١٢/٢) رقم ٨٧٢ - كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٨/٣) وقال: «رواه أحمد والبزار - وزاد: في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء - ورجاله رجال الصحيح». هـ. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٨٦٥) وابن جرير في «جامع البيان» (٨/٣ ج/٣) (٢١٤).

وهو حديث صحيح، والله أعلم.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٢٨/٥) وقد تقدم له شواهد.

(٣) في صحيحه (٣/٢٥١ - ٢٥٢ رقم ١٣٨٦).

موسى بنُ إسماعيلَ حدثنا جريرُ بنُ حازمٍ حدثنا أبو رجاءٍ عن سمرةَ بنِ جندبٍ رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحدٌ قضاها، فيقول: ما شاء الله.

فسالنا يوماً فقال: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ، بيده - قال بعضُ أصحابنا عن موسى - كlob من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغَ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخرِ مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيضع مثله.

قلت: ما هذا؟ قال: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجلٌ قائمٌ على رأسه بفهرٍ - أو صخرة - فيشرخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجرُ، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه.

قلت: من هذا؟ قال انطلق. فانطلقنا إلى ثقبٍ مثل الثنور، أعلاه ضيقٌ وأسفله واسعٌ يتوقد تحته ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عُرأة.

فقلت: من هذا؟ قال: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهرٍ من دم فيه رجلٌ قائمٌ على وسط النهر ورجلٌ بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجرٍ في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجرٍ فيرجع كما كان.

فقلت: ما هذا؟ قال: انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرةٌ عظيمةٌ وفي أصلها شيخٌ وصبيانٌ، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعدا بي في الشجرة، أدخلاني داراً لم أر قط أحسنَ منها، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصبيانٌ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسنُ وأفضلُ، فيها شيوخٌ وشبانٌ.

= وأطرافه: [رقم: ٨٤٥، ١١٤٣، ٢٠٨٥، ٢٧٩١، ٣٢٣٦، ٣٣٥٤، ٤٦٧٤، ٦٠٩٦، ٧٠٤٧].

قلت: وأخرجه مسلم (٤/١٧٨١ رقم ٢٢٧٥).

قلت: طوّفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالوا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمّل عنه حتى تبلّع الأفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشرخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيته في الثقب فهم الزناة. والذي رأيته في النهر أكلوا الربا. والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالوا: ذاك منزلك. قلت دعاني أدخل منزلي، قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك.

وأما حديث عثمان رضي الله عنه فقال أبو داود<sup>(١)</sup>: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هاني مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». قال ابن حجر: صححه الحاكم.

وأما حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال الترمذي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى:

(١) في السنن (٣/٥٥٠ رقم ٣٢٢١).

قلت: وأخرجه الحاكم (١/٣٧٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قالوا. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٥٦). وقال النووي في «المجموع» (٥/٢٥٧) إسناده جيد. وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في السنن (٥/٥٣٧ رقم ٣٥٢٠) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي».

وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (١٥٠٣) ورمز لضعفه.

وكذلك أورده الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٣١٢) وضعفه.

قلت: في سنده: قيس بن الربيع «صدوق»، تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدّث به، قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٥٥٧٣).

وعلي بن ثابت الجزري، «صدوق ربما أخطأ»، وقد ضعفه الأزدي بلا حجة، قاله الحافظ =



حدثنا محمدُ بنُ حاتمِ المؤدّبِ أخبرنا عليُّ بنُ ثابتٍ حدثني قيسُ بنُ الربيعِ - وكان من بني أسدٍ - عن الأغرِ بنِ الصباحِ عن خليفةِ بنِ حصينِ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: «أكثرُ ما دعا به رسولُ الله صلى الله عليه وآله عشيةَ عرفةَ في الموقفِ: اللهم لك الحمدُ كالذي تقول وخيراً مما تقول. اللهم لك صلّاتي ونسُكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي ولك ربّ تراثي. اللهم إني أعوذ بك من عذابِ القبرِ ووسوسةِ الصّدْرِ وشتاتِ الأمرِ، اللهم إن أعوذ بك من شرِّ ما تجيء به الرّيحُ».

وأما حديثُ زيدِ بنِ ثابتٍ فقال مسلمٌ<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ أيوبَ وأبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ جميعاً عن ابنِ عُليّة. قال ابنُ أيوبَ: حدثنا ابنُ عُليّة قال: وأخبرني سعيدُ الجبريّ عن أبي نُضرة عن أبي سعيدِ الخدريّ عن زيدِ بنِ ثابتٍ قال أبو سعيد: «ولم أشهذه من النبي صلى الله عليه وآله في حائطِ لبني النجارِ على بغلة له ونحن معه إذ حادثُ به فكادت تُلقيه، وإذا أقبرُ ستّةً أو خمسةً أو أربعة - قال: كذا كان يقول الجبريّ - فقال: «مَن يعرفُ أصحابَ هذه الأقبُرِ؟» فقال رجلٌ: أنا. قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإشرّك. فقال: «إن هذا الأمةُ تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعكم من عذابِ القبرِ الذي أسمع منه». ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوّذوا بالله من عذابِ النارِ. قالوا: نعوذ بالله من عذابِ النارِ». فقال: «تعوّذوا بالله من عذابِ القبرِ». قالوا: نعوذ بالله من عذابِ القبرِ. قال: «تعوّذوا بالله من الفتنِ ما ظهر منها وما بطنَ». قالوا: نعوذ بالله من الفتنِ ما ظهر منها وما بطنَ. قال: «تعوّذوا بالله من فتنةِ الدجالِ». قالوا: نعوذ بالله من فتنةِ الدجالِ».

وأما حديثُ جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ، فقال الإمامُ أحمدٌ<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا

= في «التقريب» رقم (٤٦٩٦).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧).

(٢) في المسند (٣/٣٤٦).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٠٧٦).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٨) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في الأوسط،

وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتانِي القبر فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمنُ قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملكٌ شديدُ الانتهاز فيقول له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمنُ فيقول: إنه رسولُ الله وعبدُه. فيقول له الملكُ: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجأك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة. فيراها كليهما. فيقول المؤمنُ: دعوني أبشُر أهلي، فيقال له: اسكن».

وأما المنافقُ فيقعدُ إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناسُ. فيقال له: لا دريتَ، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة أبدلك مكانه مقعدك من النار».

قال جابر: فسمعتُ النبي ﷺ يقول: «يُبعث كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات، المؤمنُ على إيمانه، والمنافقُ على نفاقه».

ولمسلم<sup>(١)</sup> عنه من حديث الكسوفِ فيه: «وعُرِضت عليَّ النارُ، فرأيت فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعذب في هرة لها ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكلُ من خَشاش الأرض، ورأيتُ أبا ثمامةَ عَمَرُو بنَ مالكٍ يجزُرُ قُصْبَه في النار - وفي رواية<sup>(٢)</sup> - لقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتُموني تأخرتُ مخافةً أن يُصيبيني من لفحها. وحتى رأيت فيها صاحبَ المحجنِ يجزُرُ قُصْبَه في النار، كان يسرق الحاجَّ بمخجنه، فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمخجنِي، وإن عُفِلَ عنه ذهب به. وحتى رأيتُ فيها صاحبةَ الهرة التي ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكلُ من خَشاش الأرض حتى ماتت جوعاً» الحديث.

وأما حديثُ سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه فرواه البخاريُّ<sup>(٣)</sup> من عدة طرقٍ عن

= قلت: وأخرج مسلم (٢٢٠٦/٤) رقم (٢٨٧٨) الجزء الأخير قوله: «يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه».

(١) في صحيحه (٦٢٢/٢) رقم (٩٠٤/٩).

(٢) في صحيح مسلم (٦٢٣/٢ - ٦٢٤) رقم (٩٠٤/١٠).

(٣) في صحيحه (١٧٨/١١) رقم (٦٣٧٠).

مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْلَمُنَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا تُعَلَّمُ الْكِتَابَةُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ».

وَأَمَّا حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَحِيحِهِ<sup>(١)</sup>: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمَحْمَدُ بْنُ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرْنَا - وَقَالَ الْآخِرَانِ حَدَّثَنَا - أَبُو معاويةَ عَنْ عاصمِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: «لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ فَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي أَثَرِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ».

وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِهِ (نَوَادِرُ الْأَصُولِ)<sup>(٤)</sup>: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ أَبِي فَدْيِكٍ عَنْ

(١) (٤/٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢).

(٢) فِي السَّنَنِ (٨/٢٦٠ رقم ٥٤٥٨) وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٣) فِي السَّنَنِ (٨/٢٦٢ رقم ٥٤٦٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

قُلْتُ: وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» رَقْمَ (٢٢) وَرَقْمَ (٥٧٢) وَابْنُ السَّنِيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» رَقْمَ (٦٩) وَأَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ (٥/٤٢) وَأَبُو دَاوُدَ رَقْمَ (٥٠٩٠) وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/٢٥٢) وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَوَافِقُهُ الذَّهَبِيُّ.

وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَدِيثَ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) (ص ٣٢٤).

قُلْتُ: أَخْرَجَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» كَمَا فِي شَرْحِ الصَّدُورِ (ص ١٨٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ كَمَا فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٧/١٧٩) وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا سَلِيمَانَ بْنَ أَحْمَدَ الْوَأَسْطِي، وَفِي الْآخَرِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيَّ وَكِلَاهُمَا ضَعِيفٌ» اهـ.

عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرّة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: «إني رأيت البارحة عجبياً، رأيت رجلاً من أمتي جاء ملك الموت ليقبض روحه، فجاء برّه بوالديه فردّ عنه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فخلصه من بينهم.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته. فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه صياحه فسقاه وأرواه.

ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرجم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه، فكلموه.

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت له سترأ على وجهه وظلاً على رأسه.

ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبته، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل.

= وقال العراقي في «المغني» رقم (٢٤٤٠): «رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق. بسند ضعيف» اهـ.  
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوث صحيفته من قِبَل شماله، فجاءه خوفه، من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه فنقلوا ميزانه.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على سفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكت من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط كما ترعد السَّعْفَةُ، فجاءه حسنُ ظنه بالله فسكن رعدته ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءته صلاته فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط.

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبوابُ دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبوابُ وأدخلته الجنة.

ورواه القُرطبيُّ رحمه الله في تذكرته<sup>(١)</sup> وقال: هذا حديثٌ عظيمٌ ذكرَ فيه أعمالاً خاصةً تنجي من أهوال خاصة.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ فرواه النسائيُّ<sup>(٢)</sup> عن عمرو بنِ شُعيب عن أبيه عن جده قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسلِ والهَرَمِ والمغرَمِ والمأثمِ، وأعوذ بك من شرِّ المسيحِ الدجالِ، وأعوذ بك من عذابِ القبرِ وأعوذ بك من عذابِ النارِ».

وللحكيمِ الترمذيِّ<sup>(٣)</sup> عنه ﷺ: «أن رسولَ الله ﷺ ذكر فتاني القبرِ، فقال

(١) (٤٦٨/١ - ٤٧٠ - رقم ٧٦٦) وهو حديث ضعيف كما تقدم آنفاً.

(٢) في السنن (٢٦٩/٨ رقم ٥٤٩٠). بسند حسن.

وللحديث شواهد في الصحيحين عن عائشة وأنس. فهو بها صحيح إن شاء الله.

(٣) في «نوادير الأصول» (ص ٤١) بدون سند.

قلت: أخرجه أحمد في المسند (١٧٢/٢) والآجري في «الشرعية» (ص ٣٦٧).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٤٧/٣) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال =

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أترد لنا عقولنا يا رسول الله؟ قال: نعم كهيتكم اليوم. فقال عمر: في فيه الحجر».

وروى البغوي<sup>(١)</sup> عنه رضي الله عنه موقوفاً عليه: (إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين، وأرسل إليه بثحفة من الجنة فيقال لها: اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راضٍ. فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة - أو نسمة طيبة - فلا تمرّ بباب إلا فُتِح لها، ولا بملك إلا صَلَّى عليها، حتى يُؤتى بها الرحمن عز وجل فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين.

ثم يؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعاً عرضاً، وسبعون ذراعاً طولاً، ويُبذ له الريحان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نورٌ مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله.

وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجادٍ أنتن وأخشن من كل خشن، فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب اليم، ورب عليك غضبان).

وأما حديث أبيه عمرو بن العاص فرواه مسلم<sup>(٢)</sup> في قصة وفاته مطولاً، وفيه: «إذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نازر، فإذا دفنتموني فشنؤا عليّ التراب شتاً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنخر جزورٌ ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي عز وجل».

وأما حديث أم مبشرٍ فأخرجه عنها ابن أبي شيبة في مصنفه<sup>(٣)</sup> قالت: دخل

= أحمد رجال الصحيح اهـ.

قلت: في سنده أحمد ابن لهيعة وفيه كلام، وحيي بن عبد الله المعافري: ليس من رجال الصحيح، وهو حسن الحديث.

(١) في «معالم التنزيل» (٤٢٤/٨) عن عبد الله بن عمرو. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/٣٢٨) رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات.

(٢) في صحيحه (١١٢/١) رقم (١٢١).

(٣) (١٠/١٩٣ - ١٩٤) رقم (٩١٩٦).

عليّ النبي ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور، منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج، فسمعتُه يقول: «استعينوا بالله من عذاب القبر»، قلت: يا رسول الله! وللقبر عذاب؟ قال: «إنهم ليعذبون عذاباً في قبورهم تسمعه بهائم».

وأما حديثُ أبي قتادة رضي الله عنه فقال ابنُ أبي حاتم<sup>(١)</sup>: حدثنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حكيم الأودِيّ حدثنا شريحُ بنُ مسلمة حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ عن أبيه عن أبي إسحاق عن عامرِ بنِ سعدِ البجليّ عن أبي قتادة الأنصاريّ رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. الآية.

قال: «إن المؤمنَ إذا مات أُجلس في قبره فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: الله عز وجل. فيقال له: من نبيُّك؟ فيقول: محمدُ بنُ عبدِ الله ﷺ. فيقال له ذلك مرّاتٍ، ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو رُغْتَ، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك من الجنة إذ تُبِتَّ».

وإذا مات الكافرُ أُجلس في قبره فيقال له: من ربُّك، من نبيُّك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لا دريت. ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو تُبِتَّ. ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذ رُغْتَ. فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣٦٣/٦).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٦/٣) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ. (١) في تفسيره (٧/٢٢٤٤ رقم ١٢٢٦٦)، وابن كثير في تفسيره (٢/٥٥٤) مسنداً. قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٤٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٤٤) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه أحمد بن محمد بن صدقة ولم أعرفه، وبقيه رجاله رجال الصحيح» اهـ.

قلت: لقد عرف الهيثمي شيخه أحمد بن محمد بن صدقة في أحاديث كثيرة، وصحح أحاديثه. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٥/٤٠) و «التذكرة» للذهبي (٢/٧٤٥ - ٧٤٦ رقم ٧٤٥) و «بلغة القاصي الداني في تراجم شيوخ الطبراني» (١/٧٤ رقم ١٤١). وخلاصة القول أن سنده صحيح.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ مسعودٍ فقال مسلمٌ<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةٍ حدثنا جريرٌ عن الحسنِ بنِ عبيدِ الله عن إبراهيمَ بنِ سويدٍ عن عبد الرحمنِ بنِ يزيدٍ عن عبد الله رضي الله عنه قال: كان نبيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملكُ اللهُ، والحمدُ اللهُ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له»، قال: أراه قال فيهن: «له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. ربُّ أسألكَ خيرَ ما في هذه الليلةِ وخيرَ ما بعدها، وأعوذُ بك من شرِّ هذه الليلةِ وشرِّ ما بعدها. ربُّ أعوذُ بك من الكسلِ وسوءِ الكِبَرِ، ربُّ أعوذُ بك من عذابِ في النارِ وعذابِ في القبرِ»، وإذا أصبحَ قال ذلكَ أيضاً: «أصبحنا وأصبح الملكُ اللهُ».

حدثنا أبو بكرٍ بنُ أبي شيبةٍ حدثنا حسينُ بنُ عليٍّ عن زائدةٍ عن الحسنِ بنِ عبيدِ الله إلخ بنحوه، وفيه «اللهم إني أعوذُ بك من الكسلِ والهَرَمِ وسوءِ الكِبَرِ وفتنةِ الدنيا وعذابِ القبرِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال النسائيُّ<sup>(٣)</sup>: أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ قال: حدثنا الفضلُ بنُ موسى عن زكريا عن أبي إسحاقٍ عن عمرو بنِ ميمونٍ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: «كان النبيُّ صلى الله عليه وآله يتعوذُ من خمسٍ: من البخلِ، والجبنِ، وسوءِ العُمرِ، وفتنةِ الصدرِ، وعذابِ القبرِ».

وروى الطحاويُّ<sup>(٤)</sup> عنه رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «أمر بعبد من عبادِ اللَّهِ أن

(١) في صحيحه (٤/٢٠٨٩ رقم ٢٧٢٣/٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٨٩ رقم ٢٧٢٣/٧٦).

(٣) في السنن (٢/٢٥٦ رقم ٥٤٤٦) وهو حديث صحيح.

(٤) في «مشكل الآثار» (٨/٢١٢ رقم ٣١٨٥) بسند حسن.

وأورده ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/٢٣٩). والقرطبي في «التذكرة» (١/٢٧٠ رقم ٤٤٨).

\* وأخرجه هناد في «الزهد» رقم (٣٦٢) وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٥٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٤٤) من كلام عمر بن شرجيل. ورجاله ثقات، ولكنه يرويه أبو إسحاق السبيعي معنعناً وهو مدلس.

\* وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/٤٤٣ رقم ١٣٦١٠) من حديث عبد الله بن عمر. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٦٨) وقال: «وفيه يحيى بن عبد الله البابتلي وهو ضعيف» اهـ.



يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مَائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ اللَّهَ وَيَدْعُوهُ حَتَّى صَارَتْ وَاحِدَةً فَاْمْتَلَأَ عَلَيْهِ قَبْرُهُ نَارًا». الْحَدِيثُ ذَكَرَهُ الْعَيْنِيُّ فِي شَرْحِ الْبَخَارِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحْتِهِ. وَعَزَاهُ فِي التَّبَصُّرَةِ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحَرِيرِيِّ، وَتَقَدَّمَ عَنْهُ قَرِيبًا حَدِيثُ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَفِيهِ الْإِسْتِعَاذَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ فَقَالَ الْبَخَارِيُّ<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعَ رَوْحَ بْنَ عَبَادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صِنَادِيدِ قَرِيشٍ فُقِّدُوا فِي طُورِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ خَبِيثٍ مُخْبَثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ. فَلَمَّا كَانَ يَبْدُرُ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَةٍ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرُّكْبِيِّ فَجَعَلَ يَنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فَلَانُ ابْنَ فَلَانٍ، يَا فَلَانُ ابْنَ فَلَانٍ، أَيْسَرَكُمُ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

قَالَ فَقَالَ عَمْرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ». قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِمْةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَسْمَاءِ الْآخِرُ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حَدَّثَنَا حَجَّيْنُ بْنُ الْمَثْنَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ الْمَاجَشُونِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: كَانَتْ أَسْمَاءُ - يَعْنِي بِنْتَ الصَّدِيقِ ﷺ - تَحَدَّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ قَبْرَهُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا أَحْفَ بِهِ عَمَلُهُ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ، قَالَ فَيَأْتِيهِ

= قلت: ومثله أيوب بن نهيك.

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود ضعيف، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٣٠٠/٧ - ٣٠١ رقم ٣٩٧٦).

قلت: وأخرجه مسلم (٢٢٠٤/٤ رقم ٢٨٧٥).

(٢) في المسند (٢٥٢/٦ - ٢٥٣) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦/٢٤ رقم ٢٣٠) و (١٠٥/٢٤ رقم ٢٨١) وأورده

الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥١/٣) وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، قال: فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ يعني النبي ﷺ، قال: من؟ قال: محمد. قال: أشهد أنه رسول الله. قال فيقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تُبعث.

وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. قال: يقول: واللّه ما أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته. قال له الملك: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تُبعث. قال ويسلّط عليه دابةً في قبره معها سوطٌ ثمرته جمرَةٌ مثلُ عُرفِ البعيرِ تضربه ما شاء الله، صماءٌ لا تسمع صوتَه فترحمَه». والأنسبُ لمكان هذا الحديث أن يُنقل عند حديثي أسماءِ الأولين.

وأما حديثُ عبدِ الرحمنِ بنِ حسنةَ فقال أبو داود<sup>(١)</sup>: حدثنا مسدّد حدثنا عبدُ الواحد بنُ زيادٍ حدثنا الأعمشُ عن زيد بن وهبٍ عن عبدِ الرحمنِ بنِ حسنةَ قال: «انطلقتُ أنا وعمرو بنُ العاصِ إلى النبي ﷺ، فخرجَ ومعه دَرَقَةٌ، ثم استترَ بها ثم بالَ فقلنا: انظروا إليه يبولُ كما تبولُ المرأةُ، فسمعَ ذلك فقال: ألم تعلموا ما لقيَ صاحبُ بني إسرائيلَ، كانوا إذا أصابهم البولُ قطعوا ما أصابه البولُ منهم فنهاهم فعذّبَ في قبره»، ورواه النسائي<sup>(٢)</sup> وابنُ ماجه<sup>(٣)</sup>.

أما حديثُ تميمِ الداري فرواه أبو يعلى<sup>(٤)</sup> الموصلي بسنده عنه مطولاً بسياق

(١) في السنن (٢٦/١) رقم (٢٢).

(٢) في السنن (٢٦/١ - ٢٨) رقم (٣٠).

(٣) في السنن (١٢٤/١) رقم (٣٤٦).

وهو حديث صحيح.

(٤) لم أجده في مسند تميم الداري في مسند أبي يعلى المطبوع.

وقد أورده ابن كثير في تفسيره (٥٥٥/٢ - ٥٥٦) مسنداً.

وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٦٨٣) وبكر بن خنيس

صدوق له أغلاط. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٣٩).

وضرار بن عمرو لم أجد له ترجمة.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

عجيبٍ ومتمينٍ غريب، وغالبٌ معناه في الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناءً عنه بغيره، والله الحمدُ والمنَّةُ.

وأما حديثٌ حذيفةٌ فقال البخاريُّ<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا مسدّدٌ حدثنا أبو عوانةٌ عن عبد الملكِ بنِ عُميرٍ عن رُبَيْعِي بنِ جِراشٍ قال: قال عقبَةُ لحذيفةَ: «ألا تحدثنا ما سمعتَ من النبي ﷺ؟» قال: سمعته يقول: إن رجلاً حضره الموتُ لما يئس من الحياة أوصى أهله إذا متُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوزوا ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذرّوني في اليم في يومٍ حارٍّ أو راحٍ، فجمعه اللهُ فقال: لم فعلتَ؟ قال: خشيتُك. فغفر له». قال عقبَةُ: وأنا سمعته يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانةٌ حدثنا عبدُ الملكِ وقال: «في يومٍ راحٍ» وقد تقدمت هذه القصةُ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ<sup>(٢)</sup>.

وقد رواها البخاريُّ<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى أيضاً من حديث أبي هريرةَ فقال: حدثني عبدُ الله بنُ محمدٍ حدثنا هشامٌ أخبرنا معمرٌ عن الزُّهريِّ عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان رجلٌ يسرف على نفسه، فلما حضره الموتُ قال لبيته: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذرّوني في الريح، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر اللهُ تعالى الأرضَ فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائمٌ، فقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: يا ربُّ خشيتُك حملتني. فغفر له»، وقال غيره: «مخافتُك يا رب»، ومحلُّ هذا الحديثِ مع أحاديثِ أبي هريرةَ المتقدمةِ فلينقل إلى هناك.

وأما حديثُ أبي موسى فرواه أحمدُ<sup>(٤)</sup> والتِّرْمِذِيُّ<sup>(٥)</sup> وحسنه والحاكِمُ<sup>(٦)</sup>

(١) في صحيحه (٣١٢/١١) رقم (٦٤٨٠).

(٢) البخاري في صحيحه (٣١٢/١١ - ٣١٣) رقم (٦٤٨١).

(٣) في صحيحه (٥١٤/٦ - ٥١٥) رقم (٣٤٨١) وطرّفه: (٧٥٠٦).

(٤) في المسند (٤١٤/٤) بسند صحيح.

(٥) في السنن (٣٢٦/٣) رقم (١٠٠٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٦) في المستدرک (٤٧١/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: وأخرجه ابن ماجه (٥٠٨/١) رقم (١٥٩٤).

وصحَّحه، وهذا لفظُ أحمدَ: عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الميتُ يعذب ببيكاء الحيِّ، إذا قالت النائحةُ: واعضداه، واناصره، واكاسباه، جُبد الميتُ وقيل: أنت عضدُها، أنت ناصرُها، أنت كاسبُها؟». ولفظُ الترمذي: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبله واسنده أو نحو ذلك إلا وكُل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟».

وأما حديثُ النعمانِ بنِ بشيرٍ فرواه الشيخانِ البخاريُّ<sup>(١)</sup> ومسلمٌ<sup>(٢)</sup> عنه رضي الله عنه قال: «أغمي علي عبد الله بنِ رَواحةٍ، فجعلت أختهَ عَمْرَةَ تبكي: واجبله، واكذا واكذا تعذد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟ فلما مات لم تنك عليه رضي الله عنه».

وأما حديثُ عوفِ بنِ مالكٍ فقال مسلمٌ<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: حدثني هارونُ بنُ سعيدِ الأيليُّ أخبرني ابنُ وهبٍ أخبرني معاويةُ بنُ صالحٍ عن حبيبِ بنِ عبيدٍ عن جُبَيْرِ بنِ نَفيِرٍ سمعه يقول: سمعتُ عوفَ بنَ مالكٍ يقول: «صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على جنازةٍ فحفظتُ من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزلَه ووسِّع مُدخَلَه واغسله بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ، ونقِّه من الخطايا كما نقيت الثوبَ الأبيضَ من الدنسِ، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته، وأدخله الجنةَ، وأعدّه من عذابِ القبرِ ومن عذابِ النارِ»، قال: حتى تمتَّيتُ أن أكونَ ذلك الميتَ.

وفي رواية<sup>(٤)</sup>: «وقه فتنةُ القبرِ وعذابُ النارِ».

= وفيه موسى بن أبي موسى الأشعري: مقبول. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٠١٥) وللحديث شواهد تقدم بعضها، ومنها الذي يأتي.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٥١٦/٧) رقم (٤٢٦٧) وطرفه رقم (٤٢٦٨).

(٢) لم يخرجه مسلم، انظر: تحفة الأشراف (٢٥/٩) رقم (١١٦٢٩).

(٣) في صحيحه (٦٦٢/٢) - ٦٦٣ رقم (٩٦٣/٨٥).

(٤) لمسلم في صحيحه (٦٦٣/٢) رقم (٩٦٣/٨٦).

## [الأدلة من الكتاب والسنة في لقاء الله في الآخرة]

(وباللقاء والبعث والنشور) وبقيامنا من القبور

(غزلاً حفاة كجرادٍ منتشرز يقول ذو الكفران: ذا يومٍ عَسِر)

أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بقاء الله عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ ۞﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِينَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ نَارٌ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْزَرْنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُّلتَقُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ۗ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَاعْقِبْهُمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧] وغيرها من الآيات.

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فقلت: يا نبي الله أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه - وفي رواية<sup>(٢)</sup> - والموت قبل لقاء الله».

وفيه<sup>(٣)</sup> عن شريح بن هانيء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قال: فأتيته عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعتُ أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثاً، إن كان كذلك فقد هلكنَا. فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، وليس من أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شَخَّصَ البصرُ وحشَرَجَ الصدْرُ واقشَعَرَ الجِلْدُ وتشنَّجَتِ الأصابعُ فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وفيه<sup>(٤)</sup> عن عبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري<sup>(٥)</sup> عن النبي ﷺ، المرفوع من دون شرحه.

وفيه<sup>(٦)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا

(١) في صحيح مسلم (٤/٢٠٦٥ - ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٤/١٥).

(٢) لمسلم في صحيحه (٤/٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٤/١٦).

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٥/١٧).

(٤) في صحيح مسلم (٤/٢٠٦٥ رقم ٢٦٨٣/١٤).

قلت: وأخرجه البخاري (١١/٣٥٧ رقم ٦٥٠٧).

(٥) في صحيح مسلم (٤/٢٠٦٧ رقم ٢٦٨٦/١٨).

قلت: وأخرجه البخاري (١١/٣٥٧ رقم ٦٥٠٨).

(٦) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٧٩ رقم ٢٩٦٨/١٦).

يومَ القيامة؟ قال: هل تُضارون في رؤية الشمسِ في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلةَ البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما.

قال فيلقى العبدَ فيقول أي: قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيلَ والإبلَ وأذرك ترأس وتربغ؟ فيقول بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك مُلأقي؟، فيقول: لا، فإني أنساك كما نسيتني.

ثم يلقى الثاني، فيقول: أي قل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيلَ والإبلَ وأذرك ترأس وتربغ؟ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أفظننت أنك مُلأقي؟ فيقول لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.

ثم يلقى الثالثَ فيقول له مثل ذلك فيقول: يا ربَّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصليتُ وضممتُ وتصدقتُ، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذا. قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه من الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفضله ولحمه وعظامه: انطقي، فتتطق فحذه ولحمه وعظامه بعلمه، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافعُ، وذلك الذي يسخط الله عليه.

وفي حديث القراء أصحابِ بئرِ معونة<sup>(١)</sup>: «بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه».

وروي أنه كان قرآناً فُنسخت تلاوته. والآيات والأحاديث في إثبات لقاء الله عز وجل كثيرة جداً، ومن كذب بذلك كفر.

### [الإيمان بالبعث والنشور]

(والبعث والنشور) أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر - الإيمان بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقر].

(١) أخرجه مسلم (٤٦٨/١) رقم (٦٧٧) من حديث أنس بن مالك.





وقال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعَدِيهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو  
انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧ - ٤٨] الآيات .

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ  
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَجِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٣ - ٢٥] .

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَيُّدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَيُّدَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤١﴾﴾ \* قُلْ  
كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٥﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي  
فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْخِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾  
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٤١ - ٥٢] .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ  
وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًا وَعِيًا وَنُكَمَا وَصَمًا مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدَانُهُمْ  
سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَيُّدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَيُّدَا لَمَبْعُوثُونَ  
خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهَا  
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩] .

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] .

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَحْسَنَ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] .

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لِنَبِّئَهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ  
قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ - إِلَىٰ قَوْلِهِ - ﴿وَكَذَلِكَ  
أَعْرَبْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ١٩ - ٢١] .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ السُّرَّ الْجِبَالِ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا مِنْهُمْ  
أَحْدًا ﴿٧٧﴾ وَعَرَضْنَا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ  
مَوْعِدًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: الآيات] .

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِمَجْعَتِهِمْ جَمَاعًا﴾ [الكهف: ٩٩] . الآيات .

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيُّدَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَّلًا يَذْكَرُ

الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ  
حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٨﴾ [مريم] الآيات إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُفْخِ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٧﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ  
إِن لَّيْنَتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٨﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْأَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّيْنَتُمْ إِلَّا  
يَوْمًا ﴿١٩﴾ وَسَأَلْتُمُ النَّاسَ عَنِ النَّبِيِّ فَقُلْنَا يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿٢٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٢٦﴾ لَا تَبْقَى  
فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا  
تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٢٨﴾ [طه] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ  
يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ  
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾  
يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِدُ كُلَّ مَرْجِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى  
النَّاسَ سُكَّرِيٍّ وَمَا هُمْ بِسُكَّرِيٍّ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَنَ الْنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ  
فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلَّهُ  
وِيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ  
تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنَقُرُّ  
فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ  
مَنْ يُؤْتِفُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى  
الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ ﴿٥﴾  
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّقَى وَأَنَّه يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّه عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا  
رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي

قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى عن كفر عاد: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأُتْرَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ ﴿١٣﴾ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿١٤﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حِسَابُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَأْتِيهِمْ لَعْنَتُهُمْ يُعَذِّبُهُمْ وَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا نَحْنُ وَمَا نَبُؤَاتُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّا الْعَادِينَ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لِنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿٢٣﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَالِكِ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿٢٤﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ تَرجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢٥﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٢٦﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٢٧﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَانُوا بَرَاهِنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ

فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا  
وَعِبَابًا وَإِنَّا لَمُخْرُجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
الْأُولَئِينَ ﴿٦٨﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ -  
إلى قوله - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِّعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ  
وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [النمل: ٦٤ - ٨٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُدْعَى اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرٌ ﴿٦٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُشِئُ الشَّأءَ الْآخِرَةَ  
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٧١﴾  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا  
نَصِيرٍ ﴿٧٢﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾  
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧٤﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا  
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِي  
رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ - إلى قوله - ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨١﴾﴾  
[الروم: ٦ - ١١] الآيات - إلى قوله - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا  
دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ  
قَلْبُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٥ - ٢٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ  
شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ  
وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَصْرُجٌ مِنْ خَلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ  
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَلِيسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثِرِ  
رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ آيَاتِ الْمَوْجِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذٰلِكَ

كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ [الروم: الآيات]. وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ قُلْ يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ [السجدة: ١٠ - ١١].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا: الآيات].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبا: ٥١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبا: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مَسْفُوفًا إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيُنَكِّتُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بُولَلَاءَ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس: الآيات].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَوَسَّى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظْمَ وَهِيَ رَيْبٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَاكُمَا وَعِظْلًا أَوَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ مَا بَأْسُنَا الْآلُؤُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَالْتَمِهُنَّ زَجْرًا وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا بُولُوكَا هَذَا يَوْمَ الْآلِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴿لَا تَحْشُرُوا الْآلِينَ طَمَؤُا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الصافات: ١١ - ٢٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿لِنُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٥ - ١٦] الآيات.

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْرِينًا مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ﴿٢٣﴾﴾ [غافر] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَوْقَ فِي الْجَنَّةِ وَفَوْقَ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الجاثية] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ خَلْقِيحِينَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُوْحِيََ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

وقال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَدَا مِتْنَا وَكُنَّا نُرَآئِكَ ذَلِكَ رَجْعًا بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾﴾ [ق] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَرُوا ﴿٦﴾﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعٌ ﴿١﴾﴾ [الذاريات: ١ - ٦].

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنُوزِ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَسَيُرْ الْجِبَالُ سَيْدًا ﴿١٥﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: ١ - ١١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ بِالْحَقِّ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّبَاتًا لَّذِينَ أَحْسَنُوا ۝٤٦﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّبَاتًا لَّذِينَ أَحْسَنُوا ۝٤٦﴾ [النجم: الآيات].

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ ۝١﴾ خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: الآيات].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ ۝٤٦﴾ [القمر: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿سَنَفُوعٌ لَّكُمْ أَيُّهُ التَّقْلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن: ٣١] إلى آخر السورة. وسورة الواقعة بتمامها.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ ثُرُؤُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ۝١٢﴾ [الحديد: ١٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ ۝١﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٢﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٦﴾ [المجادلة: ٦ - ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۝١٨﴾ [المجادلة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوا مِنِ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسَ الْكٰفِرُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۝١٣﴾ [المتحنة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّنَافُسِ ۝٩﴾ [التغابن: ٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ۝٨﴾ ثُرُؤُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اٰتِنَا لَنَا ثُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحریم].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَسْئَلُوْكُمْ اٰيٰتِكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ۝٢﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى: ﴿اَفَتَجْعَلُ السَّٰبِقِيْنَ كَالْمُجْرِمِيْنَ ۝٣٥﴾ [القلم: ٣٥]. الآيات. وسورة الحاقة.

بكمالها.



وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَلْبُؤًا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي بُعِدُوا عَنْهُ﴾ [٤٤] ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَابِ سِرَاجًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [٤٤] ﴿خَنِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلُّهُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَرْنَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٨] ﴿فَذَلِكَ يَوْمًا عَسِيرٌ﴾ [٩] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾ [المدرثر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [١] ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [٢] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّنَا نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ [٣] ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيْنَا أَن نَسْوَئَ بِنَاتِهِ﴾ [٤] [القيامة] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٣٦] ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّنِيٍّ يُُمْتَسِّمُ﴾ [٣٧] ﴿كَانَ عَاقِبَةً فَلَقِيَ فَسْوَئًا﴾ [٣٨] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [٣٩] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيْنَا أَن نَحْيِيَ الْمُتَّوَكِّلِينَ﴾ [٤٠] [القيامة].

وجاء جوابه في الحديث: «بلى إنه على كل شيء قدير»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرج أحمد في «المسند» رقم (٧٣٨٥) وأبو داود (١/٥٥٠ - ٥٥١ رقم ٨٨٧) والترمذي (٤٤٣/٥ رقم ٣٣٤٧) والحاكم (٥١٠/٢).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾، فليقل آمنا بالله.

ومن قرأ: ﴿والتين والزيتون﴾، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

ومن قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾، فليقل: بلى.

قال إسماعيل: فذهبت أنظر هل حفظ؟ وكان أعرابياً، فقال: يا ابن أخي، أظننت أنني لم أحفظه! لقد حججت ستين حجة ما منها سنة إلا أعرف البعير الذي حججت عليه!!».

قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لجهالة الراوي التابعي الذي لم يسم. اهـ.

وقال الترمذي: «هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى» اهـ.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

وقال ابن كثير (٤/٤٨٢) وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له: من حدثك؟ قال: رجل صدق عن أبي هريرة.

وحكم الألباني على الحديث بالضعف في ضعيف أبي داود رقم (١٨٨) وضعيف الترمذي رقم (٦٦٢) وغيرهما، وهو كما قال حفظه الله.

وقال تعالى: ﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] الآيات، بل السورة بتمامها، وجميع السور التي بعدها: المرسلات، والنبأ، والنازعات، وعبس، والتكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والطارق، والغاشية، والفجر، والبلد، وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفصيل ما فيه، وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر في بدنه ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مُخضرة تهتز بعد موتها بالفتح، وهمودها وخمودها واسودادها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل، وعلى الغيب بالشهادة، فيقول عز وجل: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، ﴿كَذَلِكَ الْشُّورُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، ﴿كَذَلِكَ يُعَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَرُبِّيكُمْ أَيَّتِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جداً، وقد تقدم كثير منها في مواضع متفرقة، وقال البخاري<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «قال الله: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذبه إياي فقولهُ لن يعيدني كما بدأتي، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقولهُ: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده<sup>(٢)</sup> «حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشير بن جحاش قال: إن رسول الله ﷺ: «بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبغه، قال رسول الله ﷺ:

(١) في صحيحه (٧٣٩/٨ رقم ٤٩٧٤).

(٢) في المسند (٢١٠/٤) بسند حسن رجاله كلهم ثقات غير عبد الرحمن بن ميسرة، قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٥٥٨/٢ - ٥٥٩) قال ابن المديني: «مجهول، لم يرو عنه غير حريز. وقال أبو داود: شيوخ حريز كلهم ثقات. وقال العجلي: شامي تابعي، ثقة» اهـ.

قال الله تعالى: بُنِيَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزْنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِثْلَ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشِيَّتَ بَيْنَ بُرْدِكَ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَوَيْدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قَلْتَ أَتَصَدَّقُ، وَأَنْى أَوَانُ الصَّدَقَةِ». ورواه ابنُ ماجه<sup>(١)</sup> عن أبي بكرِ ابنِ أبي شيبَةَ عن يزيدِ بنِ هارونَ عن حريزِ بنِ عثمانِ به .

وقال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>: حدثنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ الجُنيدِ حدثنا محمدُ بنُ العلاءِ حدثنا عثمانُ بنُ سعيدِ الزياتُ عن هشيمِ عن أبي بشرٍ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرِ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «إِنَّ الْعَاصِ بْنَ وَائِلٍ أَخَذَ عَظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ فَفَتَّهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يَحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»، قال: ونزلت الآيات من آخر يس .

وروى مسلم<sup>(٣)</sup> من طريق مَعْمَرٍ عن هَمَّامِ بنِ مُثَنَّبِ قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث، (منها): وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يَرْكَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَجَبُ الذَّنْبِ».

وفيه<sup>(٤)</sup> من طريق أبي الزنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

(١) في السنن (٢/٩٠٣ رقم ٢٧٠٧).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٣٦٥ رقم ٢٧٠٧/٩٦٠)، «قلت: ليس لسبر عند ابن ماجه سوى هذا الحديث، وليس له رواية في شيء من الكتب الخمسة. وإسناد حديثه صحيح رجاله ثقات، رواه أحمد في مسنده من حديث بسر، وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة» اهـ.

قلت: وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٩٩).

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٢) في تفسيره (١٠/٢٣٠٣ رقم ١٨١٢٦).

وفي سننه «عثمان الزيات» قال ابن حجر في «التقريب»: رقم (٤٤٧٣) لا بأس به.

قلت: لقد تابعه عمرو بن عون عند الحاكم في المستدرک (٢/٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) في صحيحه (٤/٢٢٧١ رقم ١٤٣/٢٩٥٥).

(٤) أي مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧١ رقم ١٤٢/٢٩٥٥).

قال: «كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُه الترابُ إلا عَجَبَ الذنْبِ، منه خُلِقَ وفيه يُرْكَبُ».

وقال<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كُريبٍ محمدُ بنُ العلاء حدثنا أبو معاويةَ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما بين النّفختين أربعون - قالوا: يا أبا هريرةَ أربعون يوماً؟ قال أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت. ثم يُنزلُ اللَّهُ من السماء ماءً فينبِتُون كما ينبُت البقلُ، قال: وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجَبُ الذنْبِ، ومنه يُركب الخلقُ يوم القيامة».

ورواه البخاري<sup>(٢)</sup> عن عمَرَ بن حفصٍ عن أبيه عن الأعمشٍ بمعناه، دون قوله: «ثم يُنزلُ الله تعالى من السماء ماءً».

وتقدم حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمروٍ قريباً<sup>(٣)</sup> وفيه: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتها ورفع ليتها. قال: وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوضَ إبله، قال فيصعقُ ويصعقُ الناسُ، ثم يرسلُ اللَّهُ - أو قال يُنزلُ الله - مطراً كأنه الطلُّ - أو الظلُّ - نعمانُ الشاكِّ - فتنبت منه أجسادُ الناسِ، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناسُ، هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون، قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذلك يومٌ يجعل الولدان شيباً، وذلك يومٌ يكشف عن ساق».

وفي الصحيح<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني أولُ من يرفع رأسه بعد النّفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلقٌ بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النّفخة».

وفي حديث الصورِ الآتي قريباً<sup>(٥)</sup> إن شاء الله: «ثم يُنزلُ الله عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمرُ اللَّهُ السماءَ أن تُمطرَ، فتمطرُ أربعين يوماً حتى يكونَ الماءُ

(١) أي مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٠ - ٢٢٧١ رقم ٢٩٥٥/١٤١).

(٢) في صحيحه (٨/٥٥١ - ٥٥٢ رقم ٤٨١٤) وطره: ٤٩٣٥.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أي صحيح البخاري (٨/٥٥١ رقم ٤٨١٣).

(٥) سيأتي بكماله وتخرجه.

فوقهم اثني عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات الطرائيت - أو كنبات البقل - حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: لِيُنحَى حَمَلَةُ الْعَرْشِ، فَيُخَيَّوْنَ. ويأمر الله عز وجل إسرافيلَ فيأخذ الصورَ فيضعه على فيه ثم يقول: لِيُنحَى جِبْرِيْلُ وَمِيكَائِيْلُ، فَيُخَيَّيَانِ. ثم يدعو الله بالأرواح لِيُؤْتِي بها، تتوهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمةً، فيقبضها جميعاً ثم يلقبها في الصور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيلَ أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحلُ قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كلُّ روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السُمُّ في اللدغ، ثم تشق الأرض عنهم، وأنا أولُ من تشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون» الحديث.

### [حديث لقيط بن عامر الطويل عن علم الغيب]

وروى الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه<sup>(١)</sup> وفي كتاب السنة<sup>(٢)</sup> له قال: كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث بذلك عني، قال: حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي قال: حدثنا

(١) (١٣/٤ - ١٤).

(٢) (٤٨٥/٢ - ٤٨٩ رقم ١١٢٠).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢١١/١٩ رقم ٤٧٧) وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٦٣٦).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٣٨/١٠ - ٣٤٠) وقال: «رواه عبد الله، والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل، ورجالها ثقات. والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً» اهـ.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٢٨٩/١): «إسناده ضعيف. وقد سبق الكلام عليه عندما ساقه المصنف ببعض متنه رقم (٥٢٤)» اهـ.

وقال الألباني أيضاً في المكان الذي أشار إليه: «إسناده ضعيف. دلهم بن الأسود وجده عبد الله بن حاجب، قال الذهبي: لا يعرفان. قلت: ومثلهما عبد الرحمن بن عياش الأنصاري وهو السمعي القبائي لم يوثقه غير ابن حبان. وفي «التقريب»: مقبول» اهـ.

عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن ذلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقبلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: «أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم، ألا فهل امرئ بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال، ألا إني مستول، هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا. فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك فقال: صن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل، وأشار بيده، فقلت: ما هن يا رسول الله؟ قال: علم المنية، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه. وعلم المنى حين يكون في الرحم، قد علمه وما تعلمونه. وعلم ما في غد، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه. وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم أزلين<sup>(١)</sup> مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب.

قال لقيط: فقلت لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله.

قال: وعلم يوم الساعة. قلنا: يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فإننا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد، من مذبح التي تدنو علينا، وخنعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: تلبثون فيها ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم يبعث الصيحة، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وخلت البلاد، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوي جالساً، فيقول ربك: مهيم، لما كان فيه، يقول: يا رب أمس اليوم - لعده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله.

(١) الأزل: الشدة والضيق والجرب. (د. أحمد الحكمي).

فقلت: يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمرقنا الرياح والبلاء والسباع؟ قال: أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرف عليها وهي في مدرة بالية، فقلت لا تحيا أبداً، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمرك إلهك لهو أقدرك على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء<sup>(١)</sup> ومن مصارعكم، فتنظرون إليه وينظر إليكم.

قال قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وينظر إليه؟ قال: أنبتك بمثل هذا في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة وترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتهما.

قلت: فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمرك إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريغة البيضاء، وأما الكافر فينضحه - أو قال فينطحه - مثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حسن يقول ربك عز وجل أو إنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظم والله ناهلة قط ما رأيتها، فلعمرك إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يظهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها واحداً.

قال قلت: يا رسول الله فيم نبصر؟ قال: بمثل بصرِكَ ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرق الأرض وواجهت به الجبار. قال: قلت: يا رسول الله فيم نُجزي من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال ﷺ: الحسنَةُ بعشر أمثالها، والسيئةُ بمثلها إلا أن يعفو.

قال قلت: يا رسول الله ما الجنة وما النار؟ قال لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. قلت: يا رسول الله فعلام

(١) الأصواء: القبور. أصلها من الصوى وهي الأعلام. (د. أحمد الحكمي).

نَطَّلَعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ مَا بِهَا صُدَاعٌ وَلَا نَدَامَةٌ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَفَاكِهِةٍ، وَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَعْلَمُونَ وَخَيْرٍ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ وَأَزْوَاجٍ مَطْهُرَةٍ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ وَمِنْهُنَّ الْمُصَلِحَاتُ؟ قَالَ: الْمُصَلِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، وَفِي لَفْظِ الصَّالِحَاتِ لِلصَّالِحِينَ تَلَذُّوْنَهُنَّ وَيَلَذُّوْنَكُمْ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدَ، قَالَ لَقَيْطٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْصَى مَا نَحْنُ بِالْعَوْنِ وَمُنْتَهَوْنَ إِلَيْهِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ أَبَائِعِكَ. فَبَسَطَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ وَقَالَ: عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَانِ الزَّكَاةِ وَزِيَالِ الْمُشْرِكِ وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ لَنَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ فَقَبِضَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ وَظَنَّ إِنِّي مُشْتَرِطٌ مَا لَا يُعْطِينِيهِ.

قَالَ قُلْتُ: نَجَلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا وَلَا يَجْنِي عَلَيَّ امْرَأٌ إِلَّا نَفْسُهُ.

فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ: لَكَ ذَلِكَ تَجَلَّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا يَجْنِي عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسُكَ. قَالَ فَاَنْصَرَفْنَا عَنْهُ ثُمَّ قَالَ: هَا إِنَّ ذَيْنِ، هَا إِنَّ ذَيْنِ (مرتين)، مِنْ اتَّقَى النَّاسَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ. فَقَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ الْخِدَارِيَةِ أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ كَلَابٍ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَنُو الْمُتَنَفِّقِ، بَنُو الْمُتَنَفِّقِ أَهْلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَ: فَاَنْصَرَفْنَا.

وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِأَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى مِنْ خَيْرٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عُرْضِ قَرِيشٍ: وَاللَّهِ إِنْ أَبَاكَ الْمُتَنَفِّقُ لَفِي النَّارِ. قَالَ فَكَأَنَّهُ وَقَعَ حَرْبٌ بَيْنَ جَلْدِ وَجْهِي وَلِحْمِهِ مِمَّا قَالَ لِأَبِي عَلِيٍّ رَوْوَسِ النَّاسِ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: يَا أَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا الْآخِرَى أَجْمَلُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَهْلُكَ؟ قَالَ: وَأَهْلِي، لَعَمْرُ اللَّهِ حَيْثُ مَا أُتِيَتْ عَلَى قَبْرِ (كَافِرٍ) عَامِرِيٍّ أَوْ قَرَشِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ قُلْتُ: أُرْسَلَنِي إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ، فَأُبَشِّرُ بِمَا يَسُوؤُكَ، تُجَرَّ عَلَى وَجْهِكَ وَبَطْنِكَ فِي النَّارِ.

قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ وَقَدْ كَانُوا عَلَى عَمَلٍ لَا يُحْسِنُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَكَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ؟ قَالَ ﷺ: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِي آخِرِ كُلِّ سَبْعِ أُمَمٍ نَبِيًّا فَمَنْ عَصَى نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَمَنْ أَطَاعَ نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

وَرَوَاهُ إِمَامُ الْأَثَمَةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ<sup>(١)</sup> قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

(١) فِي «التَّوْحِيدِ» (ص ١٨٦ - ١٩٠) وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ آتِفًا.



منصور الجواز أبو عبد الله قال: حدثنا يعقوب بن عيسى الزهري قال: حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن قال: حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري ثم السَّمْعِيُّ عن ذَلْهَم بن الأسود بن عبد الله عن أبيه عن عمه لَقِيَط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه نُهَيْك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال: فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب، فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً، وذكر الحديث بنحو ما تقدم مع مغايرة في بعض الألفاظ.

### [تعليق الحافظ ابن القيم على حديث لقيط بن عامر]

وقال الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه في الهدى<sup>(١)</sup> عن زوائد المسند: «هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يُعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواه.

فمن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه، وفي كتاب السنة، وقال: كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعتُه على ما كتبت به إليك فحدثت به عني.

ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النبل في كتاب «السنة» له.

ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب «المعرفة».

ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوامه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في كثير من كتبه.

(١) أي «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/٦٧٧ - ٦٨٦).

ومنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «السنة».

ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ أصبهان.

ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه.

ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم.

وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده، بل رَوَّه عليه سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبد الله بن منده.

قلت: وقال ابن كثير<sup>(١)</sup> بعد إيراده في الوفود: «هذا حديث غريب جداً، وألفاظه في بعضها نكارة»، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب «البعث والنشور»، وعبد الحق الإشبيلي في «العاقبة»، والقُرطبي في كتاب «التذكرة في أحوال الآخرة». انتهى.

### [تفسير ابن القيم لغريب مفردات حديث

#### لقيط بن عامر]

قلت: وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه الله تعالى: قوله: «تَهْضِبُ» أي تُمَطِّر. و«الأصواء» القبور. و«الشربة» يفتح الراء الحوض الذي يُجمع فيه الماء، [وبالسكون الحنطة]<sup>(٢)</sup>، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت

(١) في «البداية والنهاية» (٧٤/٥). وقال ابن كثير: «وسياتي في كتاب البعث والنشور إن شاء الله تعالى» اهـ.

(٢) في «زاد المعاد» (٦٧٨/٣): [وبالسكون والياء: الحنطة].

تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة [الحنطة]<sup>(١)</sup> واستوائها.

وقوله «حس» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعي: وهي مثل أوه. وقوله: يقول عز وجل «أُوْءِنْتَهُ»، قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول: و«الطوف» الغائط، وفي الحديث: «لا يُصلُّ أحدكم وهو يدافع الطوف والبول»، و«الجسر» الصراط. وقوله: فيقول ربك «مهيم» أي ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟.

وقوله: «يشرف عليكم أزلين» الأزل - بسكون الزاي - الشدة، والأزل على وزن الكتف هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط. وقوله: «يفضل يضحك» هو في صفات أفعاله سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته. وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك «فأصبح ربك يطوف في الأرض» هو من صفات فعله كقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] و«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»<sup>(٢)</sup> - «ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة»<sup>(٣)</sup>. والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل.

وقوله: «والملائكة الذين عند ربك» لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل بن رافع الطويل في الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: «فلعمر إلهك» هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها، وأنها قديمة، وأنه يطلق عليه منها أسماء

(١) في «زاد المعاد» (٣/٦٧٨): [الحنطة].

(٢)(٣) تقدم تخريجهما في أحاديث النزول.

المصادر ويوصف بها. وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وأن الأسماء الحسنی مشتقة من هذه المصادر، دالة عليها.

وقوله: «ثم تجيء الصائحة» هي صيحة البعث ونفخته. وقوله: «حتى يخلف من عند رأسه» هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده، تشبيه النشئة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعد ما حُصد وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع. وقوله: «فيستوي جالساً» هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقول بعد جلوسه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامة إما ركباً وإما ماشياً.

وقوله: «يقول يا رب أمس اليوم» استقلالاً لمدة لئنه في الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمس أو بعض، يوم فقال اليوم يحسب أنه حديث عهد بأهله، إنه إنما فارقه أمس أو اليوم.

وقوله: «كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع؟» وإقرار رسول الله ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعمليات. وفيه دليل أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يُشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أما أعداؤه فالتعتت والمغالبة، وأما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجيب كلاً على سؤاله، إلا ما لا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة. وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد ما فرقها وينشئها نشأة أخرى، أو يخلقه خلقاً جديداً كما سموا في كتابه كذلك في موضعين منه.

وقوله: «أثبتك بمثل ذلك في آلاء الله» آلاؤه نعمه وآياته التي تعرّف بها إلى عباده.

وفيه إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه.

وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله، فقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد في كتابه

أحسنَ تقريرِ وأبينه وأبلغه، وأوصله إلى العقول والفِطَر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكديباً له وتعجيزاً له وطعناً في حكمه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وقوله في الأرض: «أشرفت عليها وهي مدرة بالية» كقوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْعٍ بِهَيْجٍ﴾ [الحج: ٥]، ونظائره في القرآن كثيرة.

وقوله: «فتنظرون إليه وينظر إليكم» فيه إثبات صفة التجلي لله عز وجل وإثبات النظر له وإثبات رؤيته في الآخرة ونظر المؤمنين إليه.

وقوله: «كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد»، قد جاء هذا الحديث وفي قوله في حديث آخر: «لا شخص أغير من الله»<sup>(١)</sup>، والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولاً وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس والقمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون.

وقوله: «فياخذ ربك بيده غرقة من الماء فينضح بها قبلكم»، فيه إثبات صفة اليد لله عز وجل بقوله، وإثبات الفعل الذي هو النضح. و«الريضة» الملاءة. و«الحُمم» جمع حُممة وهي الفحمة.

وقوله: «ثم ينصرف نبيكم»، هذا انصراف من موضع القيامة إلى الجنة.

وقوله: «ويفرق على أثره الصالحون»، أي يفرعون ويمضون على أثره.

وقوله: «فتطلعون على حوض نبيكم»، ظاهره هذا أن الحوض من وراء الجسر فكانهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر.

وقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٣٦/٢) رقم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة. وعلقه البخاري (٣٩٩/٣) رقم الباب (٢٠) بصيغة الجزم.

(٢) في صحيحه (٤٦٥/١١) رقم (٦٥٨٧).

قائم على الحوض إذا زُمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أديبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم. قال فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار.

قلت: وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يُصدق بعضه بعضاً، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشرّبوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإن قوله: «طوله شهرٌ وعرضه شهر»، فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يُحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان، ووقوعه موقوف على خبر الصادق، والله أعلم.

وقوله: «والله على أظماً ناهلة قط»، الناهلة العطاش الواردون الماء، أي يردونه أظماً ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط، فإنه جسر النار وقد وردوا كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة.

وقوله: «تحبس الشمس والقمر»، أي تختفيان فتحتبسان ولا يُريان، والاحتباس التواري والاختفاء، ومنه قول أبي هريرة: «فانحبست».

وقوله: «ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً»، يحتمل أن يريد به ما بين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المضراعين.

ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدهما: أنه لم يصرّح فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المضراعين مسيرة أربعين عاماً، والثاني أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه. والله أعلم.

وقوله في خمر الجنة: «ما بها صداع ولا ندامة»، تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال، وحصول الشر الذي

يوجبه زوال العقل، و«ماء غير آسن» هو الذي لم يتغير بطول مكثه.

وقوله في نساء الجنة: «غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدَ»، قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين: فقالت طائفة: لا يكون فيها حَبْلٌ ولا وِلَادَةٌ، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث، وبحديث آخر أظنه في المسند وفيه: «غَيْرَ أَنْ لَا مَنِيٌّ وَلَا مَنِيَّةٌ»<sup>(١)</sup>.

وأثبت طائفة من السلف الوِلَادَةَ في الجنة واحتجت بما رواه الترمذي في جامعه<sup>(٢)</sup> من حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنَّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، ورواه ابن ماجه<sup>(٣)</sup>.

قالت الطائفة الأولى: هذا لا يدل على وقوع الولادة في الجنة فإنه علقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهى، وهذا تأويل إسحاق بن راهويه حكاه البخاري عنه، قالوا: والجنة دارٌ جزاءٍ على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا: والجنة دارٌ خلودٍ ولا موتٍ فيها، فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت: «إذا» إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه، وقد صح أنه سبحانه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٣/٨ رقم ٧٤٧٩) من حديث أبي أمامة. أن رسول الله ﷺ سئل: أيجامع أهل الجنة؟ قال: «دحاماً دحاماً ولكن لا مني ولا منية».

قلت: في سننه «خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك» «ضعيف مع كونه كان فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين» قاله: الحافظ في «التقريب» رقم (١٦٨٨).

وأخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده» عن أبي أمامة أيضاً. وفي سننه: «علي بن يزيد الألهاني» ضعيف. «التقريب» رقم (٤٨١٧).

\* وقوله: ولا مني ولا منية: أي: لا إنزال ولا موت.

وانظر: «زاد المعاد» (٣/٦٨٤ التعليقة رقم (١)).

(٢) أي في سننه (٤/٦٩٥ رقم ٢٥٦٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في السنن (٢/١٤٥٢ رقم ٤٣٣٨).

قلت: وأخرجه أحمد (٣/٩، ٨٠) والدارمي (٢/٣٣٧) وابن حبان في (رقم: ٢٦٣٦ -

موارد) وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم: ٥٨٧).

قلت: للحديث شواهد ومتابعات.

وخلاصة القول أن الحديث حسن غريب كما قال الترمذي، والله أعلم.

يُنشئ في الجنة خلقاً لِيُسْكِنَهُمْ إياها بلا عمل، قالوا: وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل، وأما من حيث سعتها فلو رُزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم، فإن أديانهم من ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام.

وقوله: «يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتھون»، لا جواب لهذه المسألة؛ لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما يُنتهى إليه من ذلك، وإن كان الانتهاء إلى نعيم وجحيم؛ ولهذا لم يُجبه النبي ﷺ.

وقوله في عقد البيعة: «وزيال المشرك» أي مفارقتة ومعاداته فلا تجاوزه ولا تواليه، كما جاء في الحديث الذي في السنن: «لا تُرى نارهما»<sup>(١)</sup> يعني المسلمين والمشركين.

وقوله: «حيث ما مررت بقبر كافر فقل: أرسلني إليك محمد»، هذا إرسال تقرير وتوبيخ، لا تبليغ أمر ونهي. وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء، وخطابهم لهم، ودليل على أن من مات مشركاً فهو في النار وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفة دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبه، وليس معهم حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل. والله أعلم اهـ.

(١) أخرجه أبو داود (٣/١٠٤ - ١٠٥ رقم ٢٦٤٥) والترمذي (٤/١٥٥ رقم ١٦٠٤) والنسائي (٨/٣٦ رقم ٤٧٨٠).

من حديث جرير بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى نارهما» بسند حسن. وله طريق آخر بإسناد صحيح عند أحمد (٤/٣٦٥) والبيهقي (٩/١٣) بلفظ: «وتفارق المشرك».

وقال الألباني: حديث صحيح دون جملة «العقل».



## فَضْلٌ [منكرو البعث على أربعة أصناف]

ثم منكرو البعثِ على أربعة أصنافٍ:

صنّف أنكروا المَبْدَأَ والمَعَادَ، وزعموا أن الأكوآنَ تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدّم بأنفسها، ليس لها ربّ يتصرف فيها، إنما هي أرحامٌ تدفع وأرضٌ تبلع، وهؤلاء هم جمهورُ الفلاسفةِ الدهريةِ والطبائعيةِ.

والصنّفُ الثاني من الدهرية طائفةٌ يقال لهم الدَّوْرِيَّةُ، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أن في كل سنةٍ وثلاثين ألفَ سنةٍ يعود كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مراتٍ لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم الله تعالى. وهاتان الطائفتان يعُثمهم قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران:

الأول: معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت الآباءُ ويحيى الأبناءُ هكذا أبداً، وهو قول الطائفةِ الأولى.

والمعنى الثاني: أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم، ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حسابَ ولا جزاءً، بل ولا موجدَ ولا مُعَدِمَ ولا محاسبَ ولا مُجَازِيَّ، وهذا قولُ الدَّوْرِيَّةِ.

الصنّف الثالث: الدهريةُ من مشركي العربِ ومن وافقهم، وهم مُقِرُّون بالبداءةِ وأن الله تعالى ربُّهم وخالقُهم ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]، فأقروا بالبداءةِ والمُبْدِئِ، وأنكروا البعثَ والمعادَ، وهم المذكورون في حديث أبي هريرةِ الصحيح: «وأما تكذيبه إياي فقولُه لن يُعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليّ من إعادته»<sup>(١)</sup>.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

والصنف الرابعُ: ملاحدةُ الجهمية ومن وافقهم، أقرّوا بمعاد ليس على ما في القرآن ولا فيما أخبرت به الرسلُ عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالمَ يعدُّمُ عدماً مَحْضاً، وليس المعادُ هو بل عالمٌ آخرٌ غيرُه، فحينئذ تكون الأرضُ - التي تُحدّث أخبارَها، وتخبر بما عمِلَ عليها من خيرٍ وشرٍ - ليست هي هذه، وتكون الأجسادُ التي تُعذَّب وتجازى وتشهد على من عمِلَ بها المعاصي ليست هي التي أُعيدت بل هي غيرُها، والأبدانُ التي تنعم في الجنة وتُثاب ليست هي التي عملت الطاعةَ ولا أنها تحوّلت من حال إلى حال، بل هي غيرُها تبتدأ ابتداءً مَحْضاً، فأنكروا معادَ الأبدانِ وزعموا أن المعادَ بداءةٌ أخرى!

وما أحسن ما قاله ابنُ القيمِ رحمه الله فيهم في كافيته<sup>(١)</sup>:

<p>وَقَضَى بَأْنَ اللّٰهَ يَجْعَلُ خَلْقَهُ العَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْأَرْوَاحُ وَالـ وَالْأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمَحِيْطُ وَسَائِرُ الـ كُلُّ سَيْفِنِيهِ الْفَنَاءُ الْمَحْضُ لَا يُوعِدُ ذَا الْمَعْدُومَ أَيضاً ثَانِيَا هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَا لَدِي هَذَا الَّذِي قَادَ ابْنَ سِينَا وَالْأَلِي لَمْ تَقْبَلِ الْأَذْهَانَ ذَا وَتَوْهَمُوا هَذَا كِتَابُ اللَّهِ أَنْتَى قَالَ ذَا أَوْ صَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعُ بَلْ صرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ فِيبَدَلُ اللّٰهُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَهمَا كِتَابِدِيلِ الْجَلُودِ لِسَاكِنِي الذِّ وَكذَٰلِكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ وَتَحَدَّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا</p>	<p>عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وَجُودًا ثَانِي أَمْلَاكُ وَالْأَفْلَاكُ وَالْقَمَرَانِ أَكْوَانٍ مِنْ عَرَضٍ وَمِنْ جُثْمَانٍ يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ كَظَلِّ فَاِنْ مَحْضُ الْوُجُودِ إِعَادَةٌ بِزَمَانٍ جَهَنَّمَ وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ قَالُوا مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ أَنْ الرَّسُولَ عَنَاهُ بِالْإِيمَانِ أَوْ عِبْدَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبِرْهَانِ لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ حَقًّا مُغْيِرُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ وَالْأَرْضُ أَيضاً، ذَانِ تَبْدِيلَانِ يِرَانِ عِنْدَ التُّضْجِ مِنْ نِيرَانِ بِيَدِيهِ مَا الْعَدْمَانِ مَقْبُوضَانِ أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ</p>
--	---

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، شرحها وحققها: الدكتور: محمد خليل هراس (٣٣/١ - ٤٤).

من فوقها قد أحدث الثقلان  
 لا شيء هذا، ليس في الإمكان  
 هـد تُبَدَل وهي ذات كيان  
 من غير أودية ولا كُثبان  
 كالأسطوان نفائس الأثمان  
 ما لِامْرِئٍ بالأخذ منه يدان  
 فتعودُ مثلَ الرملِ ذي الكُثبان  
 وصباغُه من سائر الألوان  
 مثلَ الهَبَاءِ لناظر الإنسان  
 قد فُجِّرَت تفجيرَ ذي سلطانٍ  
 لهما فيجتمعان يلتقيان  
 وكلاهما في النار مطروحان  
 كاللبيِّ نُشِرَت على ميدان  
 وتمور أيضاً أتما موران  
 ذا المُهل أو تك وردة كدهان  
 أيضاً وإتھما لمخلوقان  
 المأوى وما فيها من الولدان  
 عدَمٌ ولم تُخلق إلى ذا الآن  
 أجسادهم حُفظت من الديدان  
 أبداً وهم تحت الترابِ يدان  
 منه تُرَكَّب خَلْقَةُ الإنسان  
 تَبلى الجسومُ ولا بلى اللُحمانِ  
 الأرواحُ خارجةٌ عن الأبدان  
 قامت وذا في غاية البُطلان  
 أبدانها واللَّهُ أعظمُ شان  
 قد نَعِمَت بالرُوح والريحان  
 تجني الثمارَ بجنة الحَيوان

وتظل تشهد وهي عدلٌ بالذي  
 أفيشهدُ العدمُ الذي هو كاسمه  
 لكن تُسَوَّى ثم تُبسط ثم تشد  
 وتُمد أيضاً مثلَ مدِّ أديمنا  
 وتقيءُ يوم العَرَض من أكبادها  
 كلُّ يراه بعينه وعيانه  
 وكذا الجبالُ تُفتت فتاً مُحَكِّماً  
 وتكون كالعِهن الذي ألوانه  
 وتُبَسَّ بساً مثلَ ذاك فتثنني  
 وكذا البحارُ فإنها مسجورةٌ  
 وكذلك القمرانِ يَأذُنُ رُبنا  
 هذي مُكَوَّرَةٌ وهذا خاسفٌ  
 وكواكبُ الأفلاكِ تُنشرُ كلها  
 وكذا السماء تُشق شقاً ظاهراً  
 وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ  
 والعرشُ والكرسيُّ لا يُفنيهما  
 والحدورُ لا تفنى كذلك جنةٌ  
 ولأجل هذا قال جهنمُ إنها  
 والأنبياءُ فإنهم تحت الثرى  
 ما ليلبى بلحومهم وجسومهم  
 وكذلك عَجِبُ الظهر لا يبلى، بلى  
 وكذلك الأرواحُ لا تبلى كما  
 ولأجل ذلك لم يُقَرَّرَ الجهنمُ ما  
 لكنها من بعض أعراض بها  
 فالشأن للأرواح بعد فراقها  
 إما عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ  
 وتصير طيراً سارحاً مع شكلها

وتظل واردةً لأنهارٍ بها  
لكن أرواح الذين استشهدوا  
فلهم بذاك مزيةً في عيشتهم  
بذلوا الجسوم لربهم فأعضهم  
ولها قناديلٌ إليها تنتهي  
فالروح بعد الموت أكملُ حالةً  
وعذابٌ أشقاهَا أشدُّ من الذي  
والقائلون بأنها عرضٌ أبوا  
وإذا أراد اللُّهُ إخراجَ الوري  
ألقي على الأرض التي هم تحتها  
مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً  
فتظل تنبتُ منه أجسامُ الوري  
حتى إذا ما الأم حان ولأدها  
أوحى لها ربُّ السما فتشققُ  
وتخلتُ الأمُّ الولود وأخرجت  
واللُّهُ يُنشئُ خلقه في نشأةٍ  
هذا الذي جاء الكتابُ وسنةُ اله  
ما قال إن اللُّهُ يُعدم خلقه

حتى تعودَ لذلك الجثمانِ  
في جوف طيرٍ أخضرٍ ريان  
ونعيمهم للروح والأبدان  
أجسام تلك الطيرِ بالإحسان  
مأوى لها كمساكن الإنسان  
منها بهذي الدارِ في جثمان  
قد عاينتُ أبصارنا بعِيان  
ذا كلُّه تبّاً لذي نُكران  
بعد المماتِ إلى المعاد الثانِ  
واللُّهُ مقتدرٌ وذو سلطان  
عَشراً وعَشراً بعدها عَشْران  
ولحومهم كمنابت الریحان  
وتمخضت فنفساها مُتدان  
فبدا الجنينُ كامل الشبانِ  
أنقالها أنثى ومن ذُكران  
أخرى كما قد قال في القرآن  
يادي به فاحرض على الإيمان  
طُراً كقول الجاهلِ الحيران

### [شرح أبيات ابن القيم المتقدمة]

قوله: «هذا المعاد وذلك المبدأ لدى جهنم» تقدم تقريره، وتقدم ترجمة جهنم وبيان مذهبه وعنم أخذه ومن أخذ عنه<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وهو الذي قاد ابن سينا» هو أبو علي بن سينا<sup>(٢)</sup>، واسمه الحسن بن عبد الله، وهو رئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم، له كتاب (الإشارات) الذي هدب

(١) تقدم التعريف بجهنم وبالجهمية وغير ذلك.

(٢) تقدم التعريف به.

فيه مذهب أرسطو<sup>(١)</sup> وقربه قليلاً إلى الأديان، وكان - فيما ذكر ابن القيم - يقول بقدوم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور، وكان ابن سينا هذا تفقه مذهب الفلاسفة من كتب الفارابي<sup>(٢)</sup> أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي هذا قبحه الله يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره.

وقد رد عليه الغزالي<sup>(٣)</sup> في (تهافت الفلاسفة) في عشرين مجلساً له، كفره في ثلاث منها وهي قوله بقدوم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقوله: إن الله لا يعلم الجزئيات، وبدعه في البواقي. قال ابن كثير: ويقال إنه تاب عند الموت، فالله أعلم.

قوله رحمه الله: «والألى قالوا مقالته إلى الكفران»، يعني بذلك أتباع ابن سينا وأنصار زندقته، ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسي<sup>(٤)</sup> واسمه محمد بن عبد الله، ويقال له الخواجا نصير الدين، فإنه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذنب عنه، وقام في ذلك وقعد، وشرح إشاراته وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة، ويسمي كتاب الله تعالى قرآن العامة، ورد على الشهرستاني<sup>(٥)</sup> في مصارعة ابن سينا بكتاب

(١) تقدم التعريف به.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام أبو حامد) حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، من تصانيفه «تهافت الفلاسفة» و «الوجيز» في فروع الفقه الشافعي. و «المستصفي» في «أصول الفقه».

ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٠٥هـ).

[النجوم الزاهرة (٢٠٣/٥) ومعجم المؤلفين (٢٦٦/١١ - ٢٦٩).]

(٤) يراجع لحقيقة النصير الطوسي التعليق على «المنتقى من ميزان الاعتدال» (ص ٢٠) (د. أحمد الحكمي).

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، نسبة إلى بلدة «شهرستان، مسقط رأسه ومثوى رفاة.

سماه «مصارعة المصارع»، قال: وقفنا على الكتابين، نص فيه أن الله تعالى لم يَخْلُقِ السمواتِ والأرضَ في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئاً، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور. وذكر عنه أنه تعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام، إلى أن قال: وبالجملة فكان هذا الملحّد هو وأتباعه من الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

قلت: وكان الطوسي هذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيراً لهولاكو خان وهو الذي بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم، ونقل إليها أوقاف المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «إنه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمائة، فعمل دارَ حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد في اليوم واللييلة ثلاثة دراهم. ودارَ طب فيها للطبيب في اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودارَ حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم».

وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام عليه فليراجع. وأما هولاكو خان ملك التتار الذي كان الطوسي وزيراً له فذكر ابن كثير<sup>(٢)</sup> هلاكه في سنة أربع وستين وستمائة وقال: «كان ملكاً جباراً كفّاراً لعنه الله تعالى، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وسيجزيه على ذلك شرّ الجزاء. كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت، وكانت

= ولد في الراجح سنة (٤٧٩هـ) وتوفي في شعبان سنة (٥٤٨هـ). وبذلك يكون قد عاش قرابة السبعين سنة.

والشهرستاني من حيث المذهب شافعي، ومن حيث الأصول أشعري، يذب عن آراء الفلاسفة، وقال فيه ابن السمعاني: «إنه كان متهماً بالميل إلى أهل القلاع - يعني الإسماعيلية - والدعوة إليهم، غال في التشيع».

من مؤلفاته: «الملل والنحل» و«مصارعة الفلاسفة» وغيرهما. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/٢٧٣ - ٢٧٥) و«لسان الميزان» (٥/٢٦٣) و«الشذرات» (٤/١٤٩).

(١) في «البداية والنهاية» (١٣/٢٢٨).

(٢) في «البداية والنهاية» (١٣/٢٦٢).

تفضل النصارى على سائر الخلق. وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة، وهو كان يترامى على محبة المعقولات ولا يتصور منها شيئاً. وإنما كان همته في تدبير الملك وتملك البلاد شيئاً فشيئاً، حتى أباده الله في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وستين ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله تبارك وتعالى».

وقول ابن القيم رحمه الله:

بل صرح الوحي المبين بأنه حقاً مغيرُ هذه الأكوان. إلخ

يشير بذلك إلى قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآيات، وإلى ما في الصحيحين<sup>(١)</sup> من حديث أبي حازم عن سهل بن سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد».

وفي صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خُبزة واحدة يتكفؤها الجبارُ بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة».

وفي صحيح مسلم<sup>(٣)</sup> عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أولُ الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قالت: قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على الصراط».

وفيه<sup>(٤)</sup> من حديث اليهودي الذي سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر» الحديث.

(١) البخاري (٣٧٢/١١) رقم (٦٥٢١)، ومسلم (٢١٥٠/٤) رقم (٢٧٩٠).

\* النقي: بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من الغش والنخال. قاله الخطابي.

(٢) (٣٧٢/١١) رقم (٦٥٢٠).

قلت: وأخرجه مسلم (٢١٥١/٤) رقم (٢٧٩٢).

(٣) في صحيحه (٢١٥٠/٤) رقم (٢٧٩١).

(٤) أي في صحيح مسلم (٢٥٢/١) رقم (٣١٥).

ولابن جرير الطبري<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن خبراً من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين الخلق عند ذلك؟ فقال: «أضيف الله، فلن يُعجزهم ما لديه»، ورواه ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> أيضاً.

وفي حديث الصور الطويل<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات، فيسقطها ويمدّها مدّ الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة». وهذا هو الذي أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله: وتُمد أيضاً مثل مدّ أديمنا إلخ البيت.

وقوله: وهما كتبديل الجلود لساكني النيران إلخ، يشير إلى قول الله تعالى: ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. ووجه المشابهة بين التبدلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها عودي فعادت كما كانت، ومعنى قوله: «غيرها» أي صارت غيرها لعودها بعد ما نضجت واحترقت، وإلا فهي هي التي عملت المعاصي في الدنيا، وبها تُجازى في الآخرة.

وقال ابن عباس<sup>(٤)</sup> رضي الله عنهما يُبدلون جلوداً بيضاً أمثال القراطيس، يعني تُجدد لهم الجلود التي نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبداً والعياد بالله، وكذلك تبدل الأرض والسموات، هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهي هي. والله أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذلك يقبض أرضه وسماءه بيديه إلخ. يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَمَا فَذَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

(١) في «جامع البيان» (٨/ج ١٣/٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) في تفسيره (٧/٢٢٥٣ رقم ١٢٣١٢) بسند ضعيف لضعف ابن أبي مريم.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج ١٤٢/٥) عن ابن عمر.

وأورده ابن كثير في تفسيره (١/٥٢٦) عن ابن عمر وعزاه لابن أبي حاتم.



وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وللإمام أحمد<sup>(٢)</sup> والترمذي<sup>(٣)</sup> رحمهما الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على يده؟ وأشار بالسبابة، والأرض على يده، والجبال على يده، وسائر الخلق على يده، كل ذلك ويشير بأصابعه، قال فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وفي الصحيحين<sup>(٤)</sup> أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

وفيها<sup>(٥)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك».

(١) البخاري (٨/٥٥٠ - ٥٥١ رقم ٤٨١١)، ومسلم (٤/٢١٤٧ رقم ٢٧٨٦).

(٢) في «المسند» رقم (٢٢٦٧ - شاكراً) وقال أحمد شاكراً: إسناده ضعيف لضعف حسين بن حسن الأشقر.

قلت: تابعه محمد بن الصلت عند الترمذي.

(٣) في «السنن» (٥/٣٧١ رقم ٣٢٤٠). وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) البخاري (٨/٥٥١ رقم ٤٨١٢)، ومسلم (٤/٢١٤٨ رقم ٢٧٨٧).

(٥) أي في البخاري (١٣/٣٩٣ رقم ٧٤١٢)، ومسلم (٤/٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨).

وفي لفظ لمسلم<sup>(١)</sup>: «يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول: أنا الملك - ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الملك، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرك من أسفل شيءٍ منه حتى إني لأقولُ أساقطُ هو برسول الله ﷺ».

ولفظ أحمد<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويُدبر: يمجّد الرب نفسه: أنا الجبارُ أنا المتكبرُ أنا الملكُ أنا العزيزُ أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبرُ حتى قلنا ليخرنُ به».

ولابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليفة، والأرضين السبع بما فيها من الخليفة، يطوي ذلك كله بيمينه، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة.

وقوله رحمه الله تعالى: «وتحدّث الأرض التي كنا بها أخبارها إلخ»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ بأن ربك أوحى لها ﴿٥﴾ [الزلزلة].

وروى الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> والترمذي<sup>(٥)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ

(١) في صحيحه (٤/٢١٤٨ رقم ٢٥٨٨/٢٧).

(٢) في المسند (٢/٧٢) بسند صحيح.

(٣) في تفسيره (١٠/٣٢٥٦ رقم ١٨٤١٠) وانظر: «الدر المنثور» (٧/٢٤٧ - ٢٤٨).

(٤) في المسند (٢/٣٧٤).

(٥) في السنن (٤/٦١٩ رقم ٢٤٢٩) و(٥/٤٤٦ رقم ٣٣٥٣).

قلت: وأخرجه النسائي في التفسير (رقم ٧١٣) وابن حبان (رقم: ٢٥٨٦ - موارد) والحاكم (٢/٢٥٦) و(٢/٥٣٢) وصححه، وسكت عنه الذهبي في الموضع الأول، وتعقبه في الموضع الثاني بقوله: «يحيى هذا منكر الحديث، قاله البخاري». وأخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (٨/٥٠٢) وفي «شرح السنة» (١٥/١١٧ رقم ٤٣٠٨) كلهم من حديث سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.

وله شاهد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/٦٥ رقم ٤٥٩٦) من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «استقيموا ونعماً إن استقمتم وحافظوا على الوضوء، فإن خير عملكم الصلاة، وتحفظوا من الأرض فإنها =

هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قال: «أندرون ما أخبارها؟ قالوا: اللّهُ ورسولهُ أعلم». قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، أن تقولَ عملَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا. فهذا أخبارها»، ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

وفي معجم الطبراني<sup>(١)</sup> من حديث ابن لهيعة، حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشية أن رسولَ الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مُخبرة».

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: «أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد». وكذا قال ابن عباس.

وعنه<sup>(٣)</sup> قال: «قال لها ربها قولي فقالت».

وقال مجاهد<sup>(٤)</sup>: «أوحى لها أي أمرها».

وقوله رحمه الله تعالى:

وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَسْبَابِهَا  
كَالْأَسْطُورَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ

كلُّ يراه بعينه إلخ. يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وإلى ما رواه مسلم<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة

= أمكم، وإنه ليس من أحد عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة».

وربيعة الجرشية هذا مختلف في صحبته - كما في «التقريب».

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/٢٤١): «وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف».

وانظر: «الكافي الشاف» (ص ١٨٦ - ١٨٧ رقم ٣٥٠). و«الدر المثور» (٨/٥٩٢).

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) «الكبير» (٥/٦٥ رقم ٤٥٩٦) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. وربيعة الجرشية مختلف في صحبته. وقد تقدم تخريجه والكلام عليه في التعليقة المتقدمة.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٥٧٦ - ٥٧٧).

(٣) أي عن ابن عباس أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/٣٠٠ ج ٢٦٦).

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/٣٠٠ ج ٢٦٧).

(٥) في صحيحه (٢/٧٠١ رقم ١٠١٣).

\* أمثال الأسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود. وشبهه بالأسطوانة لعظمه.

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُلقي الأرض أفلاذَ كبدها أمثالَ الأسطوانِ من الذهبِ والفضة، فيجيءُ القاتلُ فيقول: في هذا قتلت، ويجيءُ القاطعُ فيقول: في هذا قطعْتُ رحمي، ويجيءُ السارقُ فيقول: في هذا قُطعتُ يدي، ثم يدعونه فلا يأخذونَ منه شيئاً».

وقوله: «وكذا الجبالُ تُفتت فتأُ مُحكماً إلخ»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَسَتَلُونَا عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ نَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾﴾ [طه].

وقوله عز وجل: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، الآية.

وقوله عز وجل: ﴿وَسَتَّ الْجِبَالُ نَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة].

وقوله عز وجل: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩].

وفي آية القارعة ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ [المرسلات: ١٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

وقوله عز وجل: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وما في

معانيها من الآيات.

قال ابن عباس<sup>(١)</sup> ﷺ: سأل رجلٌ من ثقيفٍ رسولَ الله ﷺ: كيف تكونُ الجبالُ يومَ القيامة؟ فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآية: ﴿وَسَتَلُونَا عَنْ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٥]، أي هل تبقى يومَ القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ نَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٥]، أي يُذهبها عن أماكنها، ويُسيِّرها تسييراً فيذرها أي الأرضُ قاعاً صَفْصَفًا أي بسطاً واحداً،

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/٢٩٤) و «روح المعاني» للألوسي (١٦/٢٦١).

والقاع هو المنبسط المستوي من الأرض، والصفصف الأملس. ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]: أي لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابية ولا صدعاً ولا أكمة ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً. كذا قال ابن عباس<sup>(١)</sup> وعكرمة<sup>(٢)</sup> ومجاهد<sup>(٣)</sup> والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿تَحْسَبَهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، أي قائمة وواقفة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض.

قال البغوي<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى: «وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وبعد ما بين أطرافه، فهو في حُسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمتها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر».

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]: أي فُتتت فتاً<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/١٦ج/٢١٢) بسند منقطع علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/١٦ج/٢١٢).

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/١٦ج/٢١٢).

(٤) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٣/١٧٤).

وقال الطبري (٩/١٦ج/٢١٣): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف من كلام العرب. فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم عوج؟ فيقال: لا ترى فيها يومئذ عوجاً. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ يميناً، وأحياناً شمالاً، لما فيها من الجبال والأودية والبحار.

وأما الأمت فإنه عند العرب: الائشاء والضعف، مسموع منهم، ... فالواجب إذا كان ذلك معنى «الأمت» عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض ... اهـ.

(٥) في «معالم التنزيل» (٦/١٨٣).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/٣٠٣).

\* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/٢٧ج/١٦٨) أثر ابن عباس بسند منقطع.

\* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/٢٧ج/١٦٨) أثر مجاهد.

\* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/٢٧ج/١٦٨) أثر عكرمة.

وقال عطاءٌ ومجاهدٌ ومقاتلٌ: فصارت كاللديقِ المبسوس، وهو المبلول<sup>(١)</sup>.  
قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ والسُّدِّيُّ: كُسرَتْ كسراً.  
وقال الكلبيُّ: سُيرتْ على وجه الأرضِ تسييراً.  
وقال الحسن: قُلعت من أصلها فذهبت. ونظيرُها: ﴿فَقُلْ يَسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾  
[طه: ١٠٥].

وقال ابنُ كيسانَ: جُعِلت كثيراً مهياً بعد أن كانت شامخةً طويلة، ﴿فَكَانَتْ  
هَبَاءً مُنْبِتًا﴾ [الواقعة: ٦] غباراً متفرقاً كالذي يُرى في شعاعِ الشمسِ إذا دخل الكُوَّةُ  
وهو الهَبَاءُ.

وقال أبو إسحاقَ عن الحارثِ عن عليٍّ<sup>(٢)</sup> ﷺ ﴿هَبَاءٌ مُنْبِتًا﴾: كرهجِ العُبارِ  
يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيءٌ.

وقال العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>: الهَبَاءُ يطير من النار إذا أضرمت، يطير منه  
الشرُّ، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال عِكْرِمَةُ<sup>(٤)</sup>: المنبِتُ الذي قد ذرَّته الرِّيحُ ويثته.

وقال قتادة<sup>(٥)</sup>: هَبَاءٌ منبِتاً، كيبسِ الشجرِ الذي تذرّوه الرياحُ.

وقال مجاهدٌ وعِكْرِمَةُ وسعيدُ بنُ جبيرٍ والحسنُ وقتادةٌ وعطاءُ الخُراساني  
والضحَّاكُ والسُّديُّ: «العِهْنُ الصوفُ»<sup>(٦)</sup>.

وقال البغوي<sup>(٧)</sup>: كالصوفِ المصبوغِ، ولا يقال عِهْنٌ إلا للمصبوغِ.

(١) انظر: «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٧).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣٠٣/٤) بسند ضعيف.

الحارث هو الأعور صاحب علي، كذبه الشعبي في رأيه، وزوي بالرفض، وفي حديثه  
ضعف، وليس له عند النسائي سوى حديثين. «التقريب» رقم (١٠٢٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٩) بسند ضعيف.

(٤) ذكره ابن كثير (٣٠٣/٤).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٩).

(٦) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٥٨٠/٤).

(٧) في «معالم التنزيل» (٥١٣/٨).

وفيه: «كالصوف المندوف».

وقال الحسن: كالصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف. وقال: المنفوش: المندوف.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق. وقال في قوله: ﴿كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤]: أي تصير ككُثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء<sup>(٢)</sup>.

وقال البغوي<sup>(٣)</sup>: «رملًا سائلاً. قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه». وقال: ﴿نِسْفَتَ﴾ [المرسلات: ١٠] قُلعت من أماكنها<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن كثير<sup>(٥)</sup>: «ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر». وقال<sup>(٦)</sup> في: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠]: «أي يخيل إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر». وقال<sup>(٧)</sup> في: ﴿وَسَيِّرُ الْجِبَالِ﴾ [الطور: ١٠]: «تذهب عن أماكنها وتزول» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يوارى أحداً، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية.

قال مجاهد وقتادة: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: لا حَجَر فيها ولا غيابة. وقال قتادة أيضاً: «لا بناء ولا شجر»<sup>(٨)</sup>.

وقال البغوي<sup>(٩)</sup>: ﴿فَلَدَكَّا﴾ كُسرتا ﴿دَكَّة﴾ كسرة ﴿وَجِدَّة﴾ [الحاقة: ١٤]. قال:

- 
- (١) في تفسيره (٤/٥٨٠).
  - (٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/٤٦٧).
  - (٣) في «معالم التنزيل» (٨/٢٥٦).
  - (٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/٣٠٤).
  - (٥) في تفسيره (٤/٤٩٠).
  - (٦) أي ابن كثير في تفسيره (٤/٤٩٤).
  - (٧) أي ابن كثير في تفسيره (٣/٩٢).
  - (٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٩٢).
  - \* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٥٧/١٥) أثر مجاهد.
  - \* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٢٥٧/١٥) أثر قتادة.
  - (٩) في «معالم التنزيل» (٨/٢٠٩).

وأوُّ ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيباً، ثم عنها منقوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.  
وقوله رحمه الله تعالى: وكذا البحارُ فإنها مسجورةٌ، قد فُجرت الخ، يشير  
إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ  
فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

«قال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس: فَجَّرَ اللهُ تعالى بعضها في بعض.  
وقال الحسن: فَجَّرَ اللهُ تعالى بعضها في بعض فذهب ماؤها.  
وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها.  
وقال الكلبي: مُلئت»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً  
تضطرم.

وقال مجاهدٌ ومقاتلٌ: يعني فُجِّرَ بعضها في بعض، العذبُ والمِلْحُ، فصارت  
كلها بحراً واحداً.

وقال الكلبي: مُلئت... وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم  
لأهل النار.

وقال الحسن: يَبِست. وهو قولُ قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها  
قطرة»<sup>(٢)</sup>.

والمعنى المتحصّل من أقوالهم رحمهم الله أنها يُفَجَّرُ بعضها في بعض  
فتمتلئ، ثم تُسَجَّرُ ناراً فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابنُ القيمِ رحمه الله تعالى بينهما  
فقال: «مسجورةٌ قد فُجِّرَتْ»، واللهُ تعالى أعلم.

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٥١٣/٤).

\* أخرج أثر ابن عباس ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٨٥) بسند منقطع.

\* أخرج أثر الحسن ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٨٥).

\* أخرج أثر الكلبي ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٨٥).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٤٦/٨ - ٣٤٧). وانظر: «الدر المنثور» (٤٢٩/٨).

\* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٦٨) أثر الكلبي.

\* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٦٨) أثر الحسن.

\* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٦٨) أثر قتادة.



وقوله رحمه الله تعالى: «وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان» إلخ،  
 يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ۗ﴾ [القيامة].  
 وقوله ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]. حَسَفَ: أظلم وذهب نوره وضوؤه. ﴿وَجَمَعَ  
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾ أي صارا أسودين مُكْوَرَيْنِ كأنهما ثورانِ عَقيرانِ.  
 وقال عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(١)</sup> ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]:  
 أظلمت. وقال العوفي<sup>(٢)</sup> عنه: ذهب.

وقال مجاهد<sup>(٣)</sup>: اضمحلت وذهبت: وكذا قال الضحاك<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة<sup>(٣)</sup>: ذهب ضوؤها.

وقال سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>: كُوِّرَتْ غُوِّرَتْ.

وقال ربيع بن خثيم<sup>(٣)</sup>: رُمِيَ بها.

وقال أبو صالح<sup>(٣)</sup>: أَلْقِيَتْ. وعنه<sup>(٣)</sup> أيضاً: نُكِّسَتْ.

وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: «والصوابُ عندنا من القول في ذلك أن التكويرَ جمعُ  
 الشيءِ بعضُه على بعض، ومنه تكويرُ العِمَامَةِ، وجمعُ الثيابِ بعضُها على بعض،  
 فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جُمع بعضُها إلى بعض ثم لُقِّتْ فُرْمِيَ بها، وإذا فُعل  
 بها ذلك ذهب ضوؤها».

ولابن أبي حاتم<sup>(٤)</sup> عن أبي عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال:  
 يَكْوُرُ اللَّهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ والنجومُ يوم القيامة في البحر، ويبعث الله تعالى ريحاً  
 دَبُوراً فيضرمها ناراً. وكذا قال عامر الشعبي.

ولابن أبي حاتم<sup>(٥)</sup> عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله قال في

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/١٥٠ ج ٣٠/٦٤) عنه بسند منقطع.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٣٠٠ ج ٦٤/٣٠٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٣٠٠ ج ٦٤/٣٠٠).

(٤) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/٥٠٧) مسنداً.

(٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/٥٠٧) مسنداً.

قلت: هذا الأثر مرسل لأن «يزيد بن أبي مريم» تابعي انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/٤٢٨-٤٢٩).

قول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال: «كُوِّرَتْ في جهنم».  
وللبخاري<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الشمس والقمر يُكْوَران يوم القيامة».

وللبزار<sup>(٢)</sup> عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة».

وقوله رحمه الله تعالى: «وكواكب الأفلاك تُنثر كلها إلخ»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]: أي مُحِي نورها وذهب ضوؤها. وانكدرت: «تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر إذا سقط عن عشه».

قال الكلبي وعطاء: تُمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجمٌ إلا وقع<sup>(٣)</sup>.

وقوله رحمه الله تعالى: «وكذا السماء تُشق شقاً ظاهراً وتمور» إلخ، يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةٍ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِيمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله عز وجل: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]. وقوله عز وجل:

(١) في صحيحه (٢٩٧/٦) رقم (٣٢٠٠). وفيه «مُكْوَران» بدل «يُكْوَران».

(٢) لم أجده في «كشف الأستار» كما أن مسند أنس في البحر الزخار، المعروف: بمسند البزار لم يطبع حتى الآن.

وقد أخرجه أبو يعلى في المسند (١٤٨/٧) رقم (٤١١٦/١٣٦١) والطيالسي في المسند رقم (٢٢٨٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٨٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/٢٩٣) من طرق عن درست بن زياد، عن يزيد الرقاشي عن أنس به بإسناد ضعيف جداً لضعف يزيد الرقاشي، انظر: «التقريب» رقم (٧٦٨٣). ودرست بن زياد كان منكر الحديث جداً، انظر: «المجروحين» (١/٢٩٣).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»، أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٨٣) بسند صحيح. وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره دون قوله «عقيران»، والله أعلم.

(٣) ذكر ذلك البغوي في «معالم التنزيل» (٣٤٦/٨).

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالرَّهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، وقوله: ﴿فَإِذَا أُنشِقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

قوله: ﴿أُنشِقَتِ﴾: أي صارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ عن ابن عباس<sup>(١)</sup>: تغير لونها، وعنه<sup>(٢)</sup> قال: كالفرس الورد. وقال أبو صالح<sup>(٣)</sup>: كاليزدون الورد.

وحكى البغوي<sup>(٤)</sup> وغيره: «أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد البرد اغبرّ لونها، فشبّه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه».

﴿كَالدِّهَانِ﴾ «قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع<sup>(٥)</sup> هو جمع دهن، شبه السماء في تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الورد في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه».

وقال عطاء بن أبي رباح<sup>(٦)</sup>: كالدهان: كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً.

وقال مقاتل<sup>(٧)</sup>: كدهن الورد الصافي.

وقال ابن جريج<sup>(٨)</sup>: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حرّ جهنم.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٤١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٤١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٤١).

(٤) في «معالم التنزيل» (٤٤٩/٧).

(٥) ذكره أقوالهم البغوي في «معالم التنزيل» (٤٤٩/٧).

(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤٤٩/٧).

(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤٤٩/٧).

(٨) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤٤٩/٧).

وقال ابن عباس<sup>(١)</sup> والكلبي<sup>(٢)</sup>: كالدّهان أي كالأديم الأحمر، وجمعه دُهنة ودُهْن.

وقال عطاء الخراساني<sup>(٣)</sup>: كلون الدُهْن في الصفرة.

وقال قتادة<sup>(٤)</sup>: هي اليوم خضراء، ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذوالوان.

وقال ابن كثير<sup>(٥)</sup> رحمه الله: «تذوب كما يذوب الدُّزْدِيُّ والْفِضَّةُ في السَّبْك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يُدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم».

وللإمام أحمد<sup>(٦)</sup> عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَطْشُ عَلَيْهِمْ».

قال الجوهري: الطَّشُّ المَطْرُ الضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

«قال ابن عباس وقاتدة: تتحرك تحريكاً، وعنه: هو تشققها.

وقال مجاهد: تدور دوراً.

وقال الضحّاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا

اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» كما في «الدر المشثور» (٧/٧٠٢).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/٤٤٩).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٩٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٤١).

(٥) في تفسيره (٤/٢٩٥).

(٦) في المسند (٣/٢٦٦ - ٢٦٧). بسند ضعيف.

قلت: وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/٩٩ رقم ١٢٨٦/٤٠٤١).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٣٤ - ٣٣٥) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى،

وفيه عبد الرحمن بن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً وبقية رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن سند الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٥٨).

\* أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/٢١) بسند منقطع.

وقال عطاء الخراساني<sup>(١)</sup>: تختلف أجزاءها بعضها في بعض، وقيل  
تضطرب.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: «تدور كدوران الرّحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة» قال:  
«والمورّ يجمع هذه المعاني كلّها: فهو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران  
والاضطراب».

وقال تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة:  
١٦] عن علي قال: تنشق السماء من المجرة، رواه ابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>، «والملك اسم  
جنس - أي الملائكة - على أرجاء السماء».

قال ابن عباس: على ما لم يُرَ منها أي حافتيها. وكذلك قال سعيد بن جبيرة  
والأوزاعي.

وقال الضحاك: أي أطرافها.

وقال الحسن البصري: أبوابها.

وقال الربيع بن أنس: على ما استرقّ من السماء ينظرون إلى أهل  
الأرض<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]: متشقّق. «قال الحسن  
وقتادة أي بسببه من شدته وهوله»<sup>(٥)</sup>.

= \* أثر قتادة أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/٢١).

\* وأثر ابن عباس الثاني أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/٢١).

\* وأثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/٢١).

\* وأثر الضحاك أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج ٢٧/٢١).

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣٨٧/٧).

(٢) في «معالم التنزيل» (٣٨٧/٧).

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤٤١/٤).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٤١/٤).

\* أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٩/٥٨).

\* أثر سعيد بن جبيرة أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج ٢٩/٥٨).

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٦٧/٤).

و﴿فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: «أي انفطرت وانشقت وتدلّت أرجاؤها، ووهت أطرافها».

وقوله رحمه الله: «والعرش والكرسي لا يُفْنِيهما إلخ»، وكذا قوله: «والحور لا تَفْنِي كذلك جنة المأوى إلخ». يعني أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل ببقاء الله إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها، وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها في مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتي ذكر ما تيسر منها.

وقد جاء في تفسير قوله: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» [الزمر: ٦٨].

أن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب، وقد قال الإمام أحمد في ذلك: إنه هو اعتقاد السلف الصالح. قال فإن احتج مبتدع بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا مَنَاقِبٌ﴾ [الرحمن: ٢٦]، قيل إن المراد كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فإن. ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور في سورة الزمر، وأيضاً فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة، والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت. وكذا جاء في العرش أن الله يأمره أن يأخذ الصور من إسرافيل عليه السلام عند موته كما في حديث الصور الطويل.

وقوله: «ولأجل هذا قال جهنم إنها عدم إلخ»، يعني أن لجهنم إلحاداً في آيات الله جميعها، فكما ألحد في آيات الأسماء والصفات ألحد أيضاً في آيات الوعد والوعيد، وجد وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما، وقضى أيضاً بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتي إن شاء الله.

وقوله رحمه الله:

والأنبياء فإنهم تحت الثرى أجسادهم حُفِظت من الديدان إلخ

(١) في تفسيره (٤/٤٩٠).

يشير إلى ما في السنن<sup>(١)</sup> وغيرها<sup>(٢)</sup> وصححه ابنُ حبان<sup>(٣)</sup> من حديثِ أوسِ بنِ أوسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أفضلَ أيامكم يومُ الجمعة، فيه خلقتُ آدمَ، وفيه قُبض، وفيه النفخةُ، وفيه الصعقةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاةِ فيه، فإن صلاتكم معروضةً عليَّ». قالوا: يا رسولَ الله كيف تُعرضُ صلاتنا عليك وقد أُرمت؟ قال يقولون: بليت. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء.

وقال ابنُ وهب: أخبرني عمرو بنُ الحارث عن سعيد بنِ أبي هلالٍ عن زيدِ ابنِ أيمنَ عن عبادةَ بنِ نسيٍّ عن أبي الدرداءِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكثروا عليَّ من الصلاةِ يومَ الجمعة فإنه يوم مشهودٌ تشهده الملائكةُ، وإن أحداً لا يصلي عليَّ إلا عُرِضت عليَّ صلاته حتى يفرغ». قال: قلت وبعد الموت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»، ورواه ابنُ ماجه<sup>(٤)</sup> بإسناد جيد<sup>(٥)</sup>.

(١) أبو داود رقم (١٠٤٧) و(١٥٣١)، والنسائي (٩١/٣ - ٩٢) وابن ماجه رقم (١٠٨٥) و(١٦٠٦).

(٢) كأحمد في «المسند» (٨/٤) والدارمي (٣٦١/١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٥١٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٥٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤٨/٣) وإسماعيل القاضي رقم (٢٢) والحاكم (٢٧٨) وقال: «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي.

قلت: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي الأشعث الصنعاني، وهو «شراحيل بن أدة» لم يخرج له البخاري في «صحيحه»، وإنما أخرج له في «الأدب المفرد». (٣) في صحيحه (١٩٠/٣ - ١٩١ رقم ٩١٠).

قلت: وصححه ابن خزيمة رقم (١٧٣٣) وحسنه المنذري والحافظ ابن حجر وصححه النووي في «الأذكار».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.  
\* أُرمت: على وزن صُرِّبت، أي بليت.  
(٤) في السنن ٥٢٤/١ رقم (١٦٣٧).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٥٤٥) رقم (١٦٣٧/٥٩٦): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع في موضعين». عبادة بن نسي روايته عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلائي. وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسلة، قاله البخاري اه.

(٥) قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٥٠١) رقم (٢٤٨٦).  
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، إلا أن لمتته شواهد.

وفي رواية للطبراني<sup>(١)</sup>: «ليس من عبد يصلي عليّ إلا بلغني صلاته. قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: وبعد وفاتي، إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

والأحاديث في بلوغ صلاتنا إليه، وعرض أعمالنا عليه كثيرة جداً، وبعضها في الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد<sup>(٢)</sup>.

وقد ثبت أيضاً في أجساد الشهداء أنها لا تبلى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخاري<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال: «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً. فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه».

ولأصحاب السنن<sup>(٤)</sup> عنه ﷺ من حديث طويل، وفيه: «بيننا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبد الله، والله لقد أثار أباك عمال معاوية، فبدا فخرج طائفة منه. فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل».

وللبیهقي<sup>(٥)</sup> عنه ﷺ قال: «لما أجرى معاوية العين عند قتلي أحد بعد

(١) لم أعثر عليه عند الطبراني في الكبير المطبوع.

(٢) انظر: «فضل الصلاة على النبي ﷺ» لإسماعيل بن إسحاق الجهمي. تحقيق: المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن قيم الجوزية. تخريج وتعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط والشيخ عبد القادر الأرنؤوط.

(٣) في صحيحه (٣/٢١٤ رقم ١٣٥١).

(٤) أبو داود (١/٥١٤ رقم ٣١٦٥) والترمذي (٤/٢١٥ رقم ١٧١٧) والنسائي (٤/٧٩) وابن ماجه (١/٤٨٦ رقم ١٥١٦) من حديث جابر مختصراً. وأخرجه مطولاً البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٢٩٢ - ٢٩٣). وهو حديث حسن.

(٥) في «دلائل النبوة» (٣/٢٩١) بسند حسن، إلا أن فيه قول حماد: «وزادني صاحب لي في الحديث: فأصاب قدم حمزة فانبعث دماً» من غير سند.



أربعين سنة استُضِرَّخْنَاهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً.

وفي رواية ابن إسحاق<sup>(١)</sup> عنه قال: «فأخرجناهم كأنما دُفِنوا بالأمس».

وذكر الواقدي<sup>(٢)</sup> أن معاوية لما أراد أن يُجْري العَيْنَ نادى مناديه: من كان له قتيلاً بأحد فليشهد، قال جابر: فحفرنا عنهم فوجدتُ أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره - عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ - ويده على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً. ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك، ﷺ أجمعين، وذلك بعد ستِ وأربعين سنة من يوم دُفِنوا. وفي ذلك آثارٌ كثيرة.

وقوله رحمه الله تعالى: «وكذلك عَجِبُ الظَّهْرُ لا يبلى إلخ»، يشير إلى حديث أبي هريرة المتقدم قريباً وفيه: «وليس من الإنسان شيء إلا سيَبلى، إلا عظماً وهو عَجْبُ الذَّنْبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخلق يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وقوله رحمه الله تعالى: «وكذلك الأرواحُ لا تبلى إلخ»، يشير إلى ما تقدم ذكره بعضه قريباً من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، من أن الأرواح ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة، بل هي حقيقة أخرى مستقلة يُعَمَّرُ الجسدُ بحلولها فيه ويفسُدُ بخروجها منه، وهي النَسَمَةُ التي يموت الإنسانُ بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقة، وأنها تُنْفَخُ وتُقَبَّضُ وتَصْعَدُ وتهبطُ، وأنها بعد مفارقتها للجسد إما أن تُنْعَمَ أو تُعَذَّبَ، وإما أن تُفْتَحَ لها أبواب السماء حتى يُنْتَهَى بها إلى الله، أو تُعَلَّقَ دونها، فيذهبُ بها إلى سِجِّين والعياذُ بالله كما قدمنا ذلك والله الحمد، وأنها تُجْمَعُ في الصور وتطيرُ بنفخِ إسرافيلَ إذا أمره اللهُ، فتطيرُ كلُّ روحٍ إلى جسدها الذي كانت تُعَمَّرُ في الدنيا حتى تدخله وتدبُّ فيه ديببَ السُّمِّ في اللدِّيعِ حتى يقومَ بشراً سوياً، وأنها بعد خروجها من الجسد تُكَلَّمُ وتتكلمُ وتَسألُ وتُجيبُ وتخبرُ كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وأما كيفية الروحِ وكُنْهها فليس لبشر العلمُ به

(١) عزاه إليه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٩١/٣) وقال محققه: نقله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٣/٤) عن المصنف.

(٢) في «المغازي» (١/٢٦٧ - ٢٦٨) وفيه مجاهيل مع ما في الواقدي من كلام.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

ولا الاطلاع عليه، ولهذا لما سألت اليهودُ النبيَّ ﷺ عنه<sup>(١)</sup> أنزل الله تعالى جوابهم: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].  
وقوله رحمه الله تعالى:

«ولأجل ذلك لم يُقَرَّرَ الجَهَنَّمُ ما الأرواحُ خارجةٌ من الأبدانِ لكنها من بعض أعراضِ بها إلخ»

يعني أن مذهبَ الجَهَنَّمِ في الروح هو مذهبُ الفلاسفةِ الحائرين أن الروح ليس شيئاً يقوم بنفسه بل عَرَضٌ، والعَرَضُ في اصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا يستقر، فمنزلةُ الروح عندهم من الجسد كمنزلةُ السمع من السامع والبصر من المُبْصِرِ، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصرُ والسمعُ والذاتُ التي يقوم بها موجودةٌ، فوجدوا أن لكون النفس التي هي الروحُ شيئاً قائماً بنفسه، وأنه يُنفخ في الجنين في بطن أمه بعد الأربعين الثالثة، وأن ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَاللَّهُ لَمْ تَمُتْ فِي مَتَابَعِهَا فِيمَسِكُ أَلْتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، ووجدوا كونها شيئاً يُساق ويُنزَع عند الموت ويُعرج بها إلى الله عز وجل فيُفتَح لها أبواب السماء إن كانت محسنةً أو تُغلقُ دونها إن كانت مسيئةً، وأن روحَ الأنبياءِ والمؤمنين في الرفيق الأعلى، وأرواحَ الكفارِ في سجين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسلَ اللهُ به رسَلَه، فضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وقوله رحمه الله تعالى:

«فالشأنُ للأرواح عند فراقِها أبدانها واللَّهُ أعظمُ شأن»

يعني أنه أعظمُ شأنًا من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبرُ عياناً، والغيبُ شهادةً والمستورُ مكشوفاً، والمُخبأُ ظاهراً، فليس الخبرُ كالمعاينة، ولا علمُ اليقين كعين اليقين، فالمُصدَّقُ يرى ويجد مُصدَّقاً ما جاء به النصُّ كما علمه

(١) أخرجه البخاري (١/٢٢٣ رقم ١٢٥) وأطرافه رقم (٤٧٢١) و(٧٢٩٧) و(٧٤٥٦) و(٧٤٦٢).

ومسلم (٤/٢١٥٢ رقم ٢٧٩٤) من حديث ابن مسعود.

وتيقنه، فيزداد بُشرى وفرحاً وسروراً، والمكذَّب يرى ويجد حور تكذبه بذلك، وغِب ما جناه على نفسه ويدوق وبال أمره، وكلُّ يُفضي إلى ما قَدَم.

وقوله: «إما نعيم أو عذاب إلخ»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَطْنَا لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصِيلَةٍ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِأَنِّمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ [الواقعة].

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وغير ذلك مما في معناه من الآيات. وقَدَمنا منها جُملة، وقَدَمنا من الأحاديث في أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حدَّ التواتر، فليرجع إليه، والله الحمدُ والمنة.

وقوله رحمه الله: «وتصير طيراً سارحاً مع شكلها إلخ»، يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالأئمة: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»<sup>(١)</sup>.

وقوله رحمه الله تعالى: «لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر إلخ» يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [إل عمران: ١٦٩]. الآيات وما في معناها.

وفي الصحيح<sup>(٢)</sup> من حديث الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال:

(١) وهو حديث صحيح. أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٤٠/١) عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.

ومن طريق مالك أخرجه أحمد (٤٥٥/٣) والنسائي (١٠٨/٤) وابن ماجه رقم (٤٢٧١) والآجري في «الشرعية» (ص ٣٩٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٦/٩) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٣) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١٢٠).

وأخرجه أحمد (٤٥٥/٣ - ٤٥٦ و ٤٦٠) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١١٩ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٤) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٢) من طرق عن الزهري وانظر: «الصحيحة» رقم (٩٩٥).

(٢) في صحيح مسلم (٣/١٥٠٢ رقم ١٨٨٧).

سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

قال إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضبر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى القناديل، فاطلع إليهم ربهم عز وجل اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»، وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله:

وإذا أراد الله إخراج الوري  
بعد الممات إلى معاد ثان  
لقى على الأرض التي هم تحتها  
مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً - إلخ

يشير إلى حديث عبد الله بن عمر<sup>(١)</sup> بطوله وفيه: «ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - تعالى مطراً كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس»، الحديث.

وفي حديث الصور الطويل<sup>(٢)</sup>: «ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل»، وهو الذي عناه بقوله: «عشراً وعشراً بعدها عشراً».

وقوله: «أوحى لها رب السما فتشقت إلخ»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ [الأنفطار: ٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

قال ابن عباس<sup>(٣)</sup>: بُحِثَ.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٥٥٨ رقم ٢٩٤٠).

(٢) تقدم تخريج الحديث.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٣٠/٨٥) بسند منقطع.

وقال السدي<sup>(١)</sup>: تُبعثر: تُحرك فيخرج من فيها.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: «بُحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال: بعثت الحوض وبحرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه». وقال<sup>(٣)</sup> في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعِثَ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] أي من الأموات.

وقوله: «وتخلت الأم الولود إلخ»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].

«قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألق ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم»<sup>(٤)</sup>.

وقوله: «وأخرجت أثقالها إلخ»، يشير إلى قوله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ - إلى قوله - ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٢ - ٥].

قال ابن كثير<sup>(٥)</sup> رحمه الله: يعني ألق ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف. وقد تقدم تفسيرها بإلقائها أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان.

وقال البغوي<sup>(٦)</sup> رحمه الله: أثقالها: موتاها وكنوزها فتلقها على ظهرها.

وقوله رحمه الله: «والله ينشي خلقه» أي هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم «في نشأة أخرى إلخ»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم]. فهذه هي النشأة الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧]، وهو البعث بعد الموت، قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٣/٤).

(٢) في «معالم التنزيل» (٣٥٥/٨).

(٣) أي البغوي في «معالم التنزيل» (٥٠٩/٨).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٢١/٤).

\* أخرج أثر مجاهد ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٣٠ ج/١١٤).

\* أخرج أثر قتادة ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/٣٠ ج/١١٤).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٥٧٦/٤).

(٦) في «معالم التنزيل» (٥٠١/٨).

فَلَوْلَا نُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ  
 الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ  
 عَلَّمْتُمُ النَّشَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿الواقعة﴾، وما في معنى ذلك من الآيات  
 والأحاديث.

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعد ما  
 فرقهم وينشرهم بعد ما مزقهم، ويُعيدهم كما خلقهم، وقد علم الله ما تنقص  
 الأرض منهم: ﴿أَوْلَىٰ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ  
 مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا  
 قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله: «ما قال إن الله يُعيد خلقه إلخ»، أي لم يقل الله تعالى ولا رسوله ﷺ  
 إنه يعدهم العدم المحض ويأتي بغيرهم. ولا إن المُثاب غيرُ من عمل الطاعات  
 في الدنيا، ولا إن المعذب غيرُ من مبرّد على المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا  
 نَجْوًا﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا  
 لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، بل قال تعالى: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً  
 أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها،  
 ليسوا غيرهم كما يقوله الزنادقة قبّحهم الله تعالى. وقال رسول الله ﷺ: «فتخرجون  
 من الأصواء ومن مصارعكم»، ولم يقل إنه غيركم الذي يخرج. والكلام في هذا  
 الباب يطول جداً، والنصوص فيها لا تحصى كثرة، وإنما أشرنا إلى بعض من كل،  
 وِدق من جُل، وقطرة من بحر، والله المستعان.

إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الآيات التي سُقنا من نونية ابن القيم  
 رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار والإنجاز، والله الحمد والمِنَّة. ولنرجع إلى شرح  
 آياتِ المثن المذكور.